الجامعة الأردنية

كلية الدراسات العليا

رسالة ماجستير بعنوان

ابن شيث القرشي

حياته وآثاره

مع دراسة تحليلية ناقدة

لكتابه [[معالم الكتابة ومغانم الإصابة]]

اعداد

نهلة عبد الكريم الحرتاني

اشراف

الأستاذ الدكتور محمود ابراهيم

عميد كلية الدراسات العليا

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

٢٨ كانون أول ١٩٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٩٣/١٢/٢٨ واجيزت

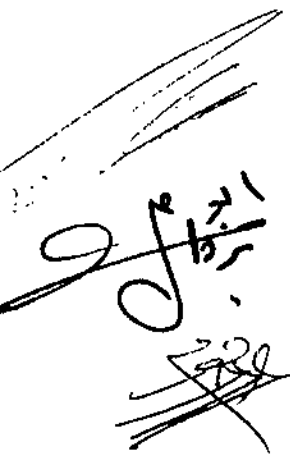

لجنة المناقشة		التوقيع
الاستاذ الدكتور محمود ابراهيم	مشرفاً	
الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي	عضواً	
الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي	عضواً	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

- إلى والدي الكريم الذي أتاح لي فرصة إكمال دراستي ، وشجعني بكل طاقة ممكنة ، فله مني خالص الدعوات بالصحة والعافية.

- إلى والدتي الحنون التي لم تنسني من دعائها أبداً ، لها مني كل محبة واحترام وتقدير على ما وفرت لي من راحة طوال فترات دراستي .

- إلى إخوتي وأخواتي أتقدم بالعرفان لما أسدوه لي من معونة ومساعدة ، مع دعواتي لهم بالسعادة والتوفيق.

نهلة الحرتاني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

- اتقدم بالشكر والتقدير لاستاذي الفاضل الاستاذ الدكتور محمود ابراهيم لتفضله بقبول الاشراف على رسالتي ، ولما أحاطني به من عطف ومساعدة واهتمام سواء من الناحية الأكاديمية أم من غيرها، خلال فترة إعداد هذه الرسالة فجزاه الله عني كل خير . فقد بذل جهداً في قراءة كل ما اكتب وقدّم لي الإرشادات والتوجيهات اللازمة . وحثني على الالتزام بها . وكانت أقصى فترة يعيد لي فيها ما قرأ ، هي ثلاثة أيام لكي يسهل عليّ فرصة اتمام رسالتي في أقصى سرعة ممكنة ؛ لدرجة أنه كان يقرأ لي في أيام إجازته ، فله مني كل شكر وامتنان .
- كما اتقدم بجزيل الشكر والامتنان للاستاذ الجليل : الاستاذ الدكتور إحسان عباس الذي قدّم لي المساعدة بكل ما تشمله هذه الكلمة فلقد شجعني ووعدني أن يقف معي حتي النهاية ، وأمدّ ني بما عزّ عليّ الحصول عليه من كتب غير متوفرة في مكتبة الجامعة الأردنية ، وأسدى لي النصيحة والإرشاد فجزاه الله عني كل خير
- واتقدم بشكري وعرفاني بالفضل للاستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي الذي شجعني على الاستمرار في هذا البحث بعد أن عدلت عنه، وساعدني في كل ما قصدته من أمور . فله كل احترام وتقدير
- وأقدم شكري لرئيس قسم اللغة العربية الأستاذ الدكتور محمد بركات علي لما قدمه لي من مساعدة.
- كما اتقدم بالشكر الوافر للدكتور جاسر أبو صفية الذي أمدّني بما يزيد على عشرين كتاباً من مكتبته الخاصة ، وهي مما تفتقد إليه مكتبة الجامعة الأردنية.
- كما اتقدم بالشكر والتقدير للاستاذ الدكتور محمود حسنى الذي أمدّني بكتب في النحو تختص برسالتي ، كما أسدي لي نصائح متعددة ، ولم يتوان عن مساعدتي في كل ما قصدته من أمور .
- كما أقدم الشكر الجزيل للدكتور عبدالكريم الحياري الذي أوضح لي أموراً فيما يتعلق بالبلاغة وأرشدني إلى مصادر ومراجع قيمة .
-وأقدم شكري للدكتور صلاح جرّار القائم بأعمال رئاسة مكتبة الجامعة الأردنية لما قدم لي من مساعدة بتزويدي بكل ما طلبته من كتب غير متوفرة في مكتبة الجامعة الأردنية ، واستعداده لقراءة رسالتي وابداء رأيه بعد أن أذن لي مشرفي الاستاذ الدكتور محمود ابراهيم. فله كل تقديرواحترام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

قرار لجنة المناقشة	ب
إهداء	جـ
شكر وتقدير	د
المحتويات	هـ- و
ملخص الرسالة باللغة العربية	ز
المقدمة	١-١٠
التمهيد	١١-١٤
١- الفصل الأول	١٥-٦٧
ابن شيث القرشي حياته وآثاره	
١-١ اسمه ونسبه	١٦-١٧
١-٢ اسرته	١٧-١٨
١-٣ عقبه	١٨-١٩
١-٤ بيته	١٩
١-٥ مولده	١٩-٢٠
١-٦ نشأته وتنقلاته	٢٠-٢٢
١-٧ عقيدته	٢٢-٢٤
١-٨ أخلاقه	٢٤
١-٩ مكانته	٢٤-٢٥
١-١٠ ثقافته	٢٥-٢٦
١-١١ شيوخه	٢٦-٢٨
١-١٢ تلاميذه	٢٨
١-١٣ رواة شعره	٢٨-٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١-١٤ صلاته مع أرباب العلم في عصره	٢٩-٣٥
١-١٥ آثاره	٣٥-٦٧
١-١٦ وفاته	٦٧
٢- الفصل الثاني :	٦٨-١٤١
كتاب معالم الكتابة دراسة تحليلة	
٢-١ فيما يجب تقديمه ويتعين على الكاتب لزومه	٦٩-٧٢
٢-٢ في آداب كتاب الملوك وأركان الدولة	٧٢-٧٤
٢-٣ في طبقات التراجم وأوائل الكتب وما يكون	
به التخاطب بين المتكاتبين على مقدارها	٧٤-٧٥
٢-٤ في ذكر وضع الخط وحروفه وبري القلم وامساكه	٧٥-٨٣
٢-٥ البلاغة والبيان	٨٣-١٠٢
٢-٦ النقد	١٠٢-١١٠
٢-٧ اللغة	١١٠-١٣٣
٢-٨ الامثال	١٣٣-١٣٨
٢-٩ التفسير	١٣٨-١٣٩
٢-١٠ المستويات اللغوية	١٣٩-١٤٠
٢-١١ المصادر التي اعتمد عليها ابن شيث في تحصيل	
مادة كتاب معالم الكتابة	١٤٠
٢-١٢ منهجه واسلوبه	١٤١
٣ الفصل الثالث :	١٤٢-١٨٨
كتاب معالم الكتابة ومغانم الاصابة دراسة مقارنة	
الخاتمة	١٨٩-١٩٣
المصادر والمراجع	١٩٤-٢١٧
الملخص باللغة الانجليزية	٢١٨-٢٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص الرسالة

ابن شيث القرشي : حياته وآثاره مع دراسة تحليلية ناقدة لكتابه معالم الكتابة ومغانم الإصابة

اعداد الطالبة نهلة عبدالكريم الحرتاني

اشراف الإستاذ الدكتور محمود ابراهيم

تناول هذا البحث بالدراسة « ابن شيث القرشي » أحد كتّاب الدولة الأيوبية في نهاية دولتهم .

ولقد مهدت لهذا الموضوع بالحديث عن الوضع الثقافي في ظل الدولة الأيوبية ، وتناولنا أهم مؤسساته وهو « ديوان الإنشاء » فتتبعت نشأته وتطوره ، ثم عالجت في الفصل الأول الأمور التي تختص بحياة ابن شيث واثاره .

أما في الفصل الثاني فقد تناولت كتابه « معالم الكتابة » بدراسة تحليلية ناقدة وذلك في الجوانب التالية : فيما يجب تقديمه ويتعين على الكاتب لزومه ، في آداب كتاب الملوك وأركان الدولة ، في طبقات التراجم وأوائل الكتب وما يكون به التخاطب بين المتكاتبين علي مقدارهما ، وذكر وضع الخط وحروفه وبري القلم وإمساكه ، والبلاغة والبيان ، والنقد واللغة ، والأمثال ، والتفسير ، ثم المستويات اللغوية ، ومصادر الكتاب ، واسلوب المؤلف ومنهجه والفصل الثالث عالجت الكتاب من خلال دراسة مقارنة مع ما سبقه وما لحقه في المجالات السابقة التي ذكرتها ليتبين لنا قيمة الكتاب وأثره .

ولقد اتكأت على مئة وثلاثة وعشرين مصدراً في إغناء هذا البحث والإلمام بجوانبه كافة ، ثم كانت الخاتمة والتي تضمنت نتائج هامة فيما يتعلق بشخصية ابن شيث ، وآثاره إذ تبين لنا أنه شخصية مهمة في مجالات متعددة منها الكتابة ، والشعر ، والنقد ، واللغة ، والبلاغة ،والتفسير والنحو والصرف ، والأمثال والتأليف ثم الإدارة إذا كان وزيراً وقاضيا وإماماً . ولقد قمت بجمع شعره ، ونثره وتحليل كتابه ونقده ،ومقارنته وبيّنت ما اضافه في بابه . ولقد قدم البحث نتائج مهمة كمعرفة أجزاء من كتب مفقودة مثل « الخراج وصناعة الكتابة ، والجزء المفقود من كتاب «معالم الكتابة » ، « والحظ الأسنى في حلي أسنا » وهو جزء من موسوعة « المغرب في حلى المغرب » لابن سعيد ، وأفا د كذلك بذكر أسماء كتب مفقودة إلاّ أننا عرفنا محتواها مثل « الأرج الشائق الى كرم الخلائق » لابن شمس الخلافة ، وكتاب جمل الخط لابن مقلة ، وكتاب « البداية » لابن ابي المنصور .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

- المقدمة -

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، من يهدالله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ان لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، واشهد ان محمداً عبده ورسوله .

أما بعد فهذا البحث عنوانه « ابن شيث القرشيّ حياتهُ وآثاره ، مع دراسة تحليلية ناقدة لكتابة معالم الكتابة ومغانم الإصابة »

لقد أغفل الباحثون هذه الشخصية ، فلا نكاد نجد له ذكراً إلاّ في مصادر معدودة ، لا يتجاوز تناوله بالدراسة فيها الصفحتين ، ومع ذلك فهي تبين لنا أنه كان شخصية مرموقة في زمانه ، وأنه كان له باعاً طويلاً في أمور متعددة ، يأتي في مقدمتها الكتابة في ديوان الإنشاء ، وترؤس هذا الديوان بمصر فالقدس ثم دمشق ،فضلاً عن توليه الوزارة . ولقد تضمنت المصادر التي كتب عنه مقطوعات من شعره ، وأسعفتنا المظان برسالة نثرية من إنشائه تضمنها كتابه « معالم الكتابة » فنحن أمام كاتب ، شاعر، مؤلف .

ومن خلال كتابه تبين لنا أنه شخصية جديرة بالبحث ، إذ اشتمل الكتاب على علوم مختلفة ، منها النقد واللغة والنحو والصرف والبلاغة والخط والقلم ، والأمثال وأصول الكتابة الأنشائية.

وقد تبين من خلال المصادر الأخرى أنه برع في الفقه والحديث ، فقد ذكر أصحاب هذه المصادر أنّه برع في الأمور الشرعية ، وله مصنّفات كثيرة في أصول الدين والرقائق ، ولقد نعت بالقاضي في غير ما مصدر فنحن إذن أمام شاعر وكاتب ولغوي . وناقد وفقيه ومحدث . ومن الناحية الإدارية نحن أمام أمير ، ووزير وقاض ورئيس ديوان الإنشاء .

وتدلنا مقولته في مقدمة كتابه على أنه كتب كل شيء من الذاكرة ، مما يدل على قدرته الفائقة .

كلّ هذه الأمور جعلت هذه الشخصية جديرة بالبحث والتمحيص . ولما كان « كتاب معالم الكتابة » صادراً عن ثقافة خاصة ، ولأن هذا الكتاب قد وضع أساسا لبيان أصول الكتابة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنشائية زمن المؤلف، فإننا آثرنا أن نمهد لهذا البحث بسطور يسيرة تعطي صورة عن المؤسّسة الثقافية في العصر الأيوبي ، وهي ديوان الإنشاء الذي ضمّ الصفوة المختارة من المثقفين ولقد أتكأتُ في هذه الدراسة على مئة وثلاثة وعشرين من المصادر والمراجع زوّدتني بما أعان على إخراج البحث على هذه الصورة ، وها أنا ذا أنوه بأبر زها:

- « معالم الكتابة ومغانم الإصابة » لابن شيث القرشيّ : وكان من أهم المصادر التي أفادتني ، لأنه أحدُ آثار المؤلف ، وتضمّن في طياته ما يُظهر ثقافة المؤلف ، إذ اشتمل على بعض من شعره ومنظوماته ، ونثره .

- « مواد البيان » لعلي بين خلف الكاتب : وهو أحد المصادر التي تُبيّن لنا التجديد الذي أضافه ابن شيث إلى أصول الكتابة الإنشائية من حيث التقنين ، والمصطلح ، إذ كان « مواد البيان » من الكتب الرئيسة التي تبيّن قواعد الكتابة الإنشائية زمن الفاطميين ، حيث إن مؤلفه كان أحد كتابها كما جاء في « صبح الأعشى » .

- « صبح الأعشى في صناعة الإنشاء » للقلقشندي (ت: ٨٢١هـ): وهو مصدر له أهميته في بيان أثر كتاب « معالم الكتابة » في القسم المتعلق بالكتابة الإنشائية منه فيمن لحقه ، فقد ضم في هذه الموسوعة الكثير من كتابات ديوان الإنشاء بما في ذلك ما جاء في « معالم الكتابة » وبيّن وجه اتفاق ما جاء فيه مع ما استقر عليه الحال في زمن القلقشندي ، وما خالف فيه المصطلح عليه في زمانه أيضاً .

- « قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان » لابن الشعار الموصلي (ت: ٦٥٤هـ): وهو من المصادر المهمة إذ بعثوري عليه تمكّنت من حسم أمور كثيرة منها :

ضبط سلسلة نسب ابن شيث ، وترجيح سنة مولده ، ومعرفة أحد تلامذته وهو مؤلف هذا الكتاب ، والعثور على مجموعة ممن أنشدوا شعره ، ومعرفة جانب من تنقلاته ، وبعض أبيات من شعره .

- « الوافي بالوفيات » للصفدى (ت٧٦٤هـ): وهذا المصدر زوّدني بمعلومات عمن اتصل بهم ابن شيث في بداية حياته ومنهم جعفر بن حسان الإسنائي الذي أورد أبياتاً كثيرة من شعره في مدحه ، وفي مدح المعظم عيسى ، كما ذكر صلته مع ابن عنين الشاعر وهجائه له ، وذكر كتاباً لم يصلنا من كتبه هو « معالم الكتابة في صناعة الإنشا» وهو غير كتاب «معالم الكتابة ومغانم الإصابة » .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- « مرآة الزمان » لسبط بن الجوزي «(ت:٦٥٤هـ) :وكان من المصادر المهمة في إعطائي إشارة تدل على صلته بالقاضي الفاضل ، وذكر ولداً له مات في حياته ، ورثاه بأبيات رقيقة ، كما ذكر سبب وفاته ، وحالته ، وما لحق به من إساءة قبل موته.
-« شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلي (ت:١٠٨٩هـ): وقد أوضح المؤلف صلته مع أبي المظفر سبط بن الجوزي ، إذ ذكر أنه كانت هناك مكاتبة بينهما ، وذكر أبياتاً من الشعر يتشوق فيها ابن شيث إليه .
- « تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام » للذهبي (ت:٧٢٣هـ): وقد ذكر تولي ابن شيث الوزارة للمعظم ، وذكر شيخين من شيوخه هما « الشهاب القوصي » و« الضياء المقدسي » .
- «التكملة لوفيات النقلة « للمنذري(ت:٦٥٦هـ) لقد حدد ضبط كلمة « شيث » من حيث الشكل والنقط .
- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب « لابن الفوطي (ت:٧٢٣هـ): ولقد ذكر مرحلة مهمة من حياته ، وهي توليه كتابة الإنشاء بديوان مصر للملك العزيز بن صلاح الدين بن أيوب .
- « الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد « للأدفوي (ت:٧٤٨هـ): ولقد ذكر أموراً في غاية الأهمية منها براعة ابن شيث في الأمور الشرعية ، وتأليفه العديد من المصنفات فيها ، إلا أنها لم تصلنا ، وذكر المؤلف كتباً لم تصلنا كذلك تحدثت عن ابن شيث منه: « الأرج الشائق إلى كرم الخلائق « لابن شمس الخلافة(ت:٦٢٢هـ) ، و« الحظ الأسني في حلى إسنا» وهو جزء من موسوعة « المغرب في حلى المغرب » لابن سعيد ، و« كتاب البداية » لابن ابي المنصور . كما ذكر لنا ولدين من أولاد ابن شيث هما : العلاء والكمال .

أما الدراسات السابقة لهذا الموضوع ، فأقدمها ما جاء في مقدمة كتاب « معالم الكتابة ومغانم الإصابة » وقد طبع عام ١٩١٣م ، تحقيق الخوري قسطنطين الباشا المخلصي (١) إلاّ أن ما جاء فيها هي أمور بسيطة تتضمن تحديداً غير دقيق في سطور عن مؤلفه بما في ذلك سنة ولادته . وقد ذكر شيئاً عن عقيدته فقال أنه كان مشايعاً للإمام عليّ ، وذكر ما يؤيد ذلك . وذكر أموراً في غاية الغرابة،منها أن هناك من أدعى نسبة الكتاب إليه ، وخصّ منهم محمد الجزيني (ت: ٧٨٦هـ) على الرغم من أن كتاب معالم الكتابة يتضمن في بدايته اسم مؤلفه ، ولقد بحثت في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترجمة هذا الرجل لا تثبت من صحة المعلومة فلم أعثر على ما يمت لها بصلة من قريب أو بعيد ففي « أمل الآمل » للحر العاملي (ت:١١٠٤هـ)يذكر في ترجمة محمد بن مكي ما يربو على العشرين مؤلفاً لا تتضمن « معالم الكتابة» ولا يذكر نسبته إليه، في حين ذكر ما نسب له من شعر يقول : « وله شعر جيد منه – ويروي لغيره » (٢:١٨٢) ، وبالمثل في ترجمة محمد بن مكي في مجلة العرفان ، (٣) لا نعثر على أي إشارة إلى ذلك .

– ومنها ما ذكره من أن ابن شيث قد نقل هذا الكتاب عن أصل قديم له ، وهذا غير صحيح ، إذا إنه أشار في مقدمته إلى أن كل ما كتبه في هذا الكتاب من الذاكرة

– ومن الدراسات السابقة ما نُشر في مجلة العرفان (٤) في مقالة بعنوان « ابن شيث القرشيّ مؤلف كتاب معالم الكتابة ومغانم الإصابة» لعيسى اسكندر المعلوف ، إلاّ أن ما تعرض لذكره هو نبذة بسيطة عن نسبه ،وموطنه ، كما جاء في الطالع السعيد ، وذكر المصادر التي وردت فيها ترجمته ، وأشار إلى إغفال من ترجموا له ذكر كتابه ، وهذا غير حقيقي فلقد ذكره « صبح الأعشى » و«تاريخ الأدب العربي » ، و« معجم المؤلفين » و « الأعلام » اما مولده فلقد ذكر أنه سنة ٥٥٠ هـ ، ولا ندري وجه اعتماده على هذا التاريخ . كما ذكر ولدين له ونماذج من شعره . إلاّ أن هذا الموضوع امتد في اربع صفحات من الحجم الصغير ، ونجد عنده أموراً مبالغاً فيها إلى حدّ الخطأ ، منها : ما ذكره عن كتاب معالم الكتابة ، إذ يورد أن كثيراً ممن جاء بعده قد نقل عنه ، وهذا غير صحيح ، إذ إنه لم ينقل عنه إلا نفر قليل منهم القلقشندي قديماً ، ومنهم في هذا العصر حسن الباشا في كتابه «الألقاب الاسلامية» والدكتور عبد الجليل عبد المهدي في كتابه «بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية» فما يتعلق ببنية الرسالة القدسية . ويذكر صاحب المقالة أن « القلقشندي » قد نقل فصولاً برمتها من الكتاب ، وهذا غير صحيح أيضاً ، إذ إن النقل لم يتعد أجزاء من الباب الثاني من الكتاب فقط .

– ومنها ما جاء في مجلة المجمع العلمي بدمشق (٥) في مقالة بعنوان «مؤلف كتاب معالم الكتاب ومغانم الإصابة»، لكوركيس عواد والمقالة تقع في صفحتين من الحجم الصغير ، وما أضافه من جديد يتمثل في ذكر ثلاثة مصادر جديدة تتحدث عن ابن شيث ، وذكر سبب وفاته ، وصلته مع القاضي الفاضل نقلا عن مرآة الزمان ، أما مولده فذكر أنه كان سنة ٥٥٠هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ومها ما جاء في كتاب « الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار» لحسن الباشا :

(٦) إلاّ أن الكاتب اقتصر على الاستفادة من الألقاب التي أوردها ابن شيث ضمن الباب الثاني من كتاب « معالم الكتابة » ، فكانت لذلك استفادته جزئية تبعاً لطبيعة دراسته المقصورة على « الألقاب الإسلامية » ،وكان معظم نقله عن صفحة ٤١ ،٤٢ من المعالم في طبعته الثانية التي اشتملت علي الألقاب والنعوت ، ولقد عرّف ابن شيث وكتابه في ست صفحات من الحجم الصغير ، وضمّن كتابه بعض مقاطع من الباب الثاني في مواضع أخرى مثل ما جاء في صفحة ٣٢-٣٥من الألقاب الإسلامية . وقد أشاد بالكتاب في أكثر من موضع .

- ومنها ما جاء في مقدمة المحقق محمد حسين شمس الدين في الطبعة الثانية ١٩٨٨م (٧) إذ ذكر نبذة بسيطة عن ابن شيث ، وذكر أن ولادته سنة ٥٤٧هـ دونما توثيق لمصدر هذه المعلومة ، وتحدث عن كتاب « معالم الكتابة » من حيث مخطوطاته ، وذكر منهج ابن شيث فيه وعيوبه ، ثم عرض لقيمة الكتاب إلا أننا إذا قارنا بين ما جاء عنده ، وما جاء في الألقاب الإسلامية لحسن الباشا ، نجده ينقل نقلاً حرفياً عنه دونما توثيق وأدله ذلك ما يلي :

١- في ذكر ولادته ،نجده يذكرها دونما توثيق (٧) كما جاء في الألقاب الإسلامية (٦)، إلا أن حسن الباشا يوثق بنقله عن مخطوط الوافي بالوفيات للصفدي .

٢- حينما ذكر محمد حسين شمس الدين أسماء المؤلفات التي تناولت الدساتير مرتبة زمانياً (٧) نجده يتطابق تماماً مع ما جاء في الألقاب (٥) والمحقق يذكرها أيضاً دونما توثيق.

٣- وفي تقيمه للكتاب ينقل صفحة بكاملها عن الألقاب الاسلامية (٦) بدأت من قوله: « وهو بذلك قد نهج أسلوباً »إلى قوله« في عصر المماليك » (٧:١٩-٢٠)

وثمة سلبيات تؤخذ على المحقق محمد حسين شمس الدين منها :

أ- لم يبرر عدم رجوعه إلى المخطوط الأصلي لكتاب « معالم الكتابة » باعتباره لازمة من لوازم التحقيق فليس هناك أي إحالة ، ولو لورقة واحدة من المخطوط حتى إن صورة صفحة المخطوط التي جاءت عنده هي نقل عن طبعة الخوري قسطنطين الباشا كما أقرّ بذلك . ولقد كانت إحالته في الهامش دائماً على طبعة قسطنطين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباشا وكأنه اعتبرها هي مخطوط الكتاب ونذكر أمثلة على ذلك : من كتاب معالم الكتابة في طبعته الثانية

صفحة ٣٤ هامش ١ ، ٣٩ هامش ٤ ، ٤١ هامش ٢ ، ٥٦ هامش ١ ، ٢ ، ٦٤ هامش ٦ ، ٧٢ هامش ١ ، ٧٥ هامش ١ ، ٨٠ هامش ٥ ، ٩٣ هامش ١ .

وبالمثل نجد كل الإحالات في الكتاب على طبعة الخوري الباشا ولا ذكر للمخطوط والسبب في ذلك كما تبين لي من خلال البحث والتنقيب عن مخطوط الكتاب أنه قدسرق أثناء الحرب في لبنان .

ب- عدم العودة إلى المصدر الأساسي ، إذ اعتمد على ما نقل عنه ، كما في اعتماده على رسالة الخط والقلم لابن مقلة على ما جاء منها في « صبح الأعشى » وهي تختلف عن الأصل المخطوط كما أشار محقق صبح الأعشى .

جـ- عدم اختيار المصدر المناسب للمقارنة ، كما في اختياره رسالة الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) النثرية فيما يتعلق بالضاد والظاء ، لمقارنتها مع منظومة ابن شيث في الظاءات ، على الرغم من وجود ما هو أقرب عهداً و مبنىً منها مثل منظومة الحريري (ت٥١٦ هـ) التي شرحها الشريشي في المقامة السادسة والأربعين .

د- المبالغة في عرض الأمر ، إذ يذكر ان القلقشندي نقل كل ما جاء في الباب الثاني من معالم الكتابة ، إلاّ أننا من خلال المقارنة نتبين أنّه اغفل مكان الترجمة ، والشكل ، والنقط ، الذي امتد في صحفتين من الكتاب ، والنعوت المضافة إلى الدين .

هـ الخوض في نقل مفتعل ليس فيه ما يبرّره إلاّ المخالفة فقط . من ذلك اعتراضه على تعريف التتميم (٧) ، والمطابقة (٧) ، ولقد ناقشناه في موضعه .

ومنه استغرابه واستهجانه من لفظه (مور) حين سبقتها أداة النداء (يا) إذا اعتبرهما كلمة واحدة ، وطفق يبحث عن تأويل معناها ، وموجب نصبها فيما يزيد على خمسة أسطر دون جدوى (٧) .

أما إذا تأملنا التعبير ، فنجده قصد استخدام النداء لهذه اللفظة ، وهذه الكلمة (مور) قد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت في « الألفاظ المترادفة المتقاربة المعاني » للرماني من معاني الغبار بالريح (٨) ويؤكد قصد ابن شيث لهذا المعنى مجيء جملة قبلها ترتبط بها وهي (واخفق من قصاصة تناهبتها أيدي الرياح) . (٧:٩٤) . ويؤكد ذلك أيضاً استخدامه لهذه الكلمة في بيت شعر من نظمه :

ما فيه للأعداء من مقدح بل هو مورٌ ثاقبُ الزّند (٧:١٧١)

ولقد وردت هذه اللفظة في استعمال الجاهليين فقال زهير :

لعب الرياحُ بها وغيّرها بعدي سوافي المور والقطر (٩:٢٧)

- ومنها « الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصر الأيوبي والمملوكي » للدكتور عبد الجليل عبد المهدي إذ ذكر ما يتعلق اسهامات ابن شيث القريشي في ميدان البلاغة على اعتبار أنه ممن استوطن بيت المقدس وذكر نبذة عن حياته وتنقلاته وتوليته لديوان الانشاء وأهمية كتابه (١٠) ولقد كان عملنا في هذا البحث ، استقصاء حياة ابن شيث ، وجمع آثاره من شعر ونثر ، وبيان سمات كلّ منهما، ودراسة كتابه دراسة تحليلية مقارنة . واشتملت الرسالة على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

عرضت في التمهيد للوضع الثقافي في زمن المؤلف ، وما كان عليه ديوان الإنشاء زمن الأيوبيين ، وتناولت في الفصل الأول : حياة ابن شيث وآثاره ، وقد احتوى النقاط التالية : اسمه ونسبه ، واسرته ، وعقبة ، وبيته ، ومولده ، ونشأته ، وتنقلاته ، وعقيدته ، وآخلاقه ، ومكانته ، وثقافته ، وشيوخه ، وتلاميذه ، ورواة شعره ، وصلاته مع أرباب العلم في عصره ، وأثاره وتحليلها ، ثم وفاته .

أما الفصل الثاني : فتناولت فيه كتاب « معالم الكتابة » بدراسة تحليلية بينت من خلالها محتوى الكتاب وقمت بترتيب ما تداخل من أبوابه ، وعنونتها واستخرجت أمورا مهمة جاءت متفرقة ، إلاّ آنه ينبني عليها نتائج مهمة مثل الجانب النقدي ، والتفسير ، واللغة

الفصل الثالث : وتناولت فيه الكتاب بدراسة مقارنة مع ما سبقه ، وما لحقه من مؤلفات بارزة لبيان أثره وفضله ، وما كان مبتدعاً عنده وما كان متبعاً فيه .

ثم انهيت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها وكان أهمها:

أولاً: فيما يتعلق بشخصية المؤلف فإنّه رجل كان ذا مكانة رفيعة في عصره حتى نجده نعت بالأمير ،والوزير والقاضي الرئيس ، وامتاز كذلك بكرم الأرومة إذ ينتهي نسبه إلى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قريش ، وله شعر جيد في أغراض متعدده أكثرها المديح ، وبلغ مجموع شعره ثمانين بيتاً ، إضافة إلى منظومة فيما يكتب بالظاء بلغت تسعة وثلاثين بيتاً ، وأخرى فيما يكتب بالألف والياء بلغت ستة عشر بيتاً ، فضلاً عن أبيات الأمثال المفردة التي بلغت مائة واثنين وستين بيتاً ، وبينت أن له نثراً جيداً ، إذ عثرت على رسالة له ، بينت من خلالها أسلوبه في الكتابة

ثانيا: فيما يتعلق بدراسة الكتاب ، فقد أفادنا بإشارات كانت مجهولة علينا

- منها : ما يتعلق بأحد المنزلتين الأوليين المفقودتين من كتاب « الخراج وصناعة الكتابة » فقد تناول في إحداهما الكتابة ، وخص منها الشكل والنقط ، ونقل عنه ابن شيث كما سأبين في موضعه ، وق اهتممت بالمنزلتين الأوليين لأن باقي المنازل من الكتاب معروفة كما ذكر المحقق وكما سأوضح . أما المنزلة الأولى والثانية من الكتاب ، فلم يصل المحقق إلى معرفة محتواها . أما تخصيصنا كتاب « الخراج » بالذات لتعرضه لهذه الناحية لخلو «نقد النثر» المنسوب إليه من تعرضه للنقط والشكل.
- ومنها ما يتعلق بالجزء المفقود من كتاب « معالم الكتابة » نفسه وهو الباب السابع ، إذ وردت إشارة في « صبح الأعشى » على لسان ابن شيث لم يتضمنها الكتاب الذي بين ايدينا ، مما يدل علي أنها في الجزء الذي فُقد وهذه الإشارة هي : « وأما الشعر فيورده حيث يحس إيراده ، ويمنعه حيث يحسن منعه ، فليس كل مكاتبة يحسن فيها ايراد الشعر ، بل يختلف الحال في ذلك بحسب المكتوب عنه، والمكتوب إليه ، فأما المكاتبات الصادرة عن الملوك ، والصادرة إليهم ، فقد ذكر في « مواد البيان» أنه لا يتمثل فيها بشيء من الشعر إجلالاً لهم عن شوب العبارة ، قلت : الذي ذكره عبد الرحيم بن شيث في كتابه «معالم الكتابة ومواضع الاصابة »أنه يتمثل بالشعر في المكاتبات الصادرة عن الملوك دون غيرهم ، وهو معارض لما ذكره في مواد البيان » (١١: ٦/ ٣٠٧)

وهذا يؤكد أن الموضع الساقط من الباب السابع يتعلق بالكتابة الإنشائية من حيث التقنين للاستشهاد بالشعر ، ويعزز هذا القول ، أن هذا الباب يأتي بعد الباب السادس الذي أورد فيه الأمثال منظومة ، وحث على الاستشهاد بها في الكتابة . فهو قد أراد أن يقنن في هذا الباب ما أورده مطلقاً في الباب السادس مع أمثلة نثرية تطبيقية من إنشائه يؤكد ذلك ما أورده في مقدمة كتابه (ورسمت له في كل معنى ربما يسبر فيه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمتحن ... كتابين جعلتهما له نموذجاً .... وربما استغنى بهما في ذلك المعنى لأن أكثرها يقل وقوعه ويحسن موقعه إذ اريد للكاتب سقوطه في الإمتحان ووقوعه وكله مما كتبته على الخاطر بديهة وإرتجالا) (٧: ٢٤-٢٥) .

- ومنها ما يتعلق بالجزء المفقود من كتاب « المغرب في حلى المغرب » لابن سعيد ، إذا ذكر «الطالع السعيد» قسماً منه بعنوان « الحظ الأسني في حلى إسنا » يتناول فيه علماء اسنا من بينهم ابن شيث . وهذه الإشارة تدلنا على اهتمام أهل المغرب بالمشارقة ، كما أن هناك إشارة من ابن شيث تدل على اهتمامه بالمغاربة وانماط الكتابة عندهم، إذ يورد ما استقر عليه الحال في الكتابة عندهم ويقارنها مع كتابة المشارقة في موضعين .

- ومنها معرفة كتاب بعنوان « البداية » لابن ابي المنصور يتضمن الحديث عن علماء إسنا نقل منه ابن سعيد في « المغرب » كما أشار إلى ذلك مؤلف الطالع السعيد ، وهو لم يصلنا .

- ومنها كتاب « الأرج الشائق إلى كرم الخلائق» ، لابن شمس الخلافة ، وهو يجمع كل من مدح جعفر بن خسان الإسنائي والى إسنا ومن ضمنهم ابن شيث ، وهو لم يصلنا ،ولم يرد ذكره إلاّ في الطالع السعيد (١٢) ، وقد أغفله من ترجم لابن شمس الخلافة كما في وفيات الأعيان لابن خلكان (١٣) .

٤٣٢٤٣٣

- ومنها الإشارة إلى وجود كتاب في الخط لابن مقلة اسمه « جمل الخط» ، ذكره في مقدمة رسالته وهو مما لم يصلنا ، إلاّ أن ابن شيث نقل منه في الباب الثالث من كتابه.

- وهناك إشارة من ابن شيث إلى أن المناطقة في عصره لم يكن لهم شأن يذكر ولا يعتد بعلمهم

ومن خلال تحليل كتاب « معالم الكتابة » ، تبين أن الكتاب ريادي بالنسبة الى مصطلح الكتابة الإنشائية وقوانينها في نهاية الدولة الأيوبية ، كما امتاز بتلازم جانبين أضفيا قيمة خاصة على الكتاب ، هما جانب نظري تقنيني ، وجانب تطبيقي ، فيما يتعلق بكل أبواب الكتاب ، كما اشتمل على أمور مهمة في علوم العربية وآدابها ونقدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتفرد بأسلوب جديد في عرض معجم للتراكيب العربية ، ليس مقصوراً على الكلمات المفردة.

ولقد تضمن الكتاب إشاراتٍ أعانت علي توضيح جانب من شخصية مؤلفه وهي ثقافته الواسعة، وتتمثل أهمية الكتاب في احتفاظه بآثار مؤلفه من شعر ونثر .

وأخيراً أقول كما قال أسلافنا : « إني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه إلا وقال في غده : لوغُيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ، ولو قدّم هذا لكان أفضل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر» .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد

توسعت الحركة الثقافية في زمن الأيوبيين وتشعبت على الرغم من الحروب المستمرة التي خاضها الأيوبيون ضد الصليبيين ، وقد كان بنو أيوب حريصين على العلم وأهله ، يشجعونه بمختلف السبل . ولا نكاد نستثني منهم غير الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فقد (كان ذا طبيعة عسكرية لم تساعده علي أن يكون ذو ميل خاص إلى العلم . ومع هذا فإن هذا الرجل لم تمنعه طبيعته من تشجيع العلم والمتعلمين) (١٤ :١٤٩) ولذا فإننا نجد ازدهاراً في الحركة الثقافية في هذا العصر حتى (وصف بأنه عصر إحياء للفكر والثقافة الإسلامية والعربية مثلما كان عصر إحياء سياسي). (١٥ : ٧٥) فقد كان صلاح الدين الأيوبي شديد الكلف بالعلم والعلماء ، مكرماً لهم، وكانت حاشيته تضم القاضي الفاضل وزيراً ، والعماد الأصبهاني كاتباً وشاعراً ومؤرخاً ، والقاضي بهاء الدين بن شداد فقيهاً ومؤرخاً . ويقول ابن شداد عن صلاح الدين : « وكان يكرم من يرد عليه من المشايخ ، وأرباب العلم والفضل ، وذوي الأقدار ، وكان يوصينا بأن لا نغفل عمن يجتاز بالخيم من المشايخ المعروفين حتى نحضرهم عنده وينالهم إحسانه » . (١٦ :٣١) وكانت المجالس الأدبية التي يعقدها الشعراء مظهراً بارزاً من مظاهر النشاط الفكري ، كما أن وجود أعداد كبيرة من الفقهاء والأدباء والعلماء البارزين له دلالته التي لا تخفى ، وكذلك شيوع الرحلة في طلب العلم من المغرب والأندلس إلي حواضر مصر والشام . للأخذ من علمائها وقد قال ابن خلكان عن الشيخ السلفي : « وقصده الناس من الأماكن البعيدة ، وسمعوا عليه وانتفعوا به » (١٣ : ١٠٥)

وازدهرت حركة التأليف في هذا العصر فألف العديد من الكتب من مثل « الفتح القسي في الفتح القدسي » ، « وخريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الأصبهاني (ت:٥٩٧هـ)، « والنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» ، لابن شداد(ت:٦٣٢هـ) ، « والكامل في التاريخ » لعز الدين بن الأثير(ت: ٦٣٠هـ) ، و« الاعتبار » ، و« المنازل والديار » لأسامة بن منقذ (ت:٥٨٤هـ)، « والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » و « الوشي المرقوم في حل المنظوم » لضياء الدين بن الأثير(ت:٦٣٧هـ) وغير هذه كثير .

ولقيت المكتبات العامة والخاصة عناية كبيرة من الوزراء والأدباء وكبار رجال الدولة الأيوبية ، (فقد أغرم الأيوبيون بجمع الكتب واعتاد الناس على شرائها وجمعها في مكتباتهم الخاصة)(١٧: ٦٧) . ويذكر المقريزي(ت:٨٤٥هـ) أنه كان(يوجد أربع عشرة مكتبة بمدينة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القاهرة وحدها)(١٨: ٤/٥٧) ومن هذه مكتبة القاضي الفاضل التي ضمت مائة ألف مجلد (١٩).

وشهدت العلوم على اختلاف ميادينها ازدهاراً ملحوظاً ، ففي مجال الفقه وأصول الدين نبغ عدد من العلماء من أمثال الشهر زوري (ت ٥٧٢هـ) والمقدسي (ت ٥٨٥هـ) ،وبهاد الدين القفطي (ت ٥٧١هـ). وابن السديد(ت:٦٩٦هـ) وفي علوم اللغة والنحو نبغت جمهرة من العلماء من أشهرهم ابن ظفر (ت ٥٦٩ هـ) ، ويوسف بن جعفر الأسنائي. (ت ٦٩٠هـ) وفي علم الفلك اشتهر أبو الحسن علىّ القفطي ت (٦٤٦ هـ) ، وفي الطب اشتهر ابن مطران (ت ٥٨٧هـ) ، وعبد الله بن السديد (ت ٥٩٢هـ) ، . وكتب في التاريخ جماعة منهم أسامة بن منقذ، والعماد الأصبهاني ، وابن شداد وكانت الحصيلة الثقافية لهؤلاء العلماء لا تقتصر في المعتاد على علم واحد ، بل كان كل منهم يسعى إلى تثقيف نفسه بمعظم العلوم الشائعة في عصره ، وبذا كان الواحد منهم يجمع بين علم الفقه ، والحديث والقراءات واللغة والنحو والكتابة والتاريخ والطب وغيرها من العلوم إذ لم يكن التخصص الضيق معروفاً في ذلك الوقت.

(وكان من أهم مراكز التدريس في مصر، المدرسة الفاضلية) . (١٨: ٢/٦٦) والصالحية (١٨: ٢/ ٧٤) والعاشورية (١٢) وغيرهم . أما في الشام فكان (أهم مراكز التدريس فيها المدرسة العمرية والناصرية . والعادلية والأشرفية).(٢٠:١٩٥) وكان من أهم الشواهد على هذا الرقي الثقافي ، ديوان الإنشاء ، الذي كان همزة وصل بين الداخل والخارج ، والداخل والداخل ليس في العصر الأيوبي فقط ، وإنما على امتداد الفترات السابقة واللاحقة كذلك .

وكان ديوان الإنشاء هو الموضع الذي يجلس فيه الكتاب ، ونواة هذا الديوان (تشكلت منذ العصر الإسلامي حين كان النبي صلى الله عليه وسلم يكاتب أمراءه ، وأصحاب سراياه من الصحابة ويكاتبونه . ولقد استخدم نيفا وثلاثين كاتبا ، وسار الصحابة من بعده على مجراه) . (١١: ١/٨٩) ولم يكن هناك في البداية تسمية لهؤلاء الكتبة ولا تنظيم يجمعهم، وانما يمكننا اعتباره من أوائل المؤسسات التي وضعت في الإسلام للقيام بمهمة المراسلة والمكاتبة التي تصدر عن الدولة .

وفي دولة بني أمية شهد ديوان الإنشاء تقدماً في التنظيم ، وشهر من كتابه عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، وكان الخليفة هو الذي يوقع على ما يكتب ، والكاتب يكتب ما يبرز اليه من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توقيعه ويصرفه بقلمه على حكمه . وفي فترة الخلافة العباسية كان ديوان الانشاء تارةً مرتبطاً بالوزارة ، وتارة ينفرد عنها بكاتب مستقل . وممن اشتهر من كتاب بني العباسي يحيى بن خالد ، وعمر بن مسعدة، وابن المقفع). (١١: ١/٨٩-٩٤) وفي بلاد المغرب والأندلس ،(سار ولاتهم على سنّة ما كانوا عليه بالشام من اقامة شعار الخلافة ، واتخاذ ديوان الإنشاء ، واستخدام الكتّاب)(١١: ١/٩٤) ولقد كان لديوان الإنشاء عندهم نظم معينة في المكاتبات أشار إلى بعض منها ابن شيث منها أنهم يسمون ولاة امورهم « السادة » و « صاحب الأمر سيدنا فلان » وهذا مخالف لما كان عند المشارقة ، إذ لا يخاطب السلطان في خلال الكتابة إليه بسيدنا مكان مولانا، وذلك لان سيدنا (كأنها خصيصة بأرباب المراتب الدينية والدنيوية ، ومولانا ، تخص السلطان وحده) . (٧: ٦٦) ومنها أنه لم يكن يذكر اسم المكتوب إليه في درج الكتاب . عند المشارقة - (بخلاف مذهب أهل المغرب في الكتابة) .(٧:٦٥-٦٦) .

وفي الديار المصرية كان ديوان الإنشاء ليس بالشيء المعتد به (حتى جاءت الدولة الطولونية فانتظم أمره ، وترتبت أمر الكاتبات والولايات وفي الدولة الفاطمية كان التركيز على ديوان الإنشاء من أكثر اهتمامات خلفائهم ، فولى ديوان الإنشاء جماعة من أفضل الكتاب منهم ابن المعز أبو المنصور بن سوردين ، وولي الدين بن خيران ، وابن الصيرفي ، والموفق بن الخلال - أستاذ القاضي الفاضل ثم القاضي الفاضل). (١١: ١/ ٩٥) إذ كتب لصلاح الدين عندما كان وزيراً للعاضد ، ثم كتب لصلاح الدين عندما انفرد بالحكم ، فكان برزخاً بين نظم الدولتين الفاطمية والأيوبية من حيث الكتابة الانشائية .

ولقد عمل صلاح الدين على إقرار نظم الفاطميين ، فأبقى على ديوان الإنشاء بتقاليده وأنظمته ، وأبلى القاضي الفاضل بلاءا حسناً في ديوان الانشاء حتى قال صلاح الدين « لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل » . (١١: ١ /٩٥-٩٦) وفي دولة المماليك(استمر ديوان الإنشاء على النسق الذي كان جارياً في الفترة الأيوبية). (١١: ١/٨٧-٩٨) . وقد عرف الديوان بأسماء متعددة منها ديوان الرسائل » ، وديوان المكاتبات » و« ديوان الإنشاء » ولقد عرفت هذه التسميات الثلاث في الدولة الفاطمية . أما فيما بعدها (فقد عرف في الدولة الأيوبية بديوان المكتابات ، وديوان الإنشاء). (٧: ٤٤، ٤٦) أما صاحبه ديوان الإنشاء ، فكانت له مكانه رفيعة على مر العصور ، وكان في أغلب الأحيان يجمع بين رئاسة الديوان والوزارة . وكان هذا (المنصب لا يتولاه في الدولة الفاطمية إلا أجلّ الكتاب بلاغة ويخاطب بالأجل ، وإليه تسلمّ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

ابن شيث القرشيّ : حياته وآثاره

١-١ إسمه ونسبهُ :-

هو عبدالرحيم بن على بن الحسين بن اسحق بن شيث بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن مروان بن محمد بن الحمار ، أبو القاسمابن أبي الحسن الكاتب الصعيدي ، المصري ، الأموي ، القرشي ، الفرضيٍّ ، ينعت جمال الدين ، ويعرف بالإسنائي ، بكسر الهمزة كما جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي (٢١ :١/٣٩٥-٣٩٦) وقد جاءت سلسلة نسبه متفرقة في كتب متعددة وقسمت بضبطها من خلال الاطلاع عليها جميعها وهي : معالم الكتابة (٧:٢٣) ، وقلائد الجمان (٢٢:٣٢٥) ، ومرآة الزمان (١٩:٢/٨:٦٥٢) والوافي بالوفيات (٢٣:٣٧٩) ، وفوات الوفيات (٢٤:٢/٢٣٧) ، والتكملة لوفيات النقلة (٢٥: ٢١٧) ، وتلخيص مجمع الآداب(٢٦:٤ / ٢٠١) ، والطالع السعيد (١٢: ٣٠٥) ، وتاريخ الاسلام للذهبي (٢٧:٢١٢-٢١٣) وسير أعلام النبلاء (٢٨: ٣٠١-٣٠٢) ، وصبح الأعشى (١١: ٦/٣٠٧)، والنجوم الزاهرة (٢٩: ٢٧١) ، وشذرات الذهب (٣٠:١١٧) ، والخطط التوفيقية (٣١:٦١)، وقد سماه ابن شاكر الكتبي عبد الرحمن وهو خطأ ، ونقل في الخطط التوفيقية عن الفوات فقال: عبد الرحمن ، والصواب عبد الرحيم ودليل صحتهُ ما قالهُ ابن شيث عن نفسه في مقدمة كتابه معالم الكتابة : « قال العبد الفقير الى رحمة اللّه تعالي عبد الرحيم بن علي بن شيث القرشي عفا اللّه عنهُ » (٧: ٢٣)،ولقد اسقط ابن الشّعار الموصلي « الحسين » من سلسلة النسب وكذلك ابن الجوزي في « مرآة الزمان » واسقط القلقشندي في « صبح الاعشى » ، وابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب » ما بين عبدالرحيم ، وابن شيث ، أما باقي من ترجم لهُ ، فلقد ذكروا كلمة «الحسين»، وانفرد بذكر « اسحق» كل من ابن الشعّار الموصلي ، وابن الجوزي والادفوي ولقد وردت لفظة (شيث) في كل المصادر السابقة « بالتاء المثلثة » ماعدا قلائد الجمان ، ولقد ضبطها المنذري لفظاً فقال « وشيث بكسر الشين المعجمة ، وسكون الياء آخر الحروف ، وثاء مثلّثة » وهذا هو الصحيح كما اعتقد ، ولقد أنفرد ابن الشعّار الموصلي بذكر سلسلة نسبه إلى مروان بن محمد ، أما ابن الفوطي فذكر أنهُ من ولد محمد بن مروان القرشي فقط .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما كنيته « أبو القاسم » فقد ذكرها كل من ابن الشعّار والأدفوي ، وابن الفوطي ، والذهبي أما المنذري فذكر أنّه « أبو محمد » وهو خطأ والصحيح «أبو القاسم» ، وانفرد ابن الشعاروابن الفوطي بذكر كلمة الصعيدي ، و أضاف إليها ابن الفوطي « الاسناوي » وذكر الصفدي ، وابن شاكر الكتبي والذهبي في كتابيه: « الإسنوي القوصي» بضم القاف كما جاء في معجم البلدان (٢١:٤/٣٠١) ، أما الأُموي فذكرها مَنْ ترجم لهُ ما عدا ابن الشعّار ، وابن العماد الحنبلي ، أما القرشي فذكرها كل من ترجم لهُ ما عدا الأدفوي وابن شاكر الكتبي ، والذهبي في سير أعلام النبلاء .

أما ابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » فانفرد بذكر كلمة « الفرضيّ» وهي العالم بتقسيم المواريث ، ولقد بحثت عن معناها في اللسان في مادة (فَرَضَ)،فذكر أنها تعني الذي يعرف الفرائض(٣٢: مادة فَرَضَ)ولعله قصد ذلك . يؤكد ذلك خبرة ابن شيث بالأُمور الشرعية والفقه ،والحديث ونعتهُ بالقاضي كما جاء في مصادر ترجمته .

ولقد ذُكر لقبه « جمال الدين » على هذه الصورة عند كل من ترجم لهُ ، بينما نعتهُ الأدفوي والمنذري« بالجمال»،أما ابن الفوطي فنعتهُ « عز الدين » ولعلّ هذا لقب آخر لهُ ، أما ابن الشعار فلم يتعرض لذكر لقبه .

١-٢ أسرتهُ :

نستطيع أن نتعرف إلى طبيعة حياة ابن شيث الأسريّة من خلال إشارات وردت في مصادر ترجمته ، لأن المعلومات التي وردت عن هذا الجانب ضئيلة ، فلم تسعفنا المظان بأمور تفصيلية ، لذا فإنني سأعتمد في وصف حياته الأُسريّة على الاستنتاج والاستخلاص .

تذكر لنا المصادر ثلاثة من أولاده،أحدهم انفرد بذكرهِ الأدفوي،وهو عليّ بن عبد الرحيم بن علي بن اسحق بن شيث ، وكان ينعت بالعلاء الاسنائي المحتد، المقدسي المولد ، سمع الحديث ببغداد ودمشق ، وحدّث، وسمع منه جماعة ، وتوجه إلى إسنا بلد أبيه ، وأقام بها مدّة ، وتوفى بالقاهرة سنة ٦٧٤ هـ ، وكانت ولادتهُ سنة ٦٠١هـ وهو أكبر من أخيه الكمال (١٢:٣٩) والثاني ذكره كل من الأدفوي (١٢:٥٤-٥٥)والكتبي (٢٤:٦/ ٤٧) وابن تغري بردي في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » وهو(ابراهيم بن عبد الرحيم بن علي بن اسحاق بن شيث ، وينعت بالكمال ، ويكني أبا اسحاق الاسنائي المحتد ، سمع الحديث ، وحدّث، وكان يعرف النحو ، وله نظم جيد وترسل ، وكان يحفظ أحاديث « الموطأ» وقد خدم الملك الناصر داوود وكان من أجلّ أصحابه وترسل عنهُ ، وكانت وفاتهُ سنة ٦٧٤هـ وقد قارب السبعين)(٣٣:١٠٢) .أما الولد الثالث ، فقد انفرد بذكره أبو المظفّر سبط بين الجوزي ، وقد مات هذا الولد في حياة ابيهِ فرثاهُ بقوله: ،

ما الذي اطمع في الدنيا وقد فارقت بعضي

هكذا تنفلت الدنيا من الأيدي وتمضـــي (١٩:٦٥٢-٦٥٣)

١-٣ عقبه :

يذكر ابن تغري بردى في حوادث سنة ٦٢٥هـ واحداً على أنه سبط القاضي جمال الدين القرشيّ يقول « وفيها توفى عبد الرحيم بن عليّ بن إسحاق سبط القاضي جمال الدين القرشيّ ، وكان إماماً عالماً فاضلاً ، غزير المروءة ، كثير الإحسان ، شاعِراً مُترسِلاً وكانت وفاته بدمشق في سابع المحرم ومن شعرِهِ في مليح بالحمّام : -

تجرّد للحمام عن قشر لؤلؤ وألبس من ثوبِ المحاسن ملبوســـاً

وقد زُين الموسى لتزيين رأسه فقلت « لقد اوتيت سؤلك يا موسى » (٢٩:٢٧٠)

إلاّ إننا من خلال التدقيق في هذهِ المعلومات يظهر لنا أنّ المعنى ليس سبطه

وإنّما هُو بذاتهِ يؤكد ذلك الأُمور التالية : -

أـ الإسم :- فليس من المعقول مطابقة اسم السبط لاسم ابن شيث تماماً

ب- الوفاة : فليس من المعقول أن يكون يوم وفاته ومكانها وسنتها واحدة، هو وابن شيث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ– المهنة : وهي الشعر والترسل لكليها .

من خلال ذلك يتبين لنا أنّ ما قصده هو ابن شيث نفسُه وليس أحداً من أسباطه ، وربما قصد بقوله (سبط القاضي جمال الدين القرشي) هو ابن شيث نفسه .

١–٤ بيته :

من خلال التدقيق في سلسلة نسبه يتضح لنا أنه ينحدر من بيت كريم يمتد إلى البيت الأموي، وينتهي إلى قريش .

فهو إذن عريق النسب ،طيب الأرومة ، إلا أن المظانّ قصرّتْ عن إعطائنا صورة متكاملة عن هذا البيت الذي انحدر منه ابن شيث

١–٥ مولده :

أجمعت كل المصادر التي ترجمت لابن شيث أنّه ولد بإسنا بينما اختلفت في تحديد سنة ولادته.

فمعظم هذه المصادر ذكرت أن ولادته كانت سنةَ ٥٥٧هـ كما جاء في الطالع السعيد (٣٠٥:١٢) ، والوافي بالوفيات (٣٧٩/١٨:٢٣)، والفوات (٢٣٧/٢:٢٤)،وتاريخ الإسلام (٢١٢:٢٧) في حين ذكر ابن الشعّار ولادته سنة ٥٦٣هـ (٣٢٥:٢٢)،وذكر الزركلي تاريخاً آخر لولادته هو سنة ٥٥٠هـ. (٣٤٧:٣٤)،وأورد محمد حسين شمس الدين محقق كتاب «معالم الكتابة ومغالم الإصابة » في مقدمة التحقيق أن ولادته كانت سنةَ ٥٤٧هـ نقلاً عن « الوافي بالوفيات » للصفدي كما يذكر . (١٥:٧) إلاّ أن الصفدي يذكر ولادة ابن شيث في سنة ٥٥٧هـ (٢٣: ٣٧٩) وليس سنة ٥٤٧هـ .

وبعد أن دققت في كل هذه الروايات ، أرجح ما ذهب إليه ابن الشعّار الموصلي في «قلائد الجمان » بناء على أمرين هما :

أ– أنّ ابن الشعّار الموصلي أقرب زماناً إلى ابن شيث ممن سواه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- حدوث مساءلة عن هذا الموضوع بين ابن الشّعار ، وابن شيث يقول ابن الشعار : «وكنت أجتمعتُ به بالبيت المقدس في سنة تسع وستمائة وهو إذ ذاك يتولى الديوان ، وسألته عن مولده فقال : في محرم سنة ثلاث وستين وخمسمائة ». (٢٢: ٣٢٥- ٣٢٦)

١-٦ نشأته وتنقلاته :

عاش ابن شيث القرشيْ من سنة ٥٦٣هـ إلى سنة ٦٢٥ هـ ، ولقد كان الصعيد بعامةً هو منشأ ابن شيث في أوائل حياته .

ولقد (شهد الصعيد في هذه الفترة نهضة علمية متمثلة في مدارسه بقوص وإسنا.،وغيرهمامن بلدان الإقليم). (١٢:٤٤-٤٥) نهضة لا تقل بحال عما كان يدور في القاهرة في والفترة نفسها وأقام إبن شيث بإسنا فترة من الزمن ، وكانت(تمثل في وقتها مركزاً ثقافياً وعلمياً مرموقاً ، وحفلت بعدد من الأدباء والعلماء والفقهاء مع وفور أماكن التدريس فيها) .(١٢:٣٠٥,٣٧-٣٩) .

ويقول ابن شيث مصوراً هذا الوضع المزدهر :

فإسنا غدت تحكي العراق وقد غدا أبو الفضل ذو الرأي الرشيد رشيده. (١٢:٣٧)

وفي هذا الجو العلمي كانت النشأة الأولى لابن شيث، فرشف من منابع العلوم الثرة ، واتصل برئيسها (جعفر بن حسان ، الإسنائي ومدحه ونال لديه الحظوة)(١٢ : ٣٠٥) ،ثم انتقل إلى قوص، وكانت أرفع في المكانة العلمية من إسنا ، فوجد فيها ابن شيث معيناً آخر يغترف منه ، حتى برع في العلم والأدب وفاق الأقتران ، (فولي ديوان الإنشاء فيها) (٢٣:٣٧٩) . ويقول ابن شمس الخلافة في « الأرج الشائق» واصفاً حال ابن شيث : « وشهر في الآداب الأدبيةونظم ونثر، وهو في عنفوانه ، وأفضى به . ذلك إلي علو شأنه (١٢: ٣٠٥) وبعدها(انتقل إلى الاسكندرية ، فولى ديوانها) . (٢٣: ٣٧٩)، ولقد كان دخوله مصر في فترة حكم صلاح الدين، يدلنا على ذلك إشارة اوردها ابن الجوزي في «مرآة الزمان» حين قال : « وكان القاضي الفاضل يحتاج إليه في علم الرسائل »(١٩ : ٦٥٢-٦٥٣) و(القاضي الفاضل تولى كتابة الانشاء لصلاح الدين عندما استقر بمصرسنة ٥٦٩هـ) (٣٥: ٢٤)فيكون دخول ابن شيث إلى مصر بعد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سنوات من هذا التاريخ غير محدودة . ويؤكد الأمران أكثر ذكره للناصر صلاح الدين ، وأخيه العادل في « معالم الكتابة » إذ يقول :- « وأما الترجمة إلى الملوك من الأجناد كُلهم « فالمملوك » مع النسبة الى أشهر ألقاب الملك :- كالناصري للناصر والعادلي للعادل» (٥٦:٧) . وذكر كارل بروكلمان أنّ ابن شيث خدمَ في ديوان الإنشاء في عهد صلاح الدين)(٥٦:٣٦) ولم يذكرُ أحد غيره هذه المعلومة وبقي إبن شيث على هذه الحال حتى توفى صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ ، وبعدها (كتب الانشاء بديوان مصر للملك العزيز عماد الدين عثمان بنُ يوسف بن أيوب بن شاذي) (٥٦٧هـ – ٥٩٥هـ) وبعد الملك العزيز (رحل إلى دمشق وصار منشئاً لسلطانها الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب)(٥٧٦هـ – ٦٢٤ هـ) . (٢٢: ٣٢٥) ،ثُمَ (رحل إلى القدس في حدود سنة ٦٠٠هـ ، إذ كان موجوداً فيها سنة ٦٠١ هـ ، يؤكد ذلك ولادة ابنه العلاء هناك في هذه السنّة): (١٢: ٣٩٠)

وفي القدس ولى ديوان الأنشاء ونال مكانة مرموقة لدى الملك الأشرف موسى بن العادل (٥٧٨–٦٣٥هـ) ويؤكد ذلك ما أوردهُ ابن الشّعار (وكان متشوقاً إلي التوجُه إلى الملك الأشرف موسى بن الملك العادل إذ كان بينه وبينهُ معرفة أكيدة ، وخدمة سالفة ، حين كان الملك الاشرف بالبيت المقدس) (٢٢:٣٢٥)، وطالت إقامتهُ بالقُدس . يقول ابن الشعّار « وكنتُ اجتمعت به بالبيت المقدس سنة تسع وستمائة وهُو إذ ذاك يتولى الديوان» (٢٢: ٣٢٥) .

ثُمَّ تركَ القدس (وقدم حلب في صفر من سنة ثلاث عشرة وستمائة ،في دولة الملك الظاهر (٥٦٨هـ–٦١٣هـ) فأنزله وأكرمَه ، وعرض عليهِ الإقامة بحلب ليستخدمه ، ورشحَهُ لوزارتهُ فاقام مدة ، ولم يتهيأ لهُ ما أراده ، فتجهز للرحيل عن حلب ، فصده الملك الظاهر ، ووعدهُ بوعود كثيرة ، وطالت إقامتهُ بحلب (٢٢: ٣٢٥)

وهذا الطول في فترة الإقامة بحلب لم يكُن في الواقع إلا شهوراً فقط بسبب أنَّهُ غادرها ، ثُمَّ (عاد إليها في زمن الظاهر ثُمَّ خرج منها نهائياً بعدَ وفاته سنة ٦١٣هـ). (٣٧: ٩/٣١٢) وقد توجه ابن شيث إلى الملك الأشرف ، (وكانت إقامتهُ في ذلك الوقت بالرُّقة) (٣٨: ١/٨٢) إلاّ أنَّه لم يحظ عندَهُ بما يريد ، فاقام مدة ثُمَّ عاد – يقصدُ إلى حلب – وأجتاز بحلب بعد موت الملك الظاهر ، وتوجه إلى حماة ، فأقام مدة في ضيافة الملك المنصور محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاة الأيوبي (ت ٦١٧هـ) ، ثُمَّ سار عن حماة إلى دمشق وعاد إلى خدمة الملك المعظم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عيسى بن الملكِ العادل ابي بكر بها) . (٢٢: ٣٢٥) .

وفي ظلِ الملك المعظم عيسى حظيَ بمكانة رفيعة حيث (ولى كتابة الإنشاء للمعظم) (٢٣: ٣٧٩) ولم يقتصر الا مرُ على ذلك بل وزر له كذلك (قال الشهاب القوصي : إنَّهُ ولى الوزارة للمعظم): (٢٧: ٢١٢-٢١٣) .

ولقد اتخذه المعظم من جلسائه وسمّاره ، ويقول الصفدي : « وكانت بينه وبين المعظم مداعبات . كتب – ابن شيث – أنه لما فارق المعظم ، ودخل بيته طالبه أهله بما حصل له من برّه فقال لهم : ما أعطاني شيئاً ، فقاموا إليه بالخفاف وصفعوه ، وكتب بعد ذلك :

وتخالفت بيض الأكفّ كأنّها الـ تصفيق عند مجامع الأعراس

وتطابقت سـود الخفاف كأنّها وقعُ المطارق من يد النحاس

فرمى المعظم الرقعة إلى فخر القضاة ابن بصاقة وقال أجبه عنها ، فكتب إليه نثراً في آخره .

فاصبر على اخلاقهن ولا تكن متخلفاً إلا بخـلق الناس .

واعلم إذا اختلفت عليك بأنّه ما في وقوفك ساعةً من باسِ . (٢٣: ٣٧٩-٣٨١)

وهذه المكانة التي حظى بها عند المعظم جعلته مرمى حساده ، ولقد ظل على هذه الحال إلى وفاة العظيم .

وبعد المعظم (وقع التقصير في حقه) (١٩ : ٦٥٣) ، مما أدى إلى مرضه ، (وعندما تولى الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى دمشق سنة ٦٢٤ هـ) (٣٧: ٣٧٤/١٣) رشحّه لوزارته ، و(كان ذلك قبل وفاته بأيام) (٢٣: ٣٢٦)

١-٧ عقيدته :

كان (ابن شيث القرشيّ مشايعاً للإمام عليّ) كما ذكر الخوري الباشا في مقدمة التحقيق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣:١) نستدل على ذلك من عدة أمور :

أ- في مقدمته كتابه يذكر الصلاة على النبي دونما ذكر لأصحابه يقول :« صلى الله عليه وسلم وعلى آله . » (٧ : ٢٣)

ب- يورد في كتابه « معالم الكتابة » قولاً لا يتلفظ به إلا الشيعيون وهو : (ومنه قول علي صلوات الله عليه - « الدنيا دار ممر والآخرة دارمقر ، فخذوا من ممركم لمقركم ..» (٩٨:٧)

جـ- يذكر كلاً من الحسين والحسن ويقول :«عليهما السلام ». (٧: ٩٦)

د- تفسيره لأي القرآن الكريم يبتعد عن المأثور وإنما يتخذ منهجاً عقلياً قوامه الرأي الشخصي ومن ذلك (أن قوله « نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة » دليلٌ على الإباحة ويرفع المؤاخذة ،لأن الولي كفيل ، والمكفول لا حرج عليه فيما أباحه الكفيل) (٧:٩٠) كما استخدم مصطلحات خاصة به مثل الإشارة (٧) التي تكررت .

من هنا يترجح لدينا أن أبن شيث القرشيّ كان يغلب عليه التشيع ، ولا غرابة في ذلك فهو قد نشأ بإسنا و(كان التشيع بها فاشياً ، والرفض بها ماشياً).(١٢:٣٩) والرفض هو(التشيع والأصل فيه رفض اتباع الامام زيد بن علي بن الحسين لمقالته «جواز إمامةُ المفضول مع قيام الفاضل » وامتناعه عن سب الشيخين ، فلقبوا من أجل ذلك بالرافضة أو بالروافض ثم تجوز في الاستعمال حتى صارت كلمة « الرفض » تطلق على التشيع عامة) (٣٩: ١٠٧) إلا أنه كان من الشيعة المعتدلين ، فلا نجد له قذفاً على الصحابة ، أو سباً عليهم .ولا تدري هل بقي على تشيعه أم لا ، ونرجح أنه عدّل عنه لملازمته الملك المعظم(وهوحنفي المذهب) كما جاء في « أمراء دمشق »(٤٠ : ٦٢) فلقد أثّر على سبط بن الجوزي .(وجعله يعدل عن مذهبه الحنبلي إلى الحنفي)(٤١ : ٤١)فلاندري هل أثر على ابن شيث إذ كانت صلته معهُ قوية كماجاءَ في المصادر ، ولقد وصفَ ابن شيث في معظم المصادر، بأنّهُ كان ديناً فقيهاً بارعاً في الأمور الشرعية فضلا عن توليه القضاء ، كُل ذلك يرجح أنه عدل عن التشيع . ويتنافى استمرار التشيع الذي ينسب إليه مع توليه الوزارة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن ذلك يحدُثْ إضطراباً بين النَّاس فلقد أشار ابن الفرات في حوادث سنة ٥٩٧هـ الى (وقوع نزاع بين أهل السنة والشيعة)(٤٢ : ٢١٧)

١-٨ أخلاقهُ : -

مدحه بكرم الأخلاق كلّ من ترجم لَهُ فقال ابن الجوزي « كانت لَهُ نفسٌ شريفة وهمه عالية منيفة ». (١٩ : ٦٥٢) وكان فاضلاً حريصاً على مصلحة العامة قال الضياء « كان يوصفُ بالمروءة والإحسان إلى الخلق ، ما قصدهُ أحد في شفاعة فردّهُ خائباً ، وكانَ يمشي بنفسه مع الناس في قضاءِ حوائجهم ، وكان كثير الصَّدقات واسعُ المعروف ، غزير الأحسان» . (٣٨: ٣١٤ - ٣١٥) .

وقد مدحَهُ الصفدي فقال : « وكان ورعاً ديناً » . (٢٣: ٣٧٩) وكانت هذه الخلال الكريمة ملازمة لهُ منذُ النشأة الاولى يقول ابن شمس الخلافة : « وكان ممن حلتْ فيه عند الولادة روح الفضيلة ، ،ومزجت لَهُ الرضّاعة بدرها كُلّ خلَّة جميلة فنشأ والفضلُ لَهُ طبع والعلم له ملة وشرع » . (١٢: ٣٠٥) ويدلنا على أخلاقه تلكَ الصفات التي اوردها في كتابة . والتي نصّ على أن يتحلى بها كاتب الإنشاء ، وهو أحدَهُمْ ، بل وأرفعُهم مرتبة، وبالتالي فإن هذهِ الخلال الكريمة متمثلة فيه بالدرجة الأولى .

١-٩ مكانتَهُ :-

جاءَ في المنهل الصافي لابن تغري بردى في ترجمته لإبنه ابراهيم ، مفاده : (وكان أبوه الأمير جمال الدين من كبار دولة المعظم) (٣٣: ١٠٢)

ومن خلال هذهِ الأشارة يتبين لنا أنَّ إبن شيث قد تولى إمارة مكان ما في حياته ولكن لم تسعفنا المصادر بمزيد عن هذا النعت وجاء في تاريخ الاسلام للذهبي أنَّه «ولى الوزارة للمعظم » . (٢٧: ٢١٢) (ورشح لوزارة الناصر داوود) (٢٢: ٣٢٦) ، وهذا المكان لا يصِلُ إليهِ إلا من كان جديراً به .

ولقد نعت (بالقاضي الفاضل)كما جاءَ عند المنذري (٢٥: ٢١٧) ونعت (بالقاضي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما جاءَ في « تاريخ الإسلام » (٢٧ : ٢١٢) ، ونعته الذهبي أيضاً « بالوزير » .

ولقد أشاد بمكانته في العصر الحديث حسن باشا إذ اعتبره من أساطين المقننين لديوان الإنشاء يقول : « وشَهِدَ العصر الأيوبي ، ومن بعده عصر المماليك ، أساطين المقننين لديوان الإنشاء أمثال ابن الأثير وابن شيث والعمري والقلقشندي » (٦ : ٢٧)

١ – ١٠ ثقافته :–

ذكرنا في الحديث عن نشأة ابن شيث القرشي أنها كانت في أسنا ثم قوص وأشرنا إلى الوضع الثقافي والعلمي الذي كان سائداً فيها .

ولقد أتاحت هذه النهضة الثقافية التي شهدها الصعيد لابن شيث أن ينهل من كُلِّ المعارف التي كانت في عصره .

وكانت تنقلاته بين الأقطار المختلفة رافداً في اكتساب الخبرة والاحتكاك بشخصيات مرموقة لها مكانتها في ذلك الوقت كالقاضي الفاضل . ونستدل على الرصيد الضخم من الثقافة التي حازها ابن شيث من خلال كتابه « معالم الكتابة ومغانم الإصابة » ، فلقد ضم بين دفتيه معارف ابن شيث ، وكان على رأسها المعرفة بالقُرآن الكريم حفظاً وتفسيراً حيثُ كان ابنُ شيث يضع آي القرآن في مقدمة مايستشهد به على أقواله . (٣٣ : ١٠٢) وكانت لَهُ معرفة بالحديث (٧ : ٩٦) وتبحرّ في الفقه وممارسته حيث نعت بالقاضي الفاضل (٢٥ : ٢١٧) ، والقاضي الرئيس (٢٣ : ٣٧٩) والقاضي الإمام (٣٠ : ١١٧) ولم يقتصر الأُمر على مجرد الالمام بهذه العلوم بل كانت لَهُ التقدمة فيها ، يقول ابنُ شمسِ الخلافة : وبرع في الأمور الشرعية » (١٢ : ٣٠٥)، ولقد وضع هذه المعارف الشرعية في تصانيف يقول ابن الشعّار الموصلي : « وله تصانيفُ حسنةٌ في أصول الدين والرقائق » . (٢٢ : ٣٢٦) إلا أنَّها لم تصلنا . ولهُ حفظٌ لأشعار العرب ، إذ استشهد بما يزيد على الخمسين بيتاً في كتابه « معالم الكتابة » ، ويؤكد حفظه قوله في المقدمة : « وكلّه مما كتبته على الخاطر بديهةً وارتجالاً » (٧ : ٢٤–٢٥)، ويُضاف إلى ذلكَ معرفته بالأمثال التي وردت عن العرب ، حيث أفرد الباب السادس كُلَّهُ لذكرِ الأمثال ، وكانت لَهُ معرفةٌ بلغةِ العرب ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد أفرد الباب الثامن من كتابهِ للتصحيح اللغوي أو لنقل هكذا تكلّمت العرب ، والباب الخامس أفردهُ لألفاظ يقوم بعضها مقام بعض ، ولم يقتصر على جانبٍ واحدٍ من جوانبِ اللغة ، بل شملت ثقافته معرفة الغريب منها، والمعاني والبلاغة حيث أفرد الباب الرابع لها فضلاً عن إلمامه بالكتب السَّابقة في هذا المجال فقد أشار إلى (ابن المعتز والأصمعي) (١٠٢:٧) وشملت معرفته طريقة الكتابة الصحيحة لهذهِ اللغة، ويثبت كتابَهُ أنَّ له إلماماً بالنحو فقد تحدث عن التعدي واللزوم والتعجب وأفعال المقاربة والشروع وغير ذلك ، وامتدت معرفته إلى الصرف فقد تحدثَ عن التصغير ، والنسب ،والتثنية وكان لَهُ اطلاع على ما كتب المناطقة وما كُتب في الإنشاء ، فإنَّهُ أشار إلى قدامة بن جعفر بقوله :«وحكى قدامة أن النقط والشكل كانا غير مستعملين في الكتابة» (٦٨:٧) ولأبن شيث قدم راسخة في كتابه الإنشاء ومعرفة قواعدِها ، يثبت ذلكَ هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، ولَهُ خبرة بنظم الشعر على بحوره ا المعروفة ولقد نبغ في هذه المعارف جميعاً يقول إبن الجوزي :« وكان إماماً في فنون العلوم من المنظوم والمنثور (٦٥٢:٦٩) وقد أشادَ بهِ الصفدي فقال : « وبرع في الأدب والعلم » . (٢٣: ٣٧٩) وكان نبوغه في هذه العلوم في مرحلة مبكرة من حياته ، يدلّنا على ذلك الإشارة السَّابقة الذكر عن حاجة القاضي الفاضل إليه في علم الرسائل ، فإنَّ إتصاله به كان في مرحلةٍ مبكرة من حياته ، كما أن علم الرسائل يحتاج أن يكون صاحبهُ ملماً بكُلِ مُستلزماتهِ من العلوم الأخرى ،ويؤكد ذلكَ الذهبي بقوله : « وتفنن في الآداب بقوص مع الدين والورع وحسن التأليف» (٢٨: ٣٠١) وتوليه إبن شيث لديوان الإنشاء بصورة متكررةِ ابتداءاِ بقوص ، وانتهاءً بكتابة الإنشاء للمعظم ، فضلاً عن ترشيحه لوزارة الملك الناصر داوود ، أكبر دليل على تأصّلهِ بمعارف عصرهِ وعلومِهِ ، لأنَّ هذا المنصب لم يكن يتولاه إلا من كان جديراً بِهِ بحكم معارفِهِ وشخصيته .

١-١١ شيوخُهُ :-

أ- القاضي الفاضل :(٥٢٩-٥٩٦هـ)

ويأتي على رأس شيوخه فقد لازمه فترة من الزمن ، فلا بُدَّ أن يكون قد تتلمذ عليه ، وخاصة أن هذهِ الملازمة كانت في ديوان الإنشاء . ويخبرنا الصفدي أنَّ ابن شيث قد تتلمذَ على القاضي الفاضل إذا أورد نقلاعن ابن العديم ان(ابن شيث كان ببيت المقدس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكتب بينَ يدي الفاضل).(٢٣: ٣٤٥) .

ب- الضياء المقدسي : (٥٦٩هـ - ٦٤٣ هـ)

وهُوَ (محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعديّ ، المقدسيّ الأصل ، الصالحي الحنبليّ ، أبو عبد الله ، ضياء الدين ، عالم بالحديث ، مورخ من أهلِ دمشق مولداً ووفاة، بنى فيها مدرسة دار الحديث الضيائية بسفح قاسيون ، لَهُ مؤلفات كثيرة منها «الاحكام ، « وفضائل الأعمال » وغيرهُما) (٢٤: ٤٢٦) . ويثبت تلمذه إبن شيث عليه من إشارة اوردها الذهبي يقول : « ونقل عن الضياء المقدسيّ والشهاب القوصي» (٢٧: ٢١٢) ،ولا ندري أين ومتى كانت تلمذته عليه ففي « الفوات » يذكر (أن الضياء رحل إلى مصر سنة ٥٩٥هـ) وأنَّه (رجع إلى دمشق بعد الستمائة) (٢٤: ٤٢٦) ولذا لا نعرف في اي الفترتين كانت تلميذتهُ عليه . ولقد مدحَهُ شيخَهُ الضياء كما ذكرَ ذلِكَ الذهبي (٢٧) وهذا يدُل على علو مرتبته لدى أُستاذِهِ.

جـ- الشهاب القوصيّ (٥٧٤ هـ - ٦٥٣ هـ) .

هو(اسماعيل حامد بن عبد الرحمن بن المرجيّ ، ينتهي نسَبُهُ إلى سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي ، وهو قوصي المحتد ، شافعي المذهب ، ينعت شهاب الدين ، وكنيته أبو الطاهر وأبو العرب ، وأبو المحامد ، وأبو الفداء ، نزيل دمشق ، كتب عنه جماعة كثيرة من أهل العلمِ والأدب ، ومن مؤلفاتِهِ « تاج المعاجم ») (١٢: ١٥٧- ١٥٩) وتأتي تلمذة ابن شيث عليهِ من الإشارة التي اوردناها في بند (ب)

د-الحافظ المقدسيّ (٥٤٤- ٦١١هـ) :-

هو (عليّ بن المفضل بن عليّ بن مفرج بنُ حاتِم ، أبو الحسن ، شرف الدين اللخمي الإسكندري : فقيه مالكي من الحفاظ ، لَهُ تصانيف في الحديث وغيره ، ومقاطع شعرية وأصله من القدس ومولده وسكنه بالإسكندرية ووفاته بالقاهرة) (١٣: ٢٩٠ - ٢٩٢) وتأتي تلمذة ابن شيث عليه من إشارة أوردها المنذري (٥٨١ - ٦٥٦هـ) يقول :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

« وكان شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسيّ يصفه، بسرعة النظم ، وقدم مصر وحدّث بشيء من شعره» (٢٥:٢١٧)

١-١٢ تلاميذُه :-

كان لابن شيث تلاميذ عديدون ، يدلُ على ذلك ما أورده إبن شيث في مقدمة كتابِهِ « معالم الكتابة » يقول :- « وإني لاسترجاع ما يصدرُ مني غير معوّد ، وربما شاهدَ ذلِكَ كثيرممن كان يحضرني » (٧:٢٥) . إلا أن المصادر لم تذكر لنا هؤلاء التلاميذ ، ومن خلالِ البحث والتنقيب لم أستطع العثور إلا على إسم واحدٍ منهُم هُوَ إبن الشعّار الموصلي (٥٩٣هـ - ٦٥٤هـ) : وهُوَ(المبارك بن أحمد بن حمدان بن أحمد بن علوان الموصلي أبو البركات ،كمال الدين ، المعروف بإبن الشّعار ، مؤرخ أديب ، خفظت بفضلِهِ أخبار شعراء عصره ، مولده في الموصل ، ووفاته بحلب ، ضنف « عقود الجمان في شعراء هذا الزمان » وغيره). (٢٦ : ٢١٨)ويدّلنا على تلمذة ابن شيث عليه إشارة أوردها إبن الشعار في قلائد الجمان يقول : - « «وكنت إجتمعت به بالبيت المقدس في سنة تسع وستمائة ، فانشدني شيئاً من نُظُمِهِ ، ووهبني كتابا من تأليفِهِ قرأتُهُ عليه، وأنشدني بحلب أقطاعاً من شعرهِ» (٢٢: ٣٢٥)

١-١٣ رواة شعره :

يطالعنا عددُ لا بأس به ممن أهتموا بنقل شعره ،وقد ذكر إبنُ الشّعار إثنين منهم هما : -

- أبو المجد اسعد بن ابراهيم بن حسن العلاَّمة (مجد الدين الإربلي . مولده سنة ٥٨٢هـ، ولى كتابة الانشاء لصاحب إربل من اعمال الموصل ولَهُ شعر في مدح المستنصر) (٣٣: ٣٦٨- ٣٦٩) ، اذ يقول ابن الشعار« وانشدني أبو المجد أسعد بن إبراهيم الكاتب الإربلي قال :- أنشدني أبو القاسم إبن شيث لنفسه » (٢٢: ٣٢٦)

- القاضي أبو المآثر عبد الصمد بن عبدالله بن أحمد المصري لم أعثر على ترجمته ، يقولُ إبن الشعار :-« أنشدني القاضي أبو المآثر عبد الصمد بن عبدالله بنُ أحمد المصري قال: - أنشدني أبو القاسم بن شيث لنفسه » . (٢٢: ٣٢٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ومنهم الحافظ المقدسيّ ، يقول الأدفوي نقلاً عن المنذري « وكان الحافظ المقدسي يصِفُه بسُرعَةِ النظم وحدَّث بمصر بشيء من شعرهِ ، وكتب عن بعض أصحابِهِ شيئاً من شعره ورواهُ عنه » (١٢:٣٠٦)

- ومنهُم إبن أبي المنصور لم نعثر على ترجَمتُه ، قال الادفوي : « وقال إبنُ أبي المنصور في كتابِهِ البداية : أنشدني لنفسهِ في شمعة» (١٢: ٣٠٦) ثم يورد بيتين من الشعر .

- ومنهُم سبط بن الجوزي يذكُر في رثاءِ إبنه بيتين من الشعر .(١٩) .

- ومنهُم المنذري (٥٨١- ٦٥٦هـ) : وهو(عبد العظيم بن عبد القوي بن عبدالله، أبو محمد ، زكي الدين ، عالم بالحديث والعربية ، من الحفاظ المؤرخين من مؤلفاتهِ «التكملة لوفيات النقلة » وغيره) (٢٤: ٣٦٦) وكان من المهتمين بنقلِ شعرِ ابن شيث يقول : « كتبت شيئا من شعرِهِ عن بعضِ أصحابِهِ ». (٢٥: ٢١٧) منهُم الشهاب القوصي ، وابن الشعار الموصلي وقد سبق ذكرهم

١-١٤ صلاتُهُ ومع أربابِ العلم في عصرهِ : -

أ- مع القاضي الفاضل (٥٢٩- ٥٩٦ هـ) :-

لا نعرف متى بدأت صلته به على وجة التحديد ولكن يمكننا القول بأنَّ هذهِ الصلة تواصلت ببيت المقدس كما أشار الصفدي نقلاً عن ابن العديم (٢٣) . فلقد قصّرت المظان في إعطائنا صورة متكاملة عن بداية هذهِ العلاقة ، إلا أننا من خلال إشارات يتضح لنا أنها علاقة تلمذة فالفاضل هو أستاذ ابن شيث ، كما جاءَ في «الوافي بالوفيات» ، وهذه العلاقة متينة استمرت حتي نهاية حياة الفاضل يؤيد ذلك كتابة ابن شيث عنهُ بعدَ وفاتهِ (وكان كثيرَ المال حتى إنَّ وكيلَةُ إبن سناء الملك قال كان دخلُه في كل يومٍ خمسين ديناراً ، وقال القاضي جمال الدين ابن شيث على ما شاهدتُهُ مسطوراً. كان للقاضي الفاضِل – رحمَهُ اللَّه – بمصر ريع عظيم يؤجر بمبلغ كبير ، فلما عزم علي الحج ، ركبَ ومرَّبه ، ووقف عليه وقال :- اللَّهم إنَّكَ تعلَمُ أن هذا المال

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس شيءٌ أحبَّ إليَّ منه ، أشهد أنني وقفته على فكاك الأسري ، وسارَإلي مكة وهوَ إلى يومنا هذا وقف)، (٢٣:٣٤٥) تؤكد لنا هذه الإشارة أنَّ ابن شيت قد كتب عنهُ هذا بعدَ فترةٍ من موتِهِ يدعم ذلكَ قوله : « مسطوراً »، ورحمه اللّه ، وإلى يومنا هذا ، وهذهِ العلاقة متينة كما ذكرنا ، إذ إنَّ ابن شيث يعرفُ أموراً دقيقة وخاصة عن القاضي الفاضل لم يعرفها غيرهُ من النَّاس منها أنّه عندما يركبُ دابّتهُ « ينتقل» فجاءَ في «الوافي« (وقال الصاحب كمال الدين إبن العديم أنَّهُ سمعَ عبد الرحمن بن شيث بالبيت المقدس وكان يكتب بين يدي الفاضل يقول : كان النّاس يشكون من الفاضِل قلّة إهتمامِهِ بهم ، وأنّه لا يوفيهم ردَّ السَّلام إذا لقوهُ في طريق اقال : ولم يكن ذلكِ كبيراً منهُ ، وإنّما كان يرى أنَّهُ لا يُضيع وقتاً من أوقاتِهِ إما في مصلحة وإما في غباب ، فإذا ركبَ الدابّة ينتقل عليها ، ويمر به الانسان فيُسلِم عليه فلا يقطع صلاته ، فهذا كان سبب إهماله الاحتفال بالناس في رَدِّ السَّلام)(٢٣: ٣٤٥)

ب- مع أبي المظفر سبط بن الجوزي - ٥٨١-٦٥٤هـ) :-

وهُوَ (يوسف بن قز أو غلى بنُ عبد اللّه سبط أبي الفرج بن الجوزي ، أبو المظفر شمس الدين)(٣٥: ١٣/١٩٤) ودليلُ هذه الصِّلة إشارة أوردها إبن العماد الحنبلي في (الشذرات) حين ترجَمَ لإبنِ شيث ، يقولُ ابنُ العماد «كتب إليهِ أبو المظفر كتاباً يتشوقُ إليه فأجابه »(٣٠:١١٧) ولقد حققت في اسم أبي المظفر هذا ، فعرفتُ أنّه سبط بن الجوزي ، يدلُّ على ذلِكَ أنَّ إبن العماد الحنبلي في « الشذرات » ينقل عن « مرأة الزمان» لابن الجوزي فتارة يقول : « قال سبط بن الجوزي » (٣٠: ٢٩) وأخرى يقول : « أبو المظفر سبط بن الجوزي » (٣٠:٨٢) وفي موضع آخر« ذكر أبا المظفر » ومرة اخرى يقول « وقال الذهبي – وقال ابن قاضي شهبة في تاريخ الإسلام .. وقال أبو المظفر » (٣٠: ١٧٥) وفي مواضع أخرى يقول : قال ابن الجوزي (٣٠) ، ومما يدل على أن « أبا المظفر » هو كنية إبن الجوزي ، ان ابن تغري بردى في « النجوم الزاهرة » يكررُها مرات ومرات وحدها (٢٩) حينما ينقل عن « مرآة الزمان » ، وأغلب الظن أنّ هذهِ الصِّلة بدأت في دمشق عند المعظم عيسى بن الملك العادل يثبت ذلكَ أنّهُ دخلَ دمشق في أوائل الستمائة ، وبقي فيها حتى وفاة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعظم يقول ابن العماد الحنبلي « وقدم دمشق سنة بضع وستمائة فوعظ بها وحصلَ لهُ القبول العظيم » (٣٠: ٢٦٧) ويحدد إبن كثير هذا الوقت فيقول في حوادث سنة ٦٠٧هـ : « وفيها جلسَ أبو المظفر سبط بن الجوزي للتدريس بدمشق » (٣٥: ٥٨) ويذكرُ إبن الجوزي في حوادث سنة ٦٢٤هـ عن وفاة المعظم « وتكلمت أول يوم في غرائه فغلبني البكاء ، وكان محسناً للرعية ، وكان يحضر مجالسي بجامع دمشق ، ولما رجع من الحج سنة ٦٢١هـ حضر مجلسي بجامع دمشق » (١٩: ٦٤٩) ولقد كان أبو المظفر من المقربين للمعظم عيسى ، يؤكد ذلكَ قول إبن الجوزي : «وكتب المعظم عيسى – وهو بمصر –إليَّ وأنا بدمشق كتاباً بخطهِ» (١٩– ٦٠٤) ولقد فوّضه المعظم عيسى بمرسوم منهُ التدريس بمدرسة شبل الدولة ، يقول ابن كثير في حوادث سنة ٦٢٣ هـ : « وفيها فوض المعظم إلى سبط بن الجوزي التدريس بمدرسة شبل الدولة بقاسيون، وحضرَهُ أعيان دمشق ولم يتخلف أحد » (٣٥: ١١٢) وكان ابن شيث بالمثل مقرباً إلى المعظم عيسى ، ومن هُنا نشأت الصِّلة بين الطرفين وكانت وثيقة ، يؤكد ذلك وجود مكاتبات بينهما كما يذكر ابن العماد الحنبلي (٣٠) وثمة أمور تثبت وجود صلة بينهما منها:

١– المعاصرة فكلاهما عاش فترة في القرن والسادس السابع الهجريين .

٢– كلاهما قضى فترة في دولة المعظم عيسى بدمشق وكانت الفترتان متزامنتين إلى حد ما.

٣– كل منهُما تربطَهُ صلة وثيقة بالمعظم مما يتيح فرصة اللقاء بينهما .

٤– ابن الجوزي كان هو الوحيد الذي ذكر في ترجمته لابن شيث أموراً لم ترد عندَ غيره وفي الوقت نفسه تَدُلُ على معرفة به مثل : ذكر صلتهِ بالقاضي الفاضل ، وذكر ولد صغير لَهُ مات في حياته فرثاهُ . ذكر حالَهُ بعد موت المعظم ، وسبب وفاته، وتحديد فترتها بالضبط ومكان دفنه، وذكر ما تفوه بهِ في فترة مرضهِ .

٥– مقولة ابن الجوزي « فمرض أياماً ثم أسكت ، فبلغني أنَّهُ سأل الله أن يريحه من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدُّنيا ، فأستجاب الله دعاءه ، وسمع نداءه » (١٩: ٥٦٣)، تدل على الاهتمام بهذا الرجل والسؤال عنه بعد وفاته وخاصة كلمة «بلغني » وهذا الإهتمام لا يكون إلا بعزيز كُل هذه الأُمور تدلُ عل أن الرجلين كانت تربطهما صلة وثيقة ، وخاصة إذا نظرنا في تلكَ الأبيات التي كتبها ابن شيث متشوقاً إليه :-

وافى كتابُك وهو الروض مبتسماً عن ثغردرّ طغى من بحركِ الطامي

وكان عنـــدي كالماء الزلال وقد تنـــاولته يمـــين الحائم الظامي

للّه نفحة فضـــل منه رحت بها نشوان أسحب أذيالي واكمامي (٣٠:١١٧)

جـ- مع ابن عنين : (٥٤٩هـ-٦٣٠هـ)

وهو(محمد بن نصرالله بن مكارم بن الحسن بن عنين ، أبو المحاسن ، شرف الدين الدمشقي الأنصاري مولده ووفاته بدمشق) (٢٥: ٣٣٦- ٣٣٧) . ابتدات صلةابن شيثً به عندَ المعظم عيسى لأنّ (ابن عنين نفى في عهد صلاح الدين إلى الهند بسبب هجاته للقاضي الفاضل) (١٩ : ٤٧٣) ولما مات صلاح الدين ، دخل دمشق في عهد العادل فمدحهُ ومدحَ اولادَهُ (٣٥: ١٣٨) .

إلا أن ابن شيث لم تكن له صله بالعادل بناء على ما جاء في مصارد ترجمته ، ومن هنا يترجح لنا على أغلب الظن أن معرفته بأبن عنين كانت عند المعظم في دمشق . إذ إن إبن عنين كانت له صلة مع المعظم عيسى ، فقد (تولى الكتابة للملك المعظم في آخر دولته)(٣٥: ١٣٨)

ولم يسلم العظيم من لسانه ، فقد (هجاه ابن عنين عندما أرسل له بخمر ونرد، وكان قد اعتكف بالمسجد وأظهرالنسك ، وذلك سنة ٦١٦هـ فقال ابن عنين :

يا أيها الملك المعظم ســـــــنةً أحدثـــها تبقى على الآباء

تجري الملوك على طريقك بعدها خلع القضـــاة وتحفة الزهاد) . (٢٣-٣٨٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربما يرجع السبب في فساد العلاقة بينهما إلى أن المعظم فضل ابن شيث عليه ، مما أوغر صدره على كل منهما .

و(كان ابن شيث قد رمي من ابن عنين بالداء العضال ، فإنه هجاه مرات . (٢٣: ٣٨٢) ومن ذلك قوله :[مجزوء الكامل] :

الله يعلم يا ابن شيث   ما حَصــَّلتَ من الكتابة

إلا على الداء ، الذي   خُصـّــتْ به تلك العصابة)   (٢٣: ٣٨٢)

(وقوله ايضاً : [الكامل]

أنا وابن شيت والرشــــيد ثلاثة   لا يرتجـــى فينا لخلق فائدة

من كل من قصرت يداه عند الندى   يوم الندى وتطول عند المائدة

فكأننا واو بعـــمروألحقـــت   أو إصبع بين الأصابع زائـدة

ومنها قوله مصحّفاً : [الوافر]

محال أن تجد في الخلق شخصاً   عريق الأصل ممتدحاً كريماً

فاذا انكرت ما قد قلت فيهـم   فميز أين شئت تجد لئيما)   (٢٣: ٣٨٢)

وهذا الهجاء يدلنا على أن ابن شيث قد فاقه منزلة ومقدرة مما أوغر صدره عليه وأغراه بذمه .

د– مع الرشيد النابلسي: (ت ٦١٩هـ)

وهو(عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن المفرّج بن بكّار ، رشيد الدين النابلسي . شاعر مجيد ، ونبيه الذكر امتدح الملوك من بني أيوب)(٢٢: ٣٧١) ، ولعل صلته بابن شيث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بدأت في دولة المعظم عيسى نستشف ذلك من(قول ابن عنين :

أنا وابن شيث والرشيد ثلاثةٌ لا يرتجي فينا لخلق فائدة) (٢٣: ٣٨٢)

ولقد أشار د. احسان عباس في هامش « الفوات » عن الرشيد هذا بقوله :« هو الرشيد النابلسي» (٢٤: ٣١٥) ويؤكد ما أشرنا إليه من أجتماع الثلاثة لدى المعظم ما قله ابن الشعار في ترجمته للرشيد النابلسي : « واتصل بآخرته بالملك المعظم شرف الدين عيسى صاحب دمشق، ولم يزل منقطعاً إليه إلى أن توفى »: (٢٢: ٣٧٧)

وترجع هذه الصلة بين ابن شيث والرشيد إلى إشارة أوردها الذهبي في « سير أعلام النبلاء » قال . « انشدني الرشيد الأديب ، انشدنا الشهاب والقوصي قال : أنشدنا الوزير جمال الدين ابن شث لنفسه » . (٢٨: ٣٠٢) ويورد أبياتاً من الشعر . ويقول الذهبي في « تاريخ الأسلام » : « أنشد نارشيد الأديب ، أنشدنا أبو العرب القوصيّ ، أنشدنا الوزير جمال الدين أبو القاسم عبد الرحيم بن علي بن شيث لنفسه» . (٢٧: ٢١٢) وفي هذا ما يدلّ على أن الرشيد النابلسي كانت له صلة وسماع من ابن شيث القرشيّ

هـ- مع القاضي أبي القاسم . وهو كما اشار المحقق في هامش (٢) من « قلائد الجمان » أنه (عمر بن أبي الحسين العقيلي) . (٢٢: ٣٢٥) ودليل صلته به إشارة أوردها ابن الشعّار يقول :« حدثني القاضي أبو القاسم - أدام الله سعادته - في ذكر عبد الرحيم هذا قال: وقدم علينا مدينة حلب في صفر من سنة ثلاث عشرة وستمائة في دولة الملك الظاهر»: (٢٢: ٣٢٥) ويورد بعد ذلك ابن الشعار تفاصيل دقيقة عن تنقلات ابن شيث من خلال حديث القاضي أبي القاسم (٢٢) . مما يدل على أن لهذا الرجل معرفة عن قرب بابن شيث ، إلاّ أن المظان قصّرت عن إعطائنا صورة واضحة عن هذه العلاقة.

و- صلته مع ابن العديم: (٥٨٨هـ- ٦٦٠هـ)

وهو (محدث من الكتّاب ولد بحلب ورحل . إلى دمشق وفلسطين والحجاز والعراق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوفي بالقاهرة ، له كتب ، وله شعر حسن) . (٤٣ : ٣٦- ٥٧) ونستدل على صلته به من إشارة جاءت في « الوافي بالوفيات » وهي (وقال الصاحب كمال الدين بن العديم أنه سمع عبدالرحيم بن شيث بالبيت المقدس وكان يكتب بين يدي الفاضل قال : ...) (٢٣ : ٣٤٥) فهذا السماع يدل على أن لقاء كان بينهما وكونه يحدث بما سمع منه بدل على أن هناك اهتماماً به ومن ثم نجده ينقل عنه بثقة .

١-١٥ آثارة :

آولاً نثره :

مارس ابن شيث الكتابة الانشائية ، فبرع فيها ، يثبت ذلك كتابه (معالم الكتابة) الذي قعّد فيه لاصولها ، وما ينبغي أن تكون عليه وقد أشاد بانشائه كل من ترجم له بقول ابن الشعّار الموصلي: « بقيّة الشيوخ الكتّاب البلغاء ، وأصحاب الدواوين الفضلاء ، وكان ذا فضائل كثيرة ورسائل شهيرة » .(٢٢ : ٣٢٥) .

وقال فيه المنذري : « فاضل مشهور ،وكاتب مذكور ،وله رسائل وشعر . في غاية الجودة » (٢٥: ٢١٧)

إلا أن هذه الرسائل لم تصلنا ، ولعلّ السبب في ذلك راجع إلى طريقة ابن شيث في الكتابة حيث يقول في مقدمة كتابه « معالم الكتابةً»:« ولا رسمت فيه شيئا مما تقدم من مكاتبتي لأني لاسترجاع ما يصدر مني غير معوّد ، واكثره لم يكن له عندي أصل لأنه كان غير مسود» . (٧:٢٥) ولم يصلنا من هذه الرسائل سوى رسالة واحدة . ولقد اثرت أن أودعها في هذا البحث ، وأقوم بتحليلها للتعرف على طريقة ابن شيث في الكتابة وإليك نصّها كما وردت في كتاب معالم الكتابة يقول ابن شيث :

« وقد كتبت مرةً إلى بعض الناس – وكان يتبارى بألفاظه ، ويتباهى بمعارفه على طريق التهزؤ به:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما بعد فإنك رجل منُ شُذّاذ الدّهماء ، وسُقاط السَّفلة ،ورعاع الرعيّة ، وهمج السواد ، اشبه بالشاء والنعم من الإناسي ، وكأنّك من الجنان العفاريت لشوهة المنظر ، وشناءة الشنشنة ، كأن رأسك بيضة دجاج ، أو قطعة من زبد طام قذفتها إلى البريد الأمواج، ليس للحجى فيها مستقر ولا للنهي بها مستودع ، وكر يمناك أن طمحتا لعب بكوكبيهما الزّور ، وإن عمضنا طمسهما الجحظ .

أكبُّ المارن ، أفطُّ شاطي الصفحتين ، أكلحُ المتوسم أقلح المتبسم يتطنأك الرائي إذا تطاولت بالخيلاء . تمشي من قعود وتهوي في صعود جعد الأنامل ، محشوشن البراجم دقيق الزند، أقصر من أفحوص القطاة باعا ، وأحرجُ من مجال الطرْف ذراعاً ، وأخفق من قصاصة تناهبتها أيدي الرياح . يا موراً مشهوداً لك بخبث القرونة ، منطوقاً عنك بشؤْم النقيبة ، تصبُ على العليّة حسداً ان لا يضاهوك في التسافل ، وتتمنى زوال النعمة من ربّها حتي يكافئك في الإسفاف ، تقطب في وجه القادم عليك كأنما ذَوْبُ المحاجم ما بين عينيك خوف المسألة والتصدي إلى الاستجداء فإذا أمنت من ذلك أصبحت بالاستكانة والاستخذاء ، لو أُطمعت بكفن وددت ان تسوى بك الأرض وتمنيت أن تكون على ظهرها لقيً أو في بطنها عظماً رميماً على ما فيك من اللهج بالحياة مع المنقصة للتمتع بالشهوات والخوف من الموت لسوء الطوية أمنعُ من لبدتي أبي اشبال أكبُ بلبواته مساساً إذا استقطب لمكرمة وألين من بطن الرقطاء إذا اجتذبت لمنقصة، مكّاء بكاء هاع لاع تكاد ، تتحامى ظلال الافياء في حمّارة الهواجر . خوفاً أن تكون اشخاصاً تفجأك ، وتعاف الماء الزُّلال في شدّة الظمأ توهماً أن النهر سيفٌ أُخْرطَ لك ، وأن تجعُّدَهُ بالنسيم قطوبٌ في وجهك ، يتكاءدك حملُ الهباءة إذا حملت أمراً ، وبودك دفعُ القذاة عن مآقي عينك . فأي سجية اقبحُ ، من سجيتك وهي لك رضً ، وايُّ خليقة اشنعُ من خليقتك ،وأنت بها كلف .ولم أُردُ ذمُّك ولكن جعلتُ هذه الألفاظ مرايا تبرزُ لك مخبآت أوصافك من صقالها – ورَجَوْتُ – وإن كان بعيداً – أن أُنشّط بها همتك من عقالها» (٧:٩٣-٩٦)

هذا النص يتضمن الاستهزاء بشخص يتبارى بألفاظه ويتباهى بمعارفه .والأفكار الجزئية التي اشتمل عليها النص

أ– وصف المساوي الخلقية للرجل : كما في قوله فإنك من الشّذاذ الدهماء إلى قوله « دقيق الزند»

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- وصف المساوىء الخلقية له : كقوله« أقصر من أفحوص القطاة »

وتبدو في النص هذه السمات :

ظهرت في هذا النص الثقافية الأدبية ، والمعرفة اللغوية العميقة التي يتقنها ابن شيث .

فقد استفاد من حفظه للأمثال ووظّفها في هذا النص ، ومن ذلك قوله ، « شناءة الشنشنة » مأخوذ من المثل « شنشنة أعرفها من أخزم » ، وقوله : « امنع من لبدتي أبي أشبال » مأخوذ من المثل « أمنع من لبدة الأسد » وقوله« أقصر من أفحوص القطاة باعاً » مأخوذُ من المثل «أقصر من أبهام القطاة ».

وأشكال المعاني التي طرقها ابن شيث تنوعت ما بين قديم وجديد ، فمنها القديم الذي استوحاه من مخزونه الثقافي العزيز ، فأعاد صياغته من جديد ، وصبه في قوالب جديدة بعد أن اضفي عليه الكثير من خصائصه الذاتية ، ومن ذلك قوله : « وأخفق من قصاصه تناهتبها أيدي الرياح » ، وقوله »تمشي من قعود ، وتهوي في صعود »

وأما الجديد المبتكر فاذكر منه على سبيل المثال قوله « يتطنأك الرائي إذا تطاولت بالخيلاء ، «وأحرج من مجال الطرف ذراعاً » وقوله وكريمتاك إن طمحتا لعب بكوكبيهما الزور »

- وتميزت المفردات اللفظية في هذا النص بالصعوبة والتقعر ، ولا غرابة في ذلك ، فالكتاب استهزاء برجل يتبارى بألفاظه ويتباهى بمعارفه ، فكأن ابن شيث يريد أن يثبت أن هناك من هو أعرف منه وأقدر على الإتيان بالغريب.

وهذا بالطبع ليس منهج ابن شيث في النظر إلى الإلفاظ ، يدلنا على ذلك قوله في كتاب معالم الكتابة : « والعمل كله على أن تكون الألفاظ أهلية إنسيه ولا تكون وحشية منسية »(٩٣:٧) وانما جاء بهذه الألفاظ للضرورة .

-وكانت ألفاظ ابن شيث متنقاة بعناية لتعبر عما يريد ، نلاحظ ذلك في الألفاظ التالية على سبيل المثال شذّاذ ، الدهماء ، سقّاط ، السفلة ، رعاع وغيرها . فاللفظة ذات مكانة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مهمة في الفن الأدبي ، وذلك لأن الكلمة كما يقول بعض المحدثين : « عنصر من عناصر العمل الأدبي ، وعامل من أقوى العوامل التي يتوقف عليها قيمته الجمالية ، والأداء الفني الجميل أساسه الدقة في اختيار الكلمة ، ووضعها في بيئتها وامتزاجها مع معناها ، إذ ليس هو في مجموعه إلا طائفة من الكلمات المؤتلفة المعبرة». (٤٤: ٢١٤).

- ولم يكن لابن شيث اهتمام بألوان البديع المختلفة ، وأنّ ما جاء منها في النص عفو الخاطر، فمن السجع قوله : « تمشي من قعود ، وتهوى في صعود» . ومثال الجناس المتوسم ، والمبتسم من قوله « أكلح المتوسم أفلح المبتسم » . ومثال الطباق ظهرها ، وبطنها من قوله « وتمنيت أن تكون على ظهرها لقيّ أو في بطنها عظماً رميماً» .

-وجاء اهتمامه بتوازن الجمل وانتظام أطوالها في حالة إلا قذاع في الهجاء ومثال ذلك . قوله « جعد الانامل ، مخشوشن البراجم ،دقيق الزند»

واتبع ابن شيث طرائق وأساليب سعياً وراء تحقيق الغرض المطلوب ، ومن ذلك

- المبالغة : وخاصة في وصف المساوىء الخلقية للرجل ومثال ذلك :« أشبه بالشاء والنعم من الإناسيّ ، وكأنّك من الجنان العفاريت لشوهة المنظر وشناءة الشنشنة » .

- الترادف والتكرار : حيث يكرر الفكرة الواحدة في قوالب لفظية متعددة من ذلك قوله واصفاً جبن الرجل : (هاع لاع ، تكاد تتحامي ظلال الأفياء في حمارة الهواجر خوفاً أن تكون أشخاصاً تفجأك ، وتعافُ الماء الزلال في شدة الظمإ توهماً أن النهر سيف أخرط لك »

- استعمال أنماط من الجمل ما بين إنشائية ، وخبرية، ومعترضة ، تبعاً للمعنى المراد التعبير عنه . فمن الجمل الإنشائية قوله « فأيّ سجيّة أقبحُ من سجيتك وهي لك رضا، وأيّ خليقة أشنع من خليقتك وأنت بها كلف) .

- ومن الجمل المعترضة قوله : أمنع من لبدتي أبي أشبال - أكبّ بلبواته مساساً -إذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استعطفت لمكرمة وقوله : ورجوت – وإن كان بعيداً أن انشط بها همتك من عِفالها .

واهتم النقاد بالحديث عن دور الخيال وأهميته في العمل الأدبي ، وعدّوه عنصراً هاماً من عناصر النجاح الفن في مختلف اشكاله فيقول شوقي ضيف : « الخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم ، وهم لا يؤلفونها من الهواء إنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها تختزنها عقولهم وتظل كامنة في مخيّلتهم حتى يحين الوقت فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها» (٤٥ :١٦٧) فالصورة وسيلة مهمة للتعبير عن التجربة ، لذا نرى بوضوخ الاهتمام بالصورة التي تستند إلى الخيال بأنواعه ، فهذه الأمور لازمة من لوازم الأدب إلاّ استحال إلى كتلة جامدة لا أثر للحياة فيه ». (٤٦ : ٥٩) وجاءت الصور في هذه الرسالة التي كتبها ابن شيث على وجهين أحدهما تقليدي ولكنه صاغها بطريقته الخاصة ، ومنها الجديد المبتكر .

فمن الصور القديمة التي جاءت في هذا النص قوله : (كأن رأسك بيضة دجاج ، أو قطعة من زبد طام قذفتها يد الأمواج)

وقوله « وأخفق من قصاصة تناهبتها أيدي الرياح » ومن الصور المبتكرة في هذا النص قوله « وكريمتاك إن طمحتا لعب بكوكبيهما الزور ، وإن غمضتا طمسهما الجحظ » ، وقوله « وتعاف الماء الزلال في شدة الحرّ توهماً أن النهرسيف أخرط لك ، وأن تجعده بالنسيم قطوب في وجهك».

ولقد بنيت الرسالة بطريقة تتلاءم مع الغرض الذي كتُبت من أجله وهو الاستهزاء ، فجاءت بتراء خالية من التقديم ، فبدأها بقوله أما بعد : ثم اتبعها بالغرض للموضوع الذي يريد توضيحه لنا وختمها بقوله« ولم أُرد ذمك ، ولكن جعلتُ هذه الألفاظ مرايا لك تُبرز مُخبآت أوصافك من صقالها ، ورجوتُ – وإن كان بعيداً – أن أنشّط بها همّتك من عقالها » .

وهذا النباء على غير ما سارت عليه الرسائل من قبل ، وانما جاء على هذه الصورة وفقاً لطبيعة الغرض ، ومن ثم أقول إن ابن شيث قد وفق في إعطاء هذا الشكل لرسالته فجاءت معبرة عما قصد منها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا شعر ابن شيث القرشيّ : -

كان ابن شيث من الشعراء المعدودين في عصره ، فلقد أطرى شعره كل من ترجم له ، ووصفوه بالجودة ، وذكرنا أن شعره تناقلته الألسنة ، واهتم معاصروه بتدوينه يقول ابن الشعّار الموصلي :« وكان حسن النظم والنثر » (٢٢: ٣٢٥-٣٢٦) ويعلق ابن الجوزي على شعره فيقول : « وله رسائل وأشعار لطيفة » (١٩: ٦٥٣) ويقول المنذري :« وله رسائل وشعر في غاية الجودة ،وكان شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسّي يصفه بسرعة النظم » . (٢٥:٢١٧) ويعقب الصفدي على قصيدة أوردها لابن شيث بقوله : « قلت شعر جيد » (٢٣: ٣٨١) إلاّ أن معظم شعره ضاع ، ولم يصلنا منه إلا القليل . ولقد انقسم شعر ابن شيث إلى قسمين :

- شعر فني : فهو قد نظم في أغراض الشعر المعروفة وسأفصل الحديث عنه .

- وشعر تعليمي : فقد نظم قصيدة في معرفة ما يكتب بالظاء وقصيدة لمعرفة ما يكتب بالياء والألف من الافعال .

شعر بن شيث القرشيّ من حيث الأغراض:

نظم ابن شيث في أغراض الشعر المعروفة وهي : -

أ- المدح :-

بيّنت آثاره الشعرية التي وصلتنا أنه مدح شخصيتين مرموقتين هما : جعفر بن حسان الإسنائي (ت ٦١٢هـ)، والملك المعظم عيسى بن الملك العادل .

ولقد أورد الأدفوي أجزاء من قصيدتين مدح بهما ابن حسان الاسنائي نقلاً عن مجد الملك بن شمس الخلافة (٥٤٣-٦٢٢هـ) الذي جمع مداح ابن حسان الإسنائي في كتاب «الأرج الشائق إلى كرم الخلائق »يقول الأدفوي : « وذكر مجدُ الملك له قصيدة ، مدح بها ابن حسان الاسنائي أولها :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أتجحدُ حباً والدموعُ شهودُهُ وتنكرُ قتلاً بالغرامِ شهيدُهُ

رعى اللهُ أياماً مضتْ فكأنما زمامُ فؤادي في يديها تقودُهُ

هز منا بها جيشَ الزمانِ ولم تكنْ لتعلمَ أن الحادثاتِ جنودُهُ

عفا اللهُ عن قلبٍ يصدّ عن الهوى وأشراكُ ألحاظِ الظباءِ تصيدُهُ

بنفسي حبيبٌ قد بداء لي جفاؤه وإن كنتُ أبدي حبَّه وأعيدُهُ

أغارُ إذا هبتْ شَمال بذكره فيقوى بقلبي إذ تهبُّ وقودُهُ

إذا فرفر الصبرُ عنه وإن نأى دنالي من صُرْف الزمانِ بعيدُهُ

تُبعدُه الأيامَ عني ولم تزلْ تُبعّدَ عني كلّ أمر أريدُهُ

ومنها:

خليلي انتبهْ كي تنظرَ الليلَ هادئاً وقد لاحَ من حسنِ الصباح عمودُهُ

ولا تطلبنْ إلا بلادَك نزهةً ففيها وربي للشقي سعودُهُ

فأسنا غدتْ تحكي العراقَ وقد غدا أبو الفضل ذو الرأي الرشيد رشيدُهُ

سحابٌ ثناياه بها البرقُ لامعٌ لنا وَبْلُهُ إذ للعداة رعودُهُ

تجدّدَ فيه كل رثّ فضيلةٍ ورثّ به من كلّ لؤمٍ جديدُهُ

وهلْ يُظلمُ الدين الذي جعفر له سراجٌ ولا ينحطُ وهو مشيدُهُ

ألا أيها الحَبْرُ الذي عاش إلفه سروراً به إذ مات غيظاً حسودُهُ

تهنَّ بشهرٍ حُزْتَ أجر صيامه فمبدؤه فضلاً عليك يعيدُهُ

ولستُ أذمَ الدهرَ إن كنتَ لي به وإن كان مذموماً لدىّ حميدُهُ (١٢: ٣٠٦-٣٠٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال هذه الأبيات يتبين لنا أن ابن شيث قالها في شهر رمضان في إسنا مهنئاً ابن حسان الإسنائي بحلول رمضان،ويذكر الأدفوي جزءاً من قصيدة أخري يمدح بها جعفر بن حسان الإسنائي نقلاً عن ابن شمس الخلافة ، يقول الأدفوي : « وأنشد له أيضا:

دیارهم أين البـــدورُ الطوالعُ نأوا فســقامي بعدهم متتابعُ
لقد ألفتْ عيني البكـاءَ لفقدهمْ فلـم يبقَ لي بعد الفراقِ مدامعُ
رعى اللهُ أياماً لنا فيك قد مضتْ بها العيشُ غضّ والزمانُ مطاوعُ
مع الآنســاتِ الناهباتِ قلوبَنا ففيــهنّ من كلّ الجمال بدائعُ
ظباءٌ ولكنَّ الغصـونَ قدودُهم لهنَّ بقــلبي ما حييتُ مراتعُ

ومنها :

وتقطعُ طيبَ العيش من غير ريبةٍ وتشهدُ عنّا بالعفاف المضاجعُ

ومنها:

إلى كم أُعنّي القلبَ في طلب الغني وأطلبُه والدهــرُ عنه يدافعُ

وفيها في المدح :

رئيـــسٌ بأسنا قاطنٌ ونوالُهُ وإحسانهُ بين البريّة شــائعُ
له راحــةٌ مبســوطةٌ بنوالهِ فلو رام قبضاً لم تطعْهُ الأصابعُ (١٢ : ٣٠٧- ٣٠٨)

ومن شعره في المدح أورد الصفدي قصيدة في مدح المعظم عيسى يقول :

«ومن شعره :

مالقلبي إلى السـلو طريقُ أنا من سَكْرة الهوى لا أُفيقْ
ضحكوا يومَ بينهم وبكينا فتراءتْ ســحائبٌ وبروقُ
لو ترانا وللمــطالبِ إخفا قٌ إليهم وللقــلوبِ خفوقٌ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لرأيتَ الدليـلَ حيرانَ منّا   كلما لاح للـهلال شروقُ

وسهامُ اللـــحاظ قد فوقتْ لي   فلها كلّما ومقـــتْ مروقُ

لســتُ أدري إذ ضرّمُ اللثم وجدي   أحريقٌ رشفتهُ أم رحـــيقُ

وليد عني أولو الرشـــاد وغميّ   ليـــس يدري ما بالأسيرِ الطليقُ

أقفرتْ دارُ من أحبُّ وكـــمْ ور   قاءَ كانتْ بها وغصـــنٌ وريقُ

وهفا ثــوبها الصفيـــقُ وللر   يحِ عليها من حـــسرةٍ تصفيقُ

دارُ فيها الهوى وللهوى في مــغانيـ   ـها عروق تنـــمى وجدٌ عريقُ

أيّ روح وَفَتْ هناك لجســـمٍ   عنـــدما فارق الدّيارُ الغريقُ

أشـــبهتني تلك الديارُ فجسمي   دارُ ميٍّ ودمعُ عينـــيَّ العقيقُ

وكأن الثيابَ لفظٌ وجســـمي   فيه معنىً من المعيّ دقيـــقُ

ورشيـــقُ القوامِ يرشقُ باللحـ   ـظِ ولا يســـتقلُ منه الرشيقُ

لحظــــهُ قاطعٌ وما فارقَ الجفـ   ـنُ وفي جفنهِ عن الســيفِ ضيقُ

مشــــقتْ نونُ حاجبيه فأبدى   ألفُ الحســـنِ قدّه الممشوقُ

ولماهُ في صـــدغِه لامهُ والـ   ـميـــمُ فوه والرقُ منه الريقُ

فغدا خطُّ حســـنِهِ وهو منشو   رٌ وأخلاقهُ عليه خَـــلوقُ

أحدقَ الحســـنُ بالحدائق من خد   يه لما آذاهـــما التـــحريقُ

مسحةٌ للجمالِ مســـحَ بركنيـّ   ـها وخـــدّ له الشقيقُ شقيقُ

وكأنّ الخالُ الذي لاحَ في لجـــ   ـة خدّيه وهو طــــافٍ غريقُ

طابقَ الحســـنَ فيه فهو إذايشـ   ـعر فيه التجنيـــسُ والتطبيّقُ

مردفُ الردف وهو مختصرُ الخصـ   ـــرِ فذا مفعَـــمٌ وهذا دقيقُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاتكُ الطرف باتكُ الظرف عمداً وهو في كـــلِّ حالةٍ معشوقُ

يا خليلـــــــي إنّ العدو كثيرٌ فاحذَرَنْه وأين أين الصـــديقُ

والرفيقُ الذي يؤمّـــــلُ منه الـ ـرّفقُ قاسٍ فـــما رفيقٌ رفيقُ

وبســـــوقُ الهوان يبتذلُ الفضـ ـلُ فما للفروعِ فيه بســـوقُ

فســـــدَ الناسُ والزمان ولا بـ ـدَّ بحـــقٍّ أن يخلقَ المخلوقُ

فالكـــــريمُ الذي يُغيثُ يَغوث واللئـــــيمُ الذي يعقّ يعوقُ

غيرَ أنّ الملكَ المعـــــظم فردٌ فاقَ فضلاً وخـــصّه التوفيقُ (٢٣ : ٣٨٠- ٣٨١)

وأورد ابن الشعّار الموصلي له بيتين في المدح قال : « أنشدني أبو المجد أسعد بن ابراهيم الكاتب الإربلي قال : أنشدني أبو القاسم ابن شيث لنفسه :

إذا نحنُ أهْدَينا إليـــــك فإنّما بفعلِك نُهدي لا بجودِك نهتدي

وما عنـــــدنا إلاّ عطاياك فالّذي يُوافيكَ مِنّا بعـــــضُ مالك مِنْ يدِ (٢٢: ٣٢٦)

ب- الغزل :

وقد جاء الغزل عنده في مقدمة القصيدة كما ذكرنا فيما سبق في قصائد المدح ، وجاء كذلك عنده منفرداً ، فقد وصلتنا أبياتٌ له في الغزل العفيف منها ما أورده ابن الشعّار الموصلي قال : « أنشدني القاضي أبو المآثر عبد الصمد بن عبد الله بن أحمد المصري

قال : أنشدني أبو القاسم بن شيث لنفسه :

وما قلمي في شرح ما أنا واجدٌ وإن كـــان في كفّي ينوبُ منابي

فلســـتُ أرى يومي كتابيَ بالغاً مراديَ ومن هذا قطـــعتُ كتابي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنّ الذي بينـــي وبينك خالدٌ ليؤنسنـــــي في البعد عندَ غيابي (٢٢: ٣٢٦)

وفي غيرها يقول :

ثقتي بفضلك توجبُ استرســـالي ومحبتي لك تقتضي إذلالي

وكفىٰ بأنّك صافـــحٌ في ذا الذي أبديه من قولـي ومن أفعالي (٢٢: ٣٢٦)

وقال أيضاً :

وقد كنتُ أرجـــو من زماني لقاءَه وأهواه من قبل اللقاء سمـــاعا

فلمّا تلاقينا ومتـــــعتُ ناظري برؤيته كان اللقـــــاءُ وداعا (٢٢: ٣٢٦)

وقال أيضاً :

أنتَ كالبـــــدرِ كلّما حلَّ في أر ضٍ أضـــــاءتْ بنوره آفاقُهْ

غاب قلبـــــي وأنت فيه فماأعـ ـظمَ مـــــا برّحتْ بنا أشواقُهْ

فعســـى القربُ أن يباحَ وأن ينـ ـحلَّ من ربقـــةِ الغرام وثاقُهْ (٢٧: ٢١٣)

ومنه في مليح بالحمام :

تجرّدَ للحمـــــام عن قشر لؤلؤٍ وألبس من ثوب المحاسن ملـبوسا

وقد زين الموسىٰ لتـــزيين رأسه فقلت لقد أوتيتَ سؤلك يا موسى (٢٩: ٢٧٠)

جـ- الوصف :

أورد له الأدفوي أبياتاً يصف شمعة منها :

وشمعـــــــةٌ في المنجنـ ـيقِ وهي منه تُشـــــــرقُ

كأنهـــــــا من تحته شمـــــــسٌ علاها شفقُ (١٢: ٣٠٦)

وقوله أيضاً :

وأنيسةٌ باتتْ تســـــاهرُ مقلتي تبكي وتوري فعل صبٍّ عا شقِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سرقت دموعى والتهابَ جوانحي   فغدا لها بالقطِ حد الســـارقِ (١٢: ٣٠٦)

د- الرثاء :

أورد له ابن الجوزي في مرآة الزمان بيتين من الشعر قال : « ومات له ولد صغير، فخرج في جنازته يبكي ويقول :

ما الذي أطمــــعُ في الدنيا   وقدْ فارقـــتُ بعضي

هكذا تنفـــلتُ الدنيا   من الأيدي وتمضـــي (١٩: ٦٥٣)

هـ- الاخوانيات :

ذكر ابن العماد الحنبلي أبياتاً لابن شيث في الإخوانيات يقول : « كتب إليه أبو المظفر كتاباً يتشوق إليه فأجابه :

وافى كتابُك وهو الروضُ مبتسماً   عن ثغرِ درٍّ طغى مِنْ بحرك الطامي

وكان عنـدي كالماءِ الزلالِ وقدْ   تنـــاولَتْهُ يمينُ الحائمِ الظامي

لله نفحةُ فضلٍ منه رحـــتُ بها   نشوانَ اســحبُ أذيالي وأكمامي (٣٠: ١١٧)

و- الحكمة :

أورد الذهبي بيتين في الحكمة :

كنْ مع الدهرِ كيفَ قلّبكَ الدهـ   ـرُ بقلبٍ راضٍ وصـــدرٍ رحيبِ

وتيقنْ أنّ الليـــالي ستأتي   كلَّ يومٍ وليلةٍ بعجيـــبِ (٢٧: ٢١٣)

ولقد ورد عدد من أبيات الحكمة في كتابه منها :

واحذرْ سقوطَك إنْ ظفرتَ برتبةٍ   إنَّ الـــسقوطَ بقدرِ قدرِ الواقعِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأبيات الحكمية :

وإذا تحاشيتَ القبيـــــحَ فإنّما أكـــبرتُ نفسَك عندَ مَنْ يتسمعُ
وإذا أردتَ تصـــــنّعاً بمذمةٍ فتوخَ محـــــــمدةً بها تتصنعُ

ومن الحكمة قوله :

إنّ الملوكَ أسودٌ في مرابضها فدارِها بدوامِ اللطفِ والخدعِ
وإنْ أبتْ نفسُك الإحجامَ تقدمةً بالقول في النصح فاتركه لها ودعِ
فالعيسُ تصغى إلى الحادي وتتبعُهُ ولو تعسّفَها بالجهد لم تُطِعِ

ومن شعر الحكمة قوله :

وأجهلُ خلق الله مَنْ باتَ جاهداً لمن باتَ عـــنه غافلا غيرَ حافلِ
ومَنْ قَصّرتْ دونَ الفرائضِ نفسُهُ فأحرى بها التقصيرُ دونَ النوافلِ

ومن الحكمة كذلك قوله :

فإنّ الخشـــــونة زيُّ الرجالِ كمـــا لَوْثَةُ الطبعِ طبعُ النساءِ (٧: ٣٤، ٣٥، ٢٤، ٣٠)

ي- الفكاهة :

ومن شعر ابن شيث في الفكاهة :

وتخالفتْ بيضُ الأكـــفّ كأنها التصفيقُ عندَ مـــجامعِ الأعراسِ
وتطابقتْ سودُ الخفـــافِ كأنّها وقعُ المـــطارقِ من يدِ النحاسِ

سمات شعر ابن شيث :

ظهرت الثقافة الدينية في قوله :

فالكريمُ الذي يُغيـــثُ يغُوثٌ واللئـــــيم الذي يعقُّ يعوقُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقوله : يفوث ، ويعوق مأخوذ من قوله تعالى في سورة نوح آية (٢٣):﴿ وقالوا لاتذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾

وظهرت ثقافته الأدبية في شعره ومن ذلك ذكره لريح الشمال التي وردت كثيراً في الشعر العربي وذلك في قوله :

أغارُ إذا هبـــت شـــمالُ بذكره فيقـــوى بقلبي إذ تهبّ وقوده

ومنها قوله ظباء ولكن الغصون قدودهم لهن بقلبـــي ما حييتُ مراتع

وقد يذكرنا بقول (ابن الرومي :

غادة زانـــها من الغصن قدّ ومن الظـــبي مقلتان وجيد)(٤٧:٧٦٢)

وتنوعت المعاني التي أدرجها ابن شيث في شعره بين القديم والحديث ، إلا أن القديم يغلب عليها ، وقد تحدث ابن الأثير في « المثل السائر » عن المعاني التقليدية التي شاعت في هذا العصر ففال « إن المعاني التي يحتذى فيها على مثال سابق ومنهج مطروق ، كانت جلّ ما يستعمله أرباب هذه الصناعة» (٤٨: ٥٨) ومن المعاني التي جاءت على هذا النمط التقليدي : ألحاظ الظباء تصيده ، سحاب ثناياه ، البدور الطوالع ، له راحة مبسوطةٌ ، وسهام اللحاظ ، العيش عض وغيرها ،وهذه المعاني وغيرها وإن كانت تقليدية فلقد وظّفها بصورة أضفت عليها طابعة الذاتي.

ومن المعاني الجديدة التي وظّفها ابن شيث في شعره : جيس الزمان ، بسوق الهوان ، وغيرها .

واهتم النقاد بالمفردات اللغوية وتحدثوا عنها من خلال وجودها في العمل الأدبي كما تحدثوا عن علاقاتها بالأغراض الشعرية التي تستعمل فيها يقول القاضي الجرجاني : « وصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام فلكل واحد من الأمرين منهج هو أملك به وطريق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يشاركه الآخر فيه » (٤٩ : ٢٤٣) فلكل مقام الألفاظ التي تناسبه وتتلاءم معه بحيث تصح في موضع ولا تصح في غيره يقول ضياء الدين ابن الأثير : « الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ، ولكل منها موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقع الحروب، وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، وأما الرقيق منها ، فإنه يستعمل في وصف الأشواق ، وذكر أيام البعاد ، واستجلاب المودّات ، وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك » (٤٨ : ٢٤٠)، ومن هنا وجدنا حرص ابن شيث عل تخيّر الألفاظ ، ووضعها في بيئتها الملائمة لها فلا نجد له ألفاظاً متقعرة ووعرة ، وذلك لأن الأغراض التي تحدث فيها لا يناسبها مثل هذه الألفاظ ، وثم وجدناه يجنح إلى رقيق الألفاظ مع جزالتها .

ومن مظاهر اهتمامه بالمفردات اللغوية ، احتفاله بألوان البديع المختلفة وعلى رأسها الجناس ، وخاصة في قصيدته التي مدح بها المعظم،فمن الجناس قوله : حريق ورحيق ، صفيق وتصفيق ، عروق وعريق ، الرق والريق ، وغيرها كثير .

أما الطباق فيأتي في قوله نأى ودنا وذلك حين يقول :

إذا فرَّ ، فرَّ الصبرُ عنه وإن نأى دنالي من صرفِ الزمانِ بعيدُهُ

ومن ضحكوا ، وبكينا في قوله :

ضحكوا يومَ بينهم وبكينا فتراءتْ سحائبٌ وبروقُ

وأماردّ الصدر على العجز ففي مثل قوله :

ورشيقُ القوامِ يرشقُ باللحظِ ولا يستقلُ منه الرشيقُ

وقوله :

وبسوقُ الهوانِ يبتذل الفضـ ـل فما للفروع فيه بسوقُ

ومن مظاهر اهتمامه بألفاظه تكرار حروف بعينها في ألفاظ جمله مما أكسبها اتساقاً صوتياً، وجرساً موسيقياً خاصاً .

ومن ذلك تكرار حرف القاف في قصيدته التي مدح بها المعظم فهذه العناية بحسن الجرس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووقع الألفاظ في الأسماع يزيد من موسيقى الشعر وذلك (لأن الأصوات التي تتكرر في حشوٍ مضافة إلى ما يتكرر في القافية تجعل البيت أشبه بوصلة موسيقية متعددة النغم مختلفة الألوان، يستمتع فيها من له دراية بهذا الفن ويرى فيها المهارة والمقدرة) (٥٠: ٣٩).

– وقد استخدم في ألفاظه مصطلحات نقدية، وبلاغية،مثال الأول قوله:

وكأنّ الثيابَ [لفظٌ] وجسـمي فيه [معنىً] من المعـنّي دقيق

ومثال الثاني:

طابقَ الحـسنُ فيه فهو إذا يُشـ ـعرفيـه التجنيسُ والتطبيقُ]

وأما أسلوب ابن شيث في شعره فتراوح بين الخبري والإنشائي، كل في موضعه، فنلاحظ مثلا أثر الاسلوب الإنشائي في قوله:

لستُ أدري إذا ضرم اللثم وجدي أحـريق رشفته أم رحيقُ

وفي قوله:

يا خليلي إنّ العـدوّ كثيرٌ فاحـذَرَنْه وأين أين الصديقُ

وتمثل الخيال في صور البيان المعروفة من تشبيه واستعارة، وكانت هذه الصورة جزئية. ولقد تروا حت تلك الصوربين التقليد والتجديد، فمما جاء على النمط التقليدي قوله: «أشراك ألحاظ الظباء»، «وسهام اللحاظ»، «ودمع عيني العقيق»، «وأنت كالبدر». ومما جاء فيه التجديد قوله: «وللريح عليها من حسرة تصفيق، «وكأنّ الثياب لفظ»، ومنه «بسوق الهوان»،ومنه:

وكـأنّ الخالَ الذي لاحُ في لجـ ـةِخدّيه، وهـو طافٍ غريقُ

ومنه:

وشمـعةٌ في المنجنيـ ـق وهـي فيه تشرقُ

كأنهـا من تحته شمـسٌ علاها شفقُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه : « هزمنا بها جيش الزمان » .

وسار ابن شيث في قصائده التي وصلت إلينا على نمط القصيدة العربية التقليدي حيث يفتتحها بمقدمات غزلية طويلة ملائمة لموضوع القصيدة الأساسي ، وبعدها ينتقل إلى الغرض الذي نظم قصيدته من أجله وهو المدح كما جاءنا في قصيدتيه السابقيتين.ففي قصيدته التي مدح بها المعظم بدأها بمقدمة غزلية موفقة ، ويبدو توفيق الشاعر فيها في حسن الربط بين المقدمة الغزلية، وموضوع القصيدة أو حسن التخلص كما يسميه النقاد.ويتحدث ابن رشيق عن ارتباط المقدمة الغزلية بموضوع القصيدة فيقول : بأن « النسيب الذي تفتتح به القصائد يجب أن يكون ممزوجا بما بعده من مدح أو ذم ، متصلاً به غير منفصل عنه ، فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال أجزائه بعضها ببعض فمتى انفصل واحد منها عن الآخر ، وباينه في صحةالتركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه ، وتعفي معالم جماله » (٥١: ٢/١١٧) . وإن التناسب ضروري بين موضوعات القصيدة ، إذ ينبغي لها أن تكون مترابطة في سياقها ، ويكون كل بيت مقترناً بالبيت الذي يأتي بعده كما يرى ابن قتيبة حين يقول : « يتبين التكلف في الشعر بأن ترى البيت منه مقروناً بغير جاره مضموماً إلى غير لفقه (٥٢: ٤٠– ٤١).

ولقد وفق ابن شيث في الانتقال من الغزل إلي المديح بقوله:

فالكريم الذي يُغـــيثُ يغوثُ واللئيـــمُ الذي يعقُّ يعوقُ

ثم خصّ المعظم عن جميع الخلائق بقوله :

غيرَ أنّ الملكَ المعـــظمَ فردٌ فاقَ فضلاً وخصّه التوفيقُ

لقد راعى ابن شيث التلاؤم بين أبياته ، وحسن تجاورها ، وفي ذلك يقول ابن طباطبا: « على الشاعر أن يتأمل تأليف شعره ،وتنسيق أبياته ، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ، ويتصل كلامه فنياً ، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه أو بين تمامه فصلاً من حشو ليس من جنس ما هو فيه »(٥٣: ١٢٤) .

النظم التعليمي :

نجد لابن شيث منظومات تعليمية فريدة في بابها ، منها فيما يكتب بالظاء وتتضمن تسعة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثلاثين بيتاً جمع فيها الألفاظ التي تكتب بالظاء من الأفعال و الأسماء : (٧: ١٧٥-١٨٠)

أيا طالبَ الظاءاتِ مُســـــتشفياً بها وقعتَ على الشــافي فخذْها تبرعا
هي الظُّلْمُ والإظلام والظَّلْمُ واللظى ولفظٌ ولحـــظٌ والحظوظ لمن وعي
وظِلٌ وظلَّ المرءِ يفعلُ والظَّبـــى وظَبْـــيٌ وظنٌ والعظيم ترَفَّعا
وظهرٌ ، وظِــــفرٌ والمظفَّر ظاهِرٌ وظعـــنٌ ، وظنبوبٌ وأَيْقُظْ مُسْرعا
وحِفظٌ وإحفَاظٌ ، وفاظَ – إذا قَضَى ـ وفاضَـــتْ بموتٍ نفسُهُ بهـما مَعَا
وغَيْظٌ وقيظٌ والظـــهيرةُ ، والظما وظِلّفٌ وظَرْفٌ ، وهو يَبْهَظ من سَعَا
وسوقُ عكاظٍ فيـــه كَظٌّ ، وكاظِمٌ وكـــاظمةٌ ، وهو الظهيرُ لمن دعا
وعَظْمٌ ، وعَضْمُ القوسِ بالضاد وحدَه وبـــي ظَلَفٌ ، وهو الحِفاظُ لمن رَعَى
وعظّتهُـــمُ الحربُ العوانُ تعظُّهم بظـــاءٍ وضادٍ ، وهو أوْعَظُ من نعا
ومنـــه الشَّظَى ، وهو الشِّظاظُ وإنهُ لذو شَظَـــفٍ والفَظُّ أغلظُ مُوجِعا
ومنهُ فَظـــيعٌ ، وهو في المشي ظالعٌ وأَلمَـــظُ أيضاً والمُلمِّظ أشبعا
ودونَك في الجِـــعَاظ ، والجَعْظَري والظَّلِـيم ، ومِظٌ ، والظِّرَّان تَوَسَّعا
ومن ذلك الظَّـــيانُ ، والظِّئرُ مثلَه وقـــد بظَّ أوتاراً لعودٍ فأبدعا
ومنه وَظِيفُ الساق ، وهي الوظائف الـ ـتي لزِمتْ ، والبَـظْـرُ أطيبُ مَرْتعا
ومنهُ أَظلَّ الشـــيءُ قرباً وظِلَّةً وقـــد نَـــظرَ الإنسانُ لمّا تَطَلَّعا
وبين الجراد والكـــلاب تعاظُلٌ وداءٌ عـــظالٌ أعجزَ الناسَ أجمَعا
وماءُ الفحـــولِ البيظِ والبيض غيره بضـــادٍ ، وقد آن الظهورُ توقُّعا
ومنهُ الظُّهار ، والصـــلاة بظهرها تُقام ،ومنه واظـــب الأمرَ مُتْبعا
ومنهُ أَلظَّ السُّقـــمُ بالجسم لازماً وحَظْرٌ ، وقد تُحصي الحظيرةُ أمنعا

ومنه نظـــيفٌ ، وهو ظنبوب ساقه وظابٌ ، وظَبظَابٌ فخذْ ذاك مُجْمَعا
ومن ذلك التّقْريظُ إن كُنْتَ مادِحاً ومنهُ ظُبَات السَّـيْرِ إن كُنْتَ مُزمِعا
وقد لَفَظتْــه الأرضُ أي قَذَفتْه من جوانبــــها ، فاذْرِ الأصولَ مُفرَّعا
وكـــنْ عالماً أنّ التضَافرُ وحدَهُ بضـــادٍ وأظفارُ الفتى إن تَشَجَّعا
ومن ذاك رُعْظُ السهم : مدخل نصله حنـــــظلة ، والفارظان تقشعا
ومن ذاك ظِرَّاب الحجارة والعَظَى بظاءٍ لهم صمـــغ الصَّنوْبَر أَظْلَعا
ومنهُ شُوَاظٌ والنَّظيرُ وشَيْـــظَمٌ مع الجاحظ المعـروفِ والنُّظْم رُصِّعا
ومنـــــه التَّظَنّي والمظنَّة مثله ومنه التَّشــــظّي وانتظارُكَ مُلْمِعا
ومن ذلك الأَوْشَاظ وهي جمـاعة مع الدَّلْظِ وهو الدَّفْع إنْ رُمْتَ مَدْفعا
ومنهُ ظَرَابينٌ ومنهُ حَنَـــاظِبٌ ومـــنهُ الشَّناظي والشَّناظِر خُضَّعا
ومن ذلك الجوَّاظ والعُنظب الذي يُســــمَّى به فَحْلُ الجراد تَفَرَّعا
ولظَّلَـــظَةُ الحيَّاتِ نَضْنَضَةٌ لها وذلك تحــــريكُ اللسان لِتَلْسَعا
وظـــدٌّ بظاءٍ : سَيِّءِ الخُلُقِ الذي ترى عنـــده حُسْنَ الوِداد تَصَنُّعا
وفي الضَّربة النجْلاءِ جاؤُوا بظَخَّةٍ بظـــاءٍ ونجلاءَ لها الضربُ وَسَّعا
وممتلىءُ الفخذين بالظاءِ عنـدهم هو الوَظِر المعروف فاحـسُبْ لِتَجْمعا
وقد قيل للرِّيــــح التي يسبق الفتى بها عــــظةٌ بالظاءِ فاتْبَعْ لتتْبَعا
وبالظاءِ في الخط الظُّبارة وهي كالغَضارة في العيش الذي طابَ مَوْقِعا
وقالوا هو الظَّـــبُّ الكثيرُ كلامُهُ بظاءٍ فهاك القولُ بالفــصل مُقْنِعا
وبالظاءِ بظُّ القوسَ سوَّى بكـفِّهِ لهـــا وتراً حتى أطاعته مُسْرِعا
فهـــذي هي الظاءاتُ يا مُولَعاً بها أتاكَ بـــها روْضُ البلاغة مُونِعا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المنظومات التي حرّرها ابن شيث ما يكتب بالياء والألف : (٧: ١٨٠)

وإذا اردتَ الفرقَ بين اليـاءِ والـ　　ألفِ التي للفعل فيما يُكتبُ
ألحقْ بها تاءَ الخطاب فإن تكُنْ　　من قبلها ياءٌ فتلك المذهَبُ
وإذا أتت من قبلها واواً فبالـ　　ألف الكتابةُ وهو حُكْمٌ موجبُ
وكذاك ما فيه المزيدُ بهمزةٍ　　تُعدِّيه أو من نفسهِ إذ يحسبُ
فتقولُ كَمْ أغرَيْت ذا فتكٍ وكم　　أعرَيْتُه فأنَا المسيءُ المذنبُ
واجعلْ لفعل الياءِ ياءً كلّما　　ثنَّيته والواوُ واواً تعرُبُ
فتقول : كانا يدعُوَان فينْتَخي　　لهما وكانا يُغريان فيغضَبُ
وإذا اعتبرتَ اسماً كذاك فثنِّه　　فالأمر منه عند ذاك مُقرَّبُ
فإذا رأيتَ الياءَ فيه فخطَّهُ　　بالياء والأُخرى لواوٍ تُرْقَبُ
فانسُبْ قفاً وعصاً إلى ألفٍ كما　　قالوا : هما العصوان لما نَقَّبوا
ولأن هذا من « قَفَوْتَ » ومثلما　　قالوا : عَصَوْتُ لمن بهذي يُضْرَبُ
وهدىً مثالٌ هوىً بياءٍ مثلما　　قالوا: هما الهُدَيَان ، قولٌ محسبُ
وعلى قياسك كلُّ ما هو زائدٌ　　فوق الثلاثي الذي هو أقربُ
وإذا أتتْ ياءان في اسمٍ آخراً　　فالخط بالألف المقدّم أصوَبُ
ومثاله : الدنيا ، ومُحْيَا مثله　　لكنهم في ياءِ يحيى أغربوا

ومما يدخل في هذا المجال نظم المثل في سياق شعري ، وقد نظم ابن شيث مئة واثنين وستين مثلاً في أبيات متفرقة لكي(يدمجها الكاتب في كلامه ويستشهد بها نظما عند توغله في القول واقتحامه).(٧: ١٣٧-١٧٣)

ولا عَيْبَ في ذِكْرى الفتى وهو عارفٌ　　وإنَّ العصا كانت لذي الحِلْمِ تُقرعُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يُحمَدُ المرءُ مُضطراً إلى عمل ... فإنه مكرهٌ في ذاك لا بطلُ

كلّ ذي عورة كسيرٍ فهم بيـ ... ـن عُوَيرٍ في جمعِهم وكُسَيْر

مَنْ يفعل الخيرَ بين الناسِ يُجزَ به ... ومَنْ يُدلّ عليه مثلُ فاعِلِهِ

ومَنْ يصنعِ المعروفَ في غير أهله ... كمن يسمنُ الكلبَ الذي هوآكلهُ

منعَ الخَطْبُ خِطْبةَ الكاعبِ البكـ ... ـرِ وحالَ الجريضُ دونَ القريضِ

لا يَشمَتَنّ بالمُصابِ شامتٌ ... فإنه مَنْ يُرَ يوماً يُرَّ بهْ

وقد جرّ الزمانُ لهم جَنُوباً ... أبادُهمُ بها وهلمَّ جرّا

ومَنْ يقصِدْ بنا قته لئيماً ... يَصِرْ منها إلى خفّي حُنَيْنِ

فإنّه في منتهى شُغلِهِ ... أفرغُ من حَجّام ساباطِ

فهو الذي قيلُ لهُ ... أنجزُ حرٍّ ما وعدْ

يرمي الأنامَ بدائهِ ويزِنُهمْ ... بهناتِهِ ويَصُدُّ أو يتسلّلُ

يزيدُ المرءُ بين الناسِ حُباً ... إذا كانت زيارتُهُ لِما مَا

ومن لمْ يَرْعَ مَسْمَعَه لقولٍ ... يُسيءْ سمعاً له ويُسيءْ جوابا

وعلى الخبيرِ بها سَقطْتَ فلاتَرِمْ ... عنهُ ومَنْ لك بالخبير المخبرِ

فدُونَكَ من جُهينةَ ما حَكَتْهُ ... وعند جُهينةَ الخبرُ اليقينُ

صارَ البغاةُ بُزاةً حائمين على الآفا ... قِ في وقتنا واستنوقَ الجملُ

هو ماءٌ لكنه لا كصدًّا ... ءَ ومرعىً وليس كالسَّعدانِ

هوالفتى وإنْ حكاهُ غيرُهُ ... قيلَ له فتىً ولا كمالكِ

من يَهُن لم تطل يداه إلى أمـ ... ـرٍ وإن حازَه ومَن عَزَّ بزّا

قد غدا بين خطتين من الخو ... فِ مُحيطاً بنفسه المكروهُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو كالأشــقرِ الذي إن تدانى نحـــــروه وإن نأى عقروه

وما استفــادَ به الإنسانُ موعظةً من هالك المال لم يهلك ولم يَضِع

ربَّ مزحٍ أفاد جـــدّاً وحقاً ولَكَـــمْ من جُديدةٍ في مُزيحه

إذا نصــــحتَ لامرىءٍ فأصــــدُقه سِنَّ بَكْره

ولا تكرَهنّ السُّخط ممن رضا أن تجورَ له فيـــما يُريد وتَظلما

والرأيُ عند الشيخ زُبدةُ عـمره مَخْضـاً وجريُ المذكياتِ غِلاب

حسبُك بالأمر ضلـــيعٌ به قـــد حلأتْ عن كوعها الحالِقه

طأها برفقٍ ولا توغل فتســقط في وحلِ الهوى وبعــيدٌ منه إفلاتُ

فما هو إلا خائـــض الوحل كلّما تحرك مـــنه ناهضاً راح راسخاً

لا تتركنّ لفائـــتٍ ما دونه فالجحـــشَ إمّا فاتك الأعيارُ

لا يُعرفُ الفضـــلُ بلا مُنازعٍ وكـــلُّ مجرٍ في الخلاءِ سابقُ

قِـــسْ قبل أن تقطعَ فالقَيْسُ نصـ ـفُ الكَيْـــس والجاهلُ مِقدامُ

قد يَحســـدُ المرءُ علي صبره والذئـــبُ مغبوطٌ بذي بطنِهِ

لا تنقـــشِ الشوكةَ مستخرجاً بشـــوكةٍ تَدمِ ولا تخرُجُ

خلّــــفَ شراً منه في فعله وفي عـــرارٍ خَلَفٌ من كَحَلِ

ماهو ممـــن يُراعُ من بَلَهٍ ولا يخشـــى بالذئب من كبرِ

قد أمكَـــنتْ منتهزاً فرصتُهُ إنْ تنفـــري فقد رأيتِ نَفْرا

خـــادعْ عدوك إذ يودّك أمرُهُ فالذئـــبُ يأدو للغزال ليأكُلَهْ

لا تفش سِرّك للخليط فمن يَضِقْ عن ســـرّه فسواهُ عنهُ أضيقُ

لكـــلّ مقامٍ مقالٌ كما يقومُ لكـــل زمانٍ رجالُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجشّمَ الصعبَ فيه ، والذلولَ ولم ... يألُ اجتهاداً ولكن خانهُ القدرُ

كالصيد إذ ناوصَ الصيادَ جُرّتَهُ ... نحراً وسالمها جهلاً بها فهوى

من ذا الذي لا عيبَ فيه يشينُهُ ... ولا تعْدَمُ الحسناءُ ذاماً لدى الخبْرِ

خيرُ الورى مَنْ أنصفتْ أفعالهُ ... فيشوبُ فيها تارة ويروبُ

فمُ قريةٍ للقولِ يُودَعُ عندَهُ ... والسِّرُّ فيه : الماءُ في الغربالِ

لا تدَّعِ السبقَ والأحوال مكذبةٌ ... رويد يعلون من أوعارِها الجددا

أعدْ نظراً فيه تجدْه مُعَيْدِياً ... سماعُك عنه فوق ما أنت ناظرُ

أجَلْتُ جائلةَ الأحوالِ مختبراً ... فلم أرَ الضرَّ غير الناسِ والعَدَمِ

فاكتُمْ عن الناس ما تلقاه من عَدمٍ ... بقدرِ جهدك واحذرْهم على النِّعمِ

تولّى عليه الشحُّ والطمعُ الذي ... تمكَّنَ فاسترعاهُ نسراً وفرقدا

هُنْ إذا ما أخوك عزّ وإلاّ ... فاسألُ في الناسِ عن أخٍ أو صديقِ

آثرْ بمالِك من أردتَ وكُنْ بما ... تُبديه من نُصحٍ لنفسك مؤثِرا

قدِّمْ على الأمر رأياً تستضيءُ به ... إنّ الكنائنَ قبل الرّمي تُدّخرُ

لا تقنطنّ بجهدٍ قبل عاقبةٍ ... فالصُبحَ يَحْمِدُ من يسري وإن قَنَطا

لا تُرِقْ قبلَ أن ترى الماءَ ماءً ... فورودُ المياه بالماء أكيسْ

ولا تُهرقَنَّ الماءَ من قبل جمةٍ ... فإنّ وردَ الماء بالماء أكيسُ

قُمْ في الأمور حازماً فإنّه ... من لا يذذ عن حوضه يُهدمِ

لا تطلبنّ من الأنام مهذّباً ... وإذا اردتَ له اختباراً فاتركِ

أغفلْ تُصاحِبْ من أردتَ مسامحاً ... وإذا اختبرتَ أخاً فإنّك قالِ

إذا أردتَ خيارَ الناس كلّهم ... فإن خيرَهُمُ مَنْ لستَ تعرفهُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبغضْ بغيضــك هوناً ما فإنك قد تحبــّــهُ وكذا أحببْ بلا فَرَط ِ

لا تعجـــلَنّ على الأيام في أمل ٍ تبغي النـــجازَ له فالدهرُ ذو نفس ِ

لا يُصــدّقُ الظنُّ في أمرٍ إذا اجتمع الـ ـهوى عليـــه وفي الأيام مُلتبسُ

لا تزهِـــدنّك في المعروف كثرتُهُ فللـــزمانِ صروفٌ وهو خوّانُ

وقدّ مْ ما استــطعت من الأيادي فإنّ العُـــرفَ في الدنيا قروضُ

أولِ الجـــميلَ إذا وَليـ ـتَ فإنما الدُّنيـــا دولْ

الناسُ بالنـــاسِ واللهُ الغنيُّ ولا غِنيٌ عن النـاسِ في الأحوالِ للناسِ

لا بدَّ للــمرءِ مما ليس منه لهُ بدٌ وإن طالــت الأيامُ والمدَدُ

وكـــفُّ السهم قبلَ النزع أولى من النـــدمِ المبرّحِ في المضاءِ

الـــناسُ نبعةُ بغيٍ لا ثمارُ لها وهـــم إذا طلبوا ذبّانُ أطماعِ

يـــا رُبّ ذي مخبرةٍ ماله مـــجهرةٌ في عين مَنْ يَلمَحُ

إياك والحـــمدَ والذّمّ اللذين هما خصـــماك من قبلِ تقليبٍ وتجريبِ

وإذا التمســتَ مودةً بعطيّةٍ أبصـــرتَ أحسنَ ماتراه وأجملا

وكـــم غِرٌّ رمى فأصابَ رأياً فكـــانت رميةٌ من غير رامِ

الحرُّ حـــرٌّ وإن مستهُ نائبةٌ كالتبر يعـــلو بمسّ النار مقداراً

وإذا وفى لك صـــاحبٌ بمودةٍ فاجـــعله ما بين العصا ولحائها

لا تأمــنَنَّ أخاجهلٍ وكن حذراً إذا رأيتَ بكـــفّ الأحمقِ الحجرا

لا ينــكرُ الخيرُ فيه وهو شيمتُهُ مثل اللّـــمى في بناتِ الحُبْشِ واللّعَسِ

هـــوّنْ به إن ماتَ أو إن يَعِشْ فليـــس في عِيرٍ ولا في نفيرْ

فلا تكـــنْ خرقاءَ عيابةً تعيـــبُ مِنْ غيرك ما فيكا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تبطرنّ بنعـــمةٍ فيقالُ قد　　　وجـــدتْ وَفَاقا ثلّةٌ خرقاءُ

وما ولدُ الانســان إلاّ محبّبٌ　　　إليـــه ولكنْ حقّهُ أن يؤدبا

فيا ربَّ لاحٍ لائـــمٍ في قضيةٍ　　　يلـــحُّ لها في اللوم وهو مُليمُ

وما أَمَلَّتْ مســـتمعاً فزدني　　　كمـــا قد قيل : محسنةٌ فهيلي

ما كان مخـــتاراً لذاك وإنما　　　عَلِقَـــتْ معالِقُها وصَرَّ الجندبُ

شـــبَّ عمرو كما يُقال عن الطو　　　قِ فلا طاقـــةَ لزيدٍ بعمرو

القومُ طبونَ فيـــما يفعلون فما　　　تعصى عليهم من الأحوال أدواءُ

وإذا الشـــجي بغرامه يوماً فلا　　　ظلــمَ الخليُّ بلومه فيه الشجي

مَـــنْ يترك الحزمَ لا يُدركه مقتبِلا　　　كالغِرِّ في الصيف صُفواً ضيع اللّبنا

لا تلْـــحَ في أمرٍ مضى　　　قد سبـــقَ السيفُ العذلْ

أُنــصر أخاك إذا استغاثك ظالماً　　　فيـــما دعاك إليه أو مظلوما

وإذا نهـــضتَ إلى الأمورِ　　　فقـــمْ بجدّك لا بكدِّكْ

ليـس الحميمُ الذي تبدو قطيعته　　　في شـــدةٍ بل حميمُ المرءِ واصلهُ

تَكــفَّ بما تلقاه دون تكفّفٍ　　　فغثّك خـــيرٌ من سمين سواكا

تمسّ أخا الحِلم الضرورةُ ثم لا　　　تُنزّلهُ عن عـــفّةٍ وتورُّعٍ

لا تَـــلْحَهُ في قُربه　　　وافـــقَ شَنّ طبقَهْ

ولا يحسُنُ الاعراضُ عن ذي قرابةٍ　　　فأنفُ الفتى منهُ وإن كان أجدَعَا

استتـــبعْ الحرَّ الكريمَ بشبعه　　　وأجعْ مدى الأيام كلْـبكَ يتبعِ

فهَبْه كشـــيء لم يكنْ أو كنازحٍ　　　به الدارُ أو مَنْ غيّـــبتهُ المقابرُ

خليلُ المرء ينبيء عـــنه حقاً　　　لأنهـــما على دين سواءِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملاكُ الأمرِ تقوى اللـــه فالزمْ ... عُراهـــا والتقاةُ حلى الثُّقاتِ

بكـــاءُ المرءِ عند الخطبِ وهنٌ ... ومـــا يُغني من الجزعِ التبكي

إذا نزلُ القضـــاءُ فليس يُغني ... من المقضـــي بالأمر التوقي

كـــلُّ آتٍ من الأمور قريبٌ ... والزمانُ الـــطويلُ لحظةُ عينِ

مالـــم يكنْ لك لم تنلْهُ بقوةٍ ... وإذا غـــدا لك لم يَعُقْهُ تقاعُدُ

ليجْمِل المرءُ في رزقٍ يحاولُهُ ... فقـــد كفاه طِلابَ الرزقِ ضامنُهُ

من يكـفِهِ اللهُ لم تَضرره غفلتُهُ ... وجُـــنّةُ الله خيرٌ من توقّينا

وأسعدُ الناسِ من كانت مواعظُهُ ... بغـــيره لا الذي كانتْ به العبَرُ

أَعذرتُ بالنُّصـــح له وهو لا ... يلـــوي وقد أعذرَ من أنذرا

آفـــةُ الرأي الهوى فالحزمُ أن ... يتركَ المرءُ هـــواه ويرى

غنى الفتى قنعُهُ والمالُ إن طُلب الـ ... ـمزيدُ مـــنه فقرٌ وإفلاسُ

ومن قرَّ عيـــناً بالذي ناله اكتفى ... به وإذا رامَ الزيـــادةَ أُسخنا

طمـــعُ الفتى طبعٌ له وعزوفُهُ ... شـــرفٌ ومن يطمع يُذلّ ويُصرعِ

وإذا تحكّـــمتْ الـــظنو ... نُ أصـــاب صاحبُها وأخطا

إعْنَ بما يعنيـــك دون الورى ... فكـــلّهم في شأنه ساعِ

إذا سعيـــتَ طالباً ... فأســـعَ بجدٍّ أو دَعِ

لا تَلْحَ في نيل المطـــالب عاجزاً ... عنـــها فكم ساعٍ يجدُّ لقاعدِ

وإذا أراد المرءُ يومـــاً رائداً ... فالعقـــلُ رائده الذي لا يكذِبُ

وما الدنيا بســـاترةٍ قذاها ... كـــفى برغائبِها أبداً منادِ

وشكوى الفتى أفعاله ســـفهٌ له ... أليســـتْ يداه أو كتا وهو نافخُ

وليس من الحزم التورطُ في الهوى ... ولكنّه الإفلاتُ عند التورطِ

ولا بدَّ من زادٍ يسير به الفتى ... إذا سار والتقوى من الزاد خيرُ

ليس الخبيرُ بأمرٍ كالجهولِ به ... وما استوى عالمٌ يوماً وظَنّانُ

خبيرُ الأرضِ قاتِلها بعلمٍ ... وجاهلُها بها أبداً قتيلُ

إذا ما العِيُّ أعياهُ دواءٌ ... فليس شفاؤه إلا السؤالُ

وما الرأيُ إلا في التقدم بالذي ... يسيرُ إليه الحزمُ قبل التندمِ

لا يثقْ عاقلٌ ببادئ ما يلقى ... فيا رُبَّ حِرّة تحت قِرّة

ليس التكافي في الجزاءِ بمقتضٍ ... ظلماً بل البادي بشرٌّ أظلمُ

دعْ عنك ما يُعيبك إدراكه ... كم حاجةٍ يكفيكها الترك

بئس داءُ الفتى الذي لا يُداوى ... كُذِبُ القول منه والكِذْبُ داءُ

لا تعجلنَّ على امرىءٍ بقطيعةٍ ... يوماً فكيُّ الداء آخرُ طبِّه

من يُضمِر الشرَّ أو يُضرِمْهُ يَصْلَ به ... والحزمُ في الأمر تركُ الشرِّ هاتركا

لا تستعِنْ أحداً فيما تنوءُ به ... وانهضْ بدائك بين الناسِ ما حملا

كفى الشرَّ في القبح اسمُهُ وكفى الفتى ... من الشرِّ إن لم يُغنَ عنه سماعُهُ

والقولُ أحسنُهُ الوجيزُ بلاغةً ... أبداً ومن يُكثر يُملَّ ويُسقِطُ

لكل ساقطة في الخلق لاقطة ... وكل شيء بتخصيص ومقدار

ما دام يدري المرءُ مقداره ... فإنّه بالعُجْب لا يهلكُ

أمارةُ صبرِ المرءِ في حِلْمه كما ... أمارتُه في حِلْمِه في أناتهِ

إن النجاحَ مع الأناة ببطئه ... خيرٌ من الإخْفَاق بالإسراعِ

أناة الفتى في الأمر شاهدُ عقله ... ومن يَنْزُ أو يعجلْ فباعِثهُ الخُرْقُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ النــدامةَ في الأمو ــرِ مــع الجهالةِ والسفاهة

سفــاهةُ رأي المرء شاهدُ طيشه ــــ ولا ســفهَ إلاّ مع الطيشِ يوجَدُ

لا تعجــلنَّ فربما ــــ عَجِــلَ الفتى فأصابَ ريثا

ومَنْ يتأنَّ يُصــبْ أو يَكَدْ ــــ وأخــطأ أو كاد مَنْ يعجلُ

ومَنْ يتــعوّد عادةً ينجذب لها ــــ علــى الكره منه والعوائِدَ أملكُ

لا تظلمنّ لتعطي فالشحيحُ على ــــ مــا فيه أعذرُ ممن خانَ أو ظلما

وذو العــلم مهمومٌ بجولةِ فكره ــــ وذو الجهــل في الدنيا خليٌّ من الهمِّ

هو الفاضــلُ الحقُّ الذي شهدَتْ له ــــ بذاك مقــاماتُ العُلى والمقاعِدُ

وقعَ الصــبوحُ على الغَبوق كما غدا ــــ ربُّ الحِــبالةِ لاصقاً بالنابلِ

متى تخبُــرهُ في أمر تجدْهُ ــــ كمــخضوب البنان ولا يصيدُ

لا يُشــاري ولا يُماري اذا ما ــــ أحفــظَ القولُ أو تغبّن حقٌّ

ما فيه للأعــداءِ من مقدحٍ ــــ بــل هو مُوْرٍ ثاقــبُ الزَّنْدِ

يكــادُ من لُطفه أو حُسنِ حيلتهِ ــــ يُبــدي رُقوماً وأشكالاً على الماءِ

أرمي الورى كلّــهم حذقاً لزائلةٍ ــــ وأحــسنُ الناسِ أقوالاً وأفعالاً

ألمعيٌّ الظنون والحــدس نقّا ــــ بٌ إذا أبْهَــمَتْ بوادي الأمور

داهٍ رويٌّ فهــو في الــ ــــ أمــورِ ضبٌّ قلعةْ

أفعــالُه تفضحُ أقوالَه ــــ فلا يــغرّنك نشوارُهُ

أمرٌ يحــصّنّ العُودُ فيه فما به ــــ يومــاً علي من يقتفيه خفاءُ

حَقِــبَ الأمرُ بينهم فتراهمُ ــــ بالتــلاقي جمعاً وهم أشتاتُ

أتى لابســاً أذنيه فهو كغائبٍ ــــ بغفــلته حقاً وإن كان حاضراً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قاده مطـــــــــمع فأصحب منقا دا فقـــــــــد جاء ناشراً أذنيه
قد جاء يضـــــرب أصدريه كأنه ثمـــــــل ومن يصدر بخير يبطر
لا تخـــــف منه فتكة آخر الدهـ ر وإن جـــــاء نافضا مذرويه
قد جـــــاء من حرص يضب لثاثه والمرء يحـــــرص والنجاح مقدر
أقام دهراً غائبا شـــــخصه وجـــــاء إذ جاء بأذنى عناق

مؤلفات ابن شيت القرشي :

إلى جانب نظم الشعر وتحبير الرسائل ، برع ابن شيث في التأليف ، فصنف العديد من الكتب ، يدلّنا على ذلك قوله في مقدمة كتابه أنه ألف كتاباً قبل كتاب معالم الكتابة» (٧:٢٣-٢٤) إلاّ أنّه لم يصلنا . ولقد أكد ذلك من ترجم له فيقول ابن الجوزي : « وله تصانيف كثيره ظريفة » (١٩: ٦٥٣) ، ويقول الذهبي : « وله الباع الأطول في النظم والنثر وحسن التأليف والرصف»(٢٨: ٣٠٢) . ويذكر الصفدي (ت٧٦٤هـ) أن ابن شيث كتب عن القاضي الفاضل بعد وفاته يدلنا على ذلك إشارة جاءت في الوافي بالوفيات (وقال القاضي جمال الدين ابن شيث على ما شاهدته مسطوراً قال : كان للقاضي الفاضل – رحمه الله – بمصر ريع عظيم يؤجر بمبلغ كبير) (٢٣:٣٤٥) وقد أشار الصفدي الى كتاب آخر له هو : « معالم الكتابة في صناعة الانشاء » (٢٣:٣٧٩) ولكن هذه المؤلفات لم يصلنا منها سوى كتاب « معالم الكتابة ومغانم الإصابة » وهو من الكتب الفريدة في بابها فلم يترك ابن شيث فرعاً من فروع العلم في عصره إلا أودعه فيه .

ولقد أشاد بالكتاب في العصر الحديث حسن الباشا في كتابه «الألقاب الإسلامية» إذ اعتبره النموذج المحتدى به لقوانين الكتابة في العصر الأيوبى رغم وجود كتب غيره من مثل « المثل السائر» لا بن الايثر يقول : « وقد قصرنا دراستنا على كتب ثلاثة راعينا أن تكون ممثلة للمراحل المختلفة من عصر الايوبيين والمماليك وهي : معالم الكتابة ومغانم الإصابة لابن شيث ، وكتاب التعريف بالمصطلح الشريف للعمري ، وكتاب صبح الأعشي في صناعة الإنشا للقلقشندي » (٦:٣) ويمتدح تقسيم الكتاب وترتيبه يقول : « والكتاب بوجه عام مرتب ترتيباً جميلاً ففي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الأول يتكلم عن الكاتب ومركزه وعمله كمنشيء لمكاتبات الدولة ، ثم يفرد بابين لإرشاده الى تنظيم المكاتبات من الناحية الشكلية ، ويخصص باقي الأبواب لتوجيهه من الناحية اللغوية والبلاغية .» (٦:٤٣) .

وقد مدحه المحقق محمد حسين شمس الدين فقال : « إنّه كتابٌ ريادي في بعض أبوابه ففيما يتعلق بالقسم الخاص بالمراسيم والألقاب في الكتاب فقد عمل المؤلف على توحيد مصطلح لديوان الإنشاء مسترشداً بما توافق عليه معظم الكتاب في عصره من ناحية ، وبما يتمشى مع حكم الشرع وكرامة الأفراد عامة والكتّاب خاصة من ناحية أخرى »(٧:١٩).

ولقد وصف الخوري قسطنطين الباشا مخطوط الكتاب فقال : « ويشغل ١٨٠ صفحة في نسختنا ،وطول الصفة ٢٤ سنتي ، وعرضها ١٦،وفيها ١٦ سطراً»(١:٤)،وذكر ابن شيث في مقدمة كتابه اسم الكتاب ، إذ قال : « وسميته معالم الكتابة ومغانم الإصابة .» (٧:٢٥).

إلاّ أننا نجد «الوافي بالوفيات» يسمّيه « معالم الكتابة في صناعة الإنشاء » (٢٣ : ٣٨٢) . ومن خلال التدقيق في مقدمة ابن شيث ، نجد أن هذا الكتاب ليس « معالم الكتابة » كما أشار محقق « الوافي بالوفيات » ، وإنما هو كتاب سابق له وضعه ابن شيث في الكتابة كما أشار في مقدمته » (٧: ٢٤) .

وأرجح أن التسمية التي ذكرها صاحب « الوافي بالوفيات » هي للكتاب الأول ، لأن ابن شيث ذكر بوضوح اسم كتابه الثاني في مقدمته ، وليس من المعقول أن يخطيء في نقله صاحب « الوافي بالوفيات» ، فالعهد بينهما ليس ببعيد ، ولو أخطأ مثلاً يكون في جزئية بسيطة كما ورد في « صبح الأعشى» إذ سماه « معالم الكتابة ومواضع الإصابة » (١١: ٦/٣٠٧)،فبدّل بكلمة «مغانم» « مواضع »،ولقد أعطاه المحقق محمد حسين شمس الدين اسم « كتاب » زائدة في مقدمة العنوان ، وهي لم ترد عند ابن شيث ، فلقد ذكر : « ورسمت في هذا المجموع » (٧:٢٤)،ولم يقرنه بلفظ كتاب في أوله.

ولقد ذُكر اسم هذا الكتاب في « تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (٣٦:٥٦) ، وفي الأعلام (٣٤:٣٤٧) ، ومعجم المؤلفين (٥٤:٢٠٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذكر ابن شيث أن سبب تأليفه له هو طلب بعض الأصحاب كتاباً له وضعه في أصول الكتابة ، فاعتذر لهم لعدم وضوح الكتاب وغموض خطه، فلم يقبلوا عذره فوضع لهم هذا الكتاب عوضاً عنه . قال : « فقد كنت ألّفت كتاباً في رسوم الكتابة التي سقطت في هذا الوقت تاؤها ، وطمست أنباؤها .. إلا أني علّقته تعليقا يكاد يبهم على وأنا كاتبه ، وأدمجت الخط فيه إدماجاً أكاد أنكره وأنا صاحبه ، وطلب مني بعض الأصحاب ذلك الكتاب ، فاعتذرت بما ذكرته فما قُبل العذر مني في غموض ما كتبته ، وابهام ما سطرته ، وقد رسمت في هذا المجموع ما يجد الكاتب فيه ما يُعنيه فيما يغنيه » .(٧: ٢٣-٢٤) .ولم يذكر ابن شيث سنة تأليف الكتاب، ولم أعثر على أي إشارة تعيننا على معرفة ذلك .

أما بالنسبة إلى مخطوطات الكتاب ، فقد ذكر الخوري قسطنطين الباشا المخلصي أن لهذا الكتاب نسخة خطيّة قديمة وحيدة محفوظة في دير المخلصي بلبنان،وقد ترجع في تاريخها إلى العصر الأيوبي ، وربما كانت بخط المؤلف نفسه (١: ٤).وأشار المحقق محمدشمس الدين الى أنه لم يهتد أحد حتى الآن إلى نسخة أخرى لمخطوطة هذا الكتاب ، وعليه فإن عمله في إعادة تحقيقه اعتمد على مخطوط دير المخلص،ومطبوعة الخوري الباشا ، كما اعتمد في إعادة تحقيق النص على المصادر الأساسية التي تناولت الموضوع نفسَه أو التي أوردت القسم الأكبر من هذا الكتاب في ثناياها وخاصة كتاب « صبح الأعشى » (٧:١٧) .

أما طباعة الكتاب فقد طبع مرتين : الأولى طبعة الخوري قسطنطين الباشا المخلصي سنة ١٩١٣ في بيروت ، والثانية طبعة وتحقيق محمد حسين شمس الدين في بيروت ١٩٨٨ م، وكانت الطبعة الأولى مليئة بالأخطاء الطباعية والكلمات والعبارات المحرّفة،ولم تكن الكلمات مشكولة .

أما الطبعة الثانية فلقد تلافى المحقق فيها هذه العيوب ، إلاّ أنه لم يعط الكتاب حقه من الدراسة المستوفاة والموضّحة فضلا عن وجود أخطاء تتعلق بمحتوى الكتاب وقع فيها المحقق منها:

– لم يورد سبب عدم رجوعه إلى المخطوط الأصلي لكتاب «معالم الكتابة » باعتباره لازمة من لوازم التحقيق . فليس هناك أيّ إحالة ، ولو لورقة واحدة من المخطوط ، حتى إن صورة صفحة المخطوط التي جاءت عنده في المقدمة هي نقل عن طبعة الخوري الباشا كما اعترف هو .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– عدم العودة إلى المصادرالأساسية ، إذ اعتمدعلى ما نقل عنها ، كما في اعتماده على «رسالة الخط والقلم» لابن مقلة (ت:٣٢٨هـ)على ما جاء منها في « صبح الأعشى » وهي تختلف عن الأصل المخطوط ، كما أشار محقق صبح الأعشى ، وكما تبين لي من خلال المقارنة.

– عدم اختيار المصدر المناسب للمقارنة ، كما في اختياره رسالة الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) النثرية فيما يتعلق الضاد والظاء لمقارنتها مع منظومة ابن شيث في الظاءات على الرغم من وجود ما هو أقرب عهداً ، ومبناً منها مثل منظومة الحريري (ت ٥١٦ هـ) التي شرحها الشريشي في المقامة السادسة والأربعين .

– المبالغة في عرض الأمر ، إذ يذكر أن القلقشندي (ت:٨٢١هـ) نقل كل ما جاء في الباب الثاني من « معالم الكتابة » ، إلاّ أننا من خلال المقارنة تبين أنه أغفل مكان الترجمة ، والشكل والنقط ، الذي امتد في صفحتين من الكتاب ، والنعوت المضافة إلى الدين .

– الخوص في نقد مفتعل ليس فيه ما يبرره إلاّ المخالفة فقط ، من ذلك : اعتراضه على تعريف التتميم (٧:١٠١) هامش (١) ، والمطابقة (٧:١٠٣) هامش (٥) ولقد ناقشناه في موضعه .

ومنها استغرابة واستهجانه من لفظة (مور) حين سبقتها أداة النداء (يا) ، إذا اعتبرهما كلمة واحدة ، طفق يبحث عن تأويل معناها ووجه نصبها فيما يزيد على خمسة أسطر دون جدوى (٧: ٩٤) هامش (١٦) .

والكتاب يقع في جزء واحد يضم ٢٦٣ صفحة حسب الطبعة الثانية ويشتمل على مقدمة وثمانية أبواب .

أما المقدمة فقد ذكر فيها تدهور حال الكتابة في عصره مما دعاه إلى تأليف كتاب في إصلاح حالها يقول :« وبعد فقد كنت ألفتُ كتابا في رسوم الكتابة التي سقطت في هذا الوقت تاؤها ، وطمست أبناؤها : فالدارج عن سبيلها دارج ، والداخل فيها عن طريقها خارج ، والحاسب فيها راجم بظنه وحاصب ، وحاطب ليل لا يأمن المعاطب» (٧:٢٣) وذكر في مقدمته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبب تأليفه لكتاب معالم الكتابة وهو غموض خط الكتاب الذي ألفه فيما مضى لأنه علق الخط فيه تعليقاً ، وقد أصرّ أحد أصحابه على الحصول على ذلك الكتاب فاعتذر ، فلم يقبل عذره فوضع هذا الكتاب يقول : « فقد كنت ألفتُ كتاباً في رسوم الكتابة ... وتوسعت فيه بحيث لم أترك فنا إلاّ ورسمت فيه فنونا ، إلا أني علقته تعليقا يكاد يبهم عليّ وأنا كاتبه ، وأدمجت الخط فيه إدماجاً أكاد أنكره ، وأنا صاحبه وضاق عليّ الزمان عن تفسير وجوه تلك الرسوم وتبييضها... ، وطلب مني بعض الأصحاب ذلك الكتاب فاعتذرت بما ذكرته ، فما قبل مني العذر في غموض ما كتبته وإبهام ما سطرته . وقد رسمت في هذا المجموع ما يجد الكاتب فيه ما يُغنيه فيما يغنيه .....وسميته « معالم الكتابة ومغانم الإصابة » (٧: ٢٣- ٢٥) .

وذكر ابن شيث منهجه في هذا الكتاب فقال « وكله مما كتبته على الخاطر بديهة وارتجالا ، ولم أرَ بعد النظر انتقالاً إلى كلام أحد عن كلامي ، ولا ارتحالا ، ولا رسمت أيضا فيه شيئاً مما تقدّم من مكاتبتي لأني لاسترجاع ما يصدر مني غير معود ، وأكثره لم يكن له عندي أصل لأنه كان غير مسود » (٧: ٢٤-٢٥) .

١-١٦ وفاة ابن شيث القرشي:

أجمعت كل المصادر القديمة والحديثة على أن وفاته كانت في المحرم سنة ٦٢٥هـ*.وحدد المنذري اليوم فقال : « في السابع من المحرم » (٢٥: ٢١٧) ويذكر سبط بن الجوزي سبباً لوفاته ، وكان معاصراً له – كما ذكرنا سابقاً فيقول : « وكان سبب وفاته ، أنه كان محترماً عند المعظم مكرّماً، وكان قد جعل له راتباً يقوم بأوده، فلما مات المعظم قطع ذلك الراتب الذي كان بصدده، ووقع التقصير في حقه ، وكانت له نفس شريفة ، وهمّة عالية منيفة ، فمرض أياماً ثم أسكت ، فبلغني أنه سأل الله أن يريحه من الدنيا فاستجاب الله دعاءه وسمع نداءه «. (١٩: ٦٥٣).وكانت وفاته بدمشق ، ودفن بتربة بقاسيون بإجماع من ترجموا له .

---

* انظر مصادر ترجمته ، ص ٢ من هذا البحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

كتاب«معالم الكتابة»دراسة تحليلية

٢-١ فيما يجب تقديمه ويتعين على الكاتب لزومه.

٢-٢ في آداب كتّاب الملوك وأركان الدولة .

٢-٣ في طبقات التراجم وأوائل الكتب وما يكون به التخاطب بين المتكاتبين على مقدارهما

٢-٤ في ذكر وضع الخط وحروفه وبرى القلم وإمساكه .

٢-٥ البلاغة والبيان .

٢-٦ النقد

٢-٧ اللغة

٢-٨ الأمثال

٢-٩ التفسير

٢-١٠ المستويات اللغوية

٢-١١ المصادر التي اعتمد عليها في تحصيل مادة الكتاب

٢-١٢ منهجه وأسلوبه في الكتاب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

كتاب معالم الكتابة دراسة تحليلية

٢-١ فيما يجب تقديمه ويتعين على الكاتب لزومه :

يبين ابن شيث بداية فضل كتابة الإنشاء ليسّوغ بعد ذلك سرد ما يتعين على مزاولها من أمور من ذلك : كتابة الإنشاء هي الأصل ، وصاحبها له في الأمور القطع والوصل ، وكلامه الكلام الحرُّ وخطابهُ الخطاب الفصل ، ولها آداب لا بد للكاتب أن يجعلها دأبه ، وأوتاد لا غنى له أن يشدّ عليهاأسبابه (٧:٢٧) وعلى الرغم من هذه المكانة لكتابة الانشاء وللكاتب إلا أنها قد تعرّضت في زمن ابن شيث إلي التضعضع (فالكتابة في هذا الوقت سقطت تاؤها ، وطمست أنباؤها ، فالدارج عن سبيلها دارج ، والداخل فيها عن طريقها خارج ، والحاسب فيها راجم بظنه ،وحاصب ، وحاطب ليل لا يأمن المعاطب). (٧: ٢٣-٢٤) وهذا من الأسباب التي دعته إلى وضع هذا الكتاب لإحياء الكتابة وضبط رسومها وقواعدها،وإذا تأملنا حال الكتابة ، نجدها حيناً تبلغ شأواً عظيماً ، وحيناً تهبط ومرجع ذلك الى كتابها ومزاوليها ومدى ثقافتهم واهتمامهم بها ، وهذه مسألة ليست بالجديدة ، فلقد ذكرها ابن قتيبة عندما وضع كتابه أدب الكاتب (فإني رأيت كثيراً من كتاب زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدّعة ، واستوطؤوا مركب العجز ، وأعفو أنفسهم من كدّ النظر وقلوبهم من التفكير ، حين نالوا الدرك بغير سبب ، وبلغوا البغية بغيرآلة) . (٥٥: ٩-١٠)،ولقد أشاد المتقدمون بفضل الكتابة وعلو منزلتها فجاء في «مواد البيان» (بأن هذه الصناعة وإن كانت في المنزلة اللطيفة والرتبة الشريفة ، وكانت نعمة الله تعالى لها جليلة الخطر عظيمة القدر ، فإن شرف الصناعة وفضيلتها إنما تقع على الكاتب الجامع لآلات الصناعة وأدواتها) . (٥٦: ٣٥)،ويعتبر ابن خلف أن كلّ العلوم تابعة لها ومنطوية تحت لوائها وخادمة لها (فإن حكماء اليونانيين ، كانوا يسمون صناعة الكتابة العلم المحيط ، وهذا اسم واقع لافتقاد جميع الأشياء وحاجتها إلى الاستعانة بها في تكميل معانيها ، وهي لذلك حقيقة بأن تكون العلوم والصنائع في حيزها أو في خيز شيء منها ، وأن يكون لها رتبة السلطنة والمملكة عليها) . (٥٦:٨٩-٩٠) وظلت الكتابة محتفظة بمكانتها وعظمتها حتى بعد عصر ابن شيث فنجد القلقشندي في « صبح الأعشى » يشيد بالكتابة ويبين فضل صاحبها يقول :« وأهل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التحقيق من علماء الأدب ما برحوا – يرجحون كتابة الإنشاء ، ويميزونها على سائر الكتابات ويقدمونها ، فهي مستلزمة للعلم بكل نوع من الكتابة كما تستلزم زيادة العلم وغزارة الفضل وذكاء القريحة وجودة الروية ... أما رفعة محل صاحب ديوان الإنشاء وشرف قدره ، فأرفع محل ، وأشرف قدر ، يكاد لا يكون عند الملك أخص منه ولا ألزم لمجالسته ، ولم يزل صاحب هذا الديوان معظماً عند الملوك في كل زمن ، مقدّما لديهم على من عداه يلقون إليه أسرارهم ويطلعونه على ما لم يطّلع عليه أخص الأخصاء.» (١١:١/٥٤-٥٥، ٥٦، ١٠١).

ويحدد ابن شيث أصلين لا بد من توفرهما في الكاتب ، ينبني عليهما باقي الأمور الأخرى. ولا يصح لكاتب أن يلقّب « كاتباً » إلا بهما وهما التقوى وإسلاس النصيحة لمن يخلفه ، ويمكننا اعتبار هذه النصائح التي تضمنها هذا الباب فريدة في بابها ، لذلك أرى أنه من اللازم إيرادها بصورة موجزة وخاصة أنه يسديها من باب التجربة والخبرة ، وحاولت تنظيمها لأن ابن شيث ساقها بطريقة عشوائية وتداخلت معها أمور أخرى .

الأخلاق والخلال :

يذكر فيها تجنب الرشوة وغض البصر وكتمان السر ، وتجنب التجسس والأمانة والبعد عن البذخ والإسراف وتركيز النظر إلى المحدث.

وفيما يتعلق بآداب التصرف :

ألا يخلل أسنانه في مجالس صاحبه ولا يتنخم ولا يشير بالتمخط أو بالتبصق ولا يتثاءب ولا يأكل الأشياء التي تكرّه رائحة الفم .

آداب الصحبة والمعاملة:

فمنها عدم التسرع في خدمة المصحوب في ما لا يلزمه ، وعدم دخول الحمام معه وألا يأكل معه ، والحرص على استئذانه ، وأن يكون حضوره باستدعاء منه، ولا يكثر السلام عليه، ويتجنب الحديث معه في أوقات الصلاة،وأن يتقن الفن الذي يرغبه صاحبه ليكون على بيّنة منه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا سُئل.

آداب الملبس :

منها ألا يتزوق بالملبوس الغريب، وألا يخرج عن زيه .

أما آداب اللسان والكلام :

منها تجنب الهرج والمناهبة في الكلام والمزاح والنطق بالألفاظ المتحاشاه .

وآداب الجلوس :

(أن يجلس محتبيا أو متربعاً ولا يجعل إحدى يديه على الأرض كي يعتمد عليها ويتكي وأن يتجنب مزاحمة صاحبه .) (٧: ٢٨-٤٢).

آداب صنعة الكتابة:

ويذكرها ابن شيث في المرتبة التالية في حين ركز عليها معظم الذين تناولوا الكتابة أولاً . أما ابن شيث ،(فرأى أن الاداب الخلقية تسبق هذه في الأهمية . ومما يذكر في هذا المجال ، أن الكاتب لا بد أن يتقن صنعة الكتابة وألا يشغل نفسه برونق الخط ، ولا بد أن يتدرب في معرفة الخطوط السقيمة والحروف الناقصة ، وأن يكون ماهراً في قراءة الكتاب ، وأن يكون سريع الخاطر إذا سئل ، وأن يكثر من مطالعة كتب التاريخ ، وأن يتأمل المعاني المطروحة ليستفيد منها وأن يكون له تعليق يشمل نعوت الناس وأسماءهم .)(٧: ٣٢-٤٢) .

ومن خلال دراسة هذا المطلب يمكننا وضع الملاحظات التالية :

أ- إشارة المحقق إلى مجيء كلمتين تخالف اللغة "طريانه"(٧: ٤٠) ، و"إيجاداً"(٧: ٢٩).

ب- تداخل الموضوعات فقد أورد ما يتعلق بآداب الكاتب وأدخل فيها أموراً نقدية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتعلق باللفظ والمعنى . (٧: ٣٢- ٣٣) .

جـ- إعادته لبعض النقاط التي تتعلق بآداب الكاتب مثل «الأمانة»(٧: ٣١، ٤٢)، و«كتمان السر»(٧: ٢٨، ٣٠) و«التقوى» (٧: ٢٧، ٤٢) ، و«تجنب وحشي الكلام». (٧: ٣١، ٣٤)

د- تقديمه آداب الكاتب على أدوات الكتابة وآلاتها من حيث التناول ولا يذكر منها سوى الاهتمام بالتاريخ والمعاني والألقاب والنعوت .

هـ- تركيزه على الجانب الديني والأخلاقي واعتباره الأساس .

و- استخدامه أسلوبا أدبيا مسجوعا في عرض هذا المطلب .

ي- اشارته إلى قضية مهمة ، هي اضطراب المصطلحات في عصره ،وحثّه، على تلافي هذا الأمر، لأن الكاتب يكون هو المسؤول في النهاية . (على أنها قد صارت شورى ودخلت من أقطارها ، فلا يجد الداخل فيها سياجاً يمنعه منها ولا سوراً ، وهذه المنزلة خطرة ، ومسالكها وعرة، وصاحبها وقفٌ على تغير قضية واستحالة حالة وعبرته غير مرحومة ، وعثرتُهُ غير مقالة) ، (٧ : ٤٢) .

ولقد تبنى هذا الموضوع فيما بعد كتاب « صبح الأعشى » ، ففصل فيه وأجاد (١١) وكذلك « التعريف بالمصطلح الشريف » . (٥٧) .

٢ -٢ في آداب كتّاب الملوك وأركان الدولة :

ويذكر في هذا المطلب كتّاب الملوك ، إضافة إلى تعريف بالدواوين التي في عصره ، ويتناول الموضوعات حسب الرتبة والأهمية ، فيبدأ بما هو مهم ، ثم بما هو دونه في الرتبة .

ويبدأ ابن شيث بالتأكيد مرة أخرى على آداب الكاتب الذي يخدم السلطان (قد قيل إنّ من خدم السلطان وجب عليه أن لا يخونه في الأهل ولا في المال ، ولا ينوي له غيلةً في الملك ، ولا يشاركه في أغراضه) . (٧ : ٤٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ – وأول ما يذكر ابن شيث من كتّاب الملوك كاتب المال :

إلا أن(ابن شيث لا يبين مهام هذا الكاتب ، ولا يعرّفه وإنما يذكر وجه انصرافه). (٧: ٤٥) .

٢ – كاتب الجيش يو(هو في مرتبة دون مرتبة كاتب المال والآداب التي ذكرها ابن شيث سابقاً يأخذ منها كل حسب مرتبته كما يذكر) (٧: ٤٥-٤٦) .

يرى صاحب مواد البيان أنّ (خطر منزلة كاتب الجيش بمقتضى خطر ما ينظر فيه من أمور الرجال الذين هم أعضاد السلطان وأعوانه) (٥٦: ٨١) . أما مهامه ، فهو يعمل من جهته ورقة بما يتحدد من أسماء الأجناد وأرزاقهم ، ويُقابل عليها، ويشاركه في المقابلة عليها صاحب ديوان الإقطاع ، ثم يكتب عليها صاحب ديوان الجيوش «يُكتب» بغير لام الأمر تأدباً مع صاحب ديوان الإنشاء ، ويتبعه في ذلك صاحب ديوان الاقطاع، ثم ترجع الورقة إلى صاحب ديوان المكاتبات فيكتب عليها « بالتنجز على ما تقدم » (٧: ٤٦)

وتشير هذه المهام السابقة إلي الترابط بين دواوين الدولة،فلا يتمّ إجراء إلا إذا مرّ عليها جميعا،ومن ناحية أخرى يتبين لنا عظم ديوان المكاتبات فإليه مرجع كل الأمور في النهاية .

٣– صاحب ديوان الإقطاع : وهو دون مرتبة صاحب ديوان الجيش إلا أنهما يشتركان في العمل ، ويلزمه ما يلزم السابق من أحوال الأجناد والإحاطة بها ، (لكل منهما توقيع ، فصاحب الجيش توقيعه على يمنة الورقة ، وصاحب ديوان الاقطاع في الجانب الايسر.)(٧: ٤٦-٤٧).

٤–صاحب ديوان المال : – وهو(صاحب النظر مطلقاً ، إلا أنه ليس له نظر على كاتبي الجيش والاقطاع إلا بتقرير من السلطان)(٧: ٤٨) . ويذكر ابن شيث طائفة ممن يعملون داخل ديوان المال وهم:–(شاهد بيت المال ، ومشارف الخزائن ، والناظر ، والمشارف ، والشاهد والعامل ، ونائب الديوان ، والجهبذ والخازن) (٧: ٤٩-٥٢)،ويبين ابن شيث رتبة كل منهم ووظيفته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونلاحظ من خلال هذا المطلب أن ابن شيث رغم عنونته له بآداب كتّاب الملوك وأركان الدولة ،لم يركز على الآداب كثيراً ، وانما كان ذلك في البداية فقط، وأنّه ذكر الكتّاب والعاملين في الدواوين المختلفة وإنه من خلال عمله هذا أعطى صورة واضحة عن التكوين العام للدواوين في عصره ، وخاصة ديوان المال ، وارتباطه بالدواوين الأُخرى . ويمكننا بالتالي رسم صورة عامة للدواوين في عصر ابن شيث ، وهو باب في غاية الأهمية، يبين حال الدواوين في عصر هذا المؤلف من حيث التنوع وطريقة الارتباط .

٢-٣ في طبقات التراجم وأوائل الكتب وما يكون به التخاطب بين المتكاتبين على مقدارهما .

وهذا اهم ما يميز كتاب ابن شيث ، إذا يحدد فيه قواعد الكتابة الانشائية في عصره ، وسأورد النقاط الأساسية التي تناولها ابن شيث في هذا الباب :-

أ- الترجمة : ويذكر مكانها ، وصيغها ، والترجمة إلى الديوان الشريف النبوي والترجمة إلى الملوك من الأجناد ، والترجمة إلى السلطان من المتصرفين في الديوان ، والترجمة من الفقهاء والقضاة وذوي التنسك إلى السلطان ، والترجمة من السلطان إلي من دونه، وترجمة السلطان إلي ولده .

ب- المخاطبة : ما يخاطب به الديوان النبوي الطاهر، وما يخاطب به السلطان ، وما يخاطب به الوزراء وما دون ذلك ، وما يكتبه السلطان لولده ، والمخاطبة بسيدنا ومولانا.

جـ- الدعاء : الدعاء في صدور الكتب ، والدعاء للسلطان ، والدعاء في مكاتبة السلطان إلى ولده ، والدعاء بـ «لازال» ، «ولا برح» ، وترفع الملوك عن كثرة الألقاب وكثرة الدعاء ، ودعاء الكاتب في مخاطبة السلطان ، والدعاء في مكاتبة المتكافئين ، والدعاء على الأعداء في صدور الكتب .

د- النعوت : النعوت في الكتابة من قبل السلطان الى من دونه ، والنعوت المضافة إلى الدين ، ونعوت المكتوب إليهم من قبل السلطان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ- ما يخصّ الكتاب : الشكل ، والنقط ، والخط في الكتابة إلى السلطان وعنه، والخط الغليظ ، والحروف الكبار، والسجع في الكتب ، وتأريخ الكتب ، وترك الكتب مفتوحة ، وطيّ الكتب ، وطرّة الكتاب ، والمسافة بين السطور في الكتابة إلى السلطان ومنه البياض في الكتب ، والكتابة في الحواشي ، والكتابة على ظهور الكتب.

و- تكوين الكتاب : - عنوان الكتاب، والتحميد في أوائل الكتب والآيات في صدور الكتب ، وأواخر الكتب .

ز- تنبهات يجب الاهتمام بها : عدم المصارفة في مكاتبة الملوك ومخاطبتهم ، واستخدام نون الجمع في الكتابة ،وعدم الاكثار من النعوت في الكتابة إلى السلطان(٧:٥٣-٧٦) .

٢-٤ في ذكر وضع الخط وحروفه وبري القلم وامساكه مما لا يستغني عنه الكاتب

يشير ابن شيث من خلال هذا العنوان إلى أهمية هذا الأمر فهو مما يلزم هذا المجال أي الكتابة ولا يمكن الاستغناء عنه . ويورد ابن شيث انه نقل هذا الباب من كلام بعض الكتاب إلاّ أنه أختصره (٧) ويعالج في هذا الموضوع عدة قضايا منها :-

أولاً الخط :

فهو من الأمور المهمة للكاتب ولابد أن يكون على معرفة به

أ- يركز ابن شيث بداية على كيفية تشكل الخط فهو :-

(صور تتشكل في العقل تشكلاً كلياً ، واليد تخرج تلك الصور بواسطة القلم) (٧:٧٧) . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى الرقي الفكري عند ابن شيث في تفسيره عملية تحوّل الخط من عملية عقلية محضة إلى شيء مرئي بواسطة تحرك اليد بالقلم لتحول تلك الصور الذهنية الغائبة إلى خطوط مرئية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينفرد ابن شيث في تناوله لهذا الجانب ، فلا نجد أحداً ممن تعرض للخط قد ذكره ، فلقد تناولوا الخط من حيث أهميته وفضله ، وإلى ذلك أشار القلقشندي حينما جمع ما قيل في الخط (قال جعفر بن يحيى : الخط سمط الحكمة ، وبه تفصّل شذورها وينتظم منثورها ، وقال النظّام : الخط أصلٌ ، الروح له جسدانية في سائر الأعمال إلى ما يجري هذا المجرى ، ويقول مسلم بن الوليد :ـ لو لم يكن من شرف الخط إلا أن الله تعالى أنزله على آدم ، وأنزل الصحف على الأنبياء مسطورة ، وأنزل الألواح على موسى مكتوبة ، لكان فيه كفاية ولذلك قيل : الخط أفضل من اللفظ ، لأن اللفظ يُفهِم الحاضر فقط، والخط يُفهِم الحاضر والغائب) (١١ : ٣/ ٢–٣) .

ب– ويذكر ابن شيث أنّ سلامة الخط ونقاوته تعتمد على : (قوة اليد ، وكثرة إدمانها ولين أعصابها ، وجودة الأقلام ، والمداد : هو النقس الذي تزوق به تلك الصور ، فإذا كمل حسن التصوير وسلامة اليد من الضعف والصلابة وجودة القلم ورونق المداد جاء الخط على ما يحتاج) (٧: ٧٧) .

جـ– ويورد ابن شيث رأيه في حسن الخط ، فيرى أنه : (لا على الانسان بعد إتقان الأصول أن لا يكون الخط على غاية التحرير ، فإنه قلّما اجتمع التحرير والبلاغة) . (٧: ٨٧) . أي أن الاهتمام الزائد بحسن الخط يفقد الكتابة الجانب البلاغي ، لأن الذهن ينصرف إلى التركيز على تجويد الخط دونما الاهتمام بكيفية المحتوى ، ويشير إلى عكس هذا الصولي (ت:٣٣٥هـ) ، فيرى أن قبح الخط يصرف عن الفائدة ، وإن كان الكلام بليغاً (ومن فضل حسن الخط ، أن يدعو الناظر إليه ليقرأه ،وإن اشتمل على لفظ مرذول ، أو معنى مجهول وربما اشتمل الخط القبيح على بلاغة وبيان،فيرغب الناظر عن الفائدة التي هو محتاج إليها لوحشة الخط وقبحه،) (٥٨ : ٤٢).

أما مقياس الخط عند ابن شيث فهو أن (خير الخط ما قرىء بمفاجأة اللمح.) (٧:٨٧). أي أن هناك دعامتين أساسيتين للخط عند ابن شيث هما : مراعاة الأصول المتعلقة بالخط، والوضوح والإبانة فيه .

د– أما ما يتعلق بصور حروف الخط فهي تستلزم خمسة أشياء هي : – التوفية ، والاتمام،والإكمال والإشباع والإرسال ، ويعرف ابن شيث أربعة منها فقط

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٧:٧٩-٨٠) لأنه خلط بين تعريف الاتمام والاكمال وجعلهما شيئاً واحداً ، ويتضح ذلك إذا نظرنا في تعريف ابن مقلة لهما ، حيث يعرف الإتمام بقوله: هو أن يُعطى كل حرف قسمته من الأقدار التي يكون عليها من طول أو قصر أو دقة أوغلظ ، أما الإكمال : فهو أن يؤتى كل حرف حظه من الهيئات التي ينبغي أن يكون عليها من انتصاب وتسطيح وانكباب واستلقاء وتقوس . (٥٩:١١٩) .

هـ- أوضاع الخط : وتتمثل في أربعة أشياء ، هي الترصيف والتأليف والتنصيل والتسطير، ولكل منها تعريف خاص يورده . (٧: ٨٠)

و- وفيما يخص أشكال الحروف : يورد ما يتعلق بشكل ثمانية عشر حرفاً فقط هي:الألف، الراء ، النون ، والتاء ، والجيم ، والدال والعين واللام والصاد والطاء ، والقاف والواو والهاء ، والياء ، والفاء ، والكاف ، والميم ، والسين . (٧: ٨١-٨٢). ولا يتّبع ترتيباً معيناً في إيرادها .

ولقد خالف ابن شيث ما جاء في رسالة الخط والقلم عن ابن مقلة في بعض أشكال الحروف ، فمثلا : - القاف عند ابن مقلة شكل مركب من ثلاثة خطوط منكب ومستلق ومقوس (٥٩: ١٢١)،أما عند ابن شيث فهو شكل مركب من ثلاثة خطوط منكب ومستلق ومسطح (٧: ٨١) . وبالمثل كانت المخالفة في الواو والياء والكاف

ز- اعتبار الحروف : ذكر ابن شيث اعتبار ثمانية عشر حرفاً هي نفس الحروف التي أورد شكلها إلا أنه أبدل التاء باء . (٧: ٨٢ - ٨٤) .

وقد خلط ابن شيث في اعتبار النون فهي ليست نصف دائرة وانما كما ذكر ابن مقلة أنها تصير دائرة كاملة . (٥٩:١٢٢)

ح- ويذكر ابن شيث ابتداءات الحروف وانتهاءاتها وما يندرج تحت كل نوع من حروف. (٧:٨٤-٨٥) .

ط- ويورد قوانين يعتمدها الكاتب في الخط منها حركة اليد بالقلم ومايجب أن يراعى في كل حرف ، والمدات في الخط ويرى ابن شيث أنّ أقلّ ما تقع المدات في الكلمات الثنائية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالوسط في الثلاثية واكثر وقوعها في الرباعية والخماسية)(٧: ٨٥: ٨٦) . وإذا نظرنا في «مواد البيان » نجده يفصّل في هذا الموضوع كثيراً ويخالف ماذهب إليه ابن شيث فيرى(أن الكلمات الثلاثية المد فيها على الأكثر قبيح لأنها لا تنقسم إلى قسمين متساويين) (٥٦ : ٤٨٨) .

في حين يرى ابن شيث أن الأمر فيها وسط ، وإذ يستحسن ابن شيث المد في الخماسية يرى في « مواد البيان » أنه لا يحسن كما في الثلاثية ، لأنها لا تنقسم قسمين متساويين (٥٦:٤٨٩)وقد أشار القلقشندي فيما بعد إلى اختلاف العلماء في التقنين للمد في الخماسي(وقد اختلف علماء الخط فيه على مذهبين : مذهب صاحب « مواد البيان » إلى أن المد فيها لا يحسن .... ومذهب أبي القاسم بن خلوف إلى أن المد فيها لازم لا يجوز تركه) (١١: ١٤٢/٣)

ثانيا : القلم : –

وهو من أدوات الكتابة التي حازت اهتمام كثير من العلماء ، فلقد ذكر كثير منهم أهميته وفضله منذ القدم ، ومن ذلك ما ذكره الجاحظ (ت : ٢٥٥هـ) في « البيان والتبيين »(فمما ذكر الله عز وجل في كتابه من فضيلته قوله لنبيه عليه السلام :﴿ اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم ﴾ ، وأقسم به في كتابه المنزل على نبيه المرسل حيث قال :– ﴿ن، والقلم وما يسطرون ﴾ .ولذلك قالوا: القلم أحدّ اللسانين ، وقالوا : القلم أبقى أثراً واللسان أكثر هذراً﴾ (٦٠: ٧٩) . وذكرالنويري (ت: ٧٣٣ هـ) في « نهاية الأرب في فنون الأدب » : (قال جعفر بن يحيى : لم أرَ باكياً أحسن تبسّماً من القلم .وقال المأمون : لله در القلم كيف يحوك وشي المملكة . وقال ابن المعتز : القلم مجهز لجيوش الكلام يخدم الإرادة كأنه يقبّل بساط سلطان﴾(٦١: ٢٠) .

ولقد كان القلم إضافة إلى أنه مادة في الكتابة من حيث شروطه ووصفه ، مادة أدبيةً من حيث مدحه في الشعر والنثر ومفاضلته بالسيف ، ولقد أشار إلى ذلك ابن مقلة حين قال :« القلم للكاتب كالسيف للشجاع» (٥٩: ١٣٠) .ولقد تناوله كثير من الشعراء في أشعارهم ، منهم ابن الرومي حين فضّله على السيف : –

إنْ يخدمُ القلمَ السيفُ الذي خضعتْ له الرقـــابُ ودانتْ خوفه الأممُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالموتُ والمـــــوت لا شيء يغالبهُ   ما زالَ يتبعُ ما يجـــرى به القلمُ

كذا قضى اللهُ للأقلام مـــنذ بريتْ   أن السيوفَ لها مذ أُرهفتْ خدمُ (٦١:٢٧)

أمّا ما جاء في النثر عن القلم فهو كثير ، من ذلك كتاب لأبي الخطاب الصابي ، يصف فيه أقلاما أهداها في جملة أصناف جاء فيه « وأضفتُ إليها أقلاماً سليمة من المعايب مبرّأة من المثالب ، جمة المحاسن ، بعيدة عن المطاعن ، لم يُزْ بها طول ولا قصر ، ولم ينقصها ضعف ولا خور » (٦١:٢٣) .أما ابن شيث فيتناول القلم من حيث وضع شروطه الصحيحة التي يجب أن يكون عليها من حيث الطول ، والبرى وطريقته ، والأمساك ، والقطة من حيث الجودة وغيرها من الأمور المتعلقة به (٧: ٧٧–٧٩، ٨٧) ، ففي طول القلم يقول : –

« أما طول القلم فيكون من ستة عشر إصبعاً إلى ما دون ذلك ، وكلما كان غير نافر في الطول، كان أجود ، وكان الخط به أحسن ، وكانت اليد عليه أثبت »(٧:٧٨) . ويذكر ابن شيث أموراً يجب على الكاتب التنبه إليها منها : –

الجلسة الصحيحة وتفقد الدّواة وغسل الليقة والمحافظة على قَطة القلم• (٧:٨٦–٨٧).هذه الأمور كلها عرضها ابن شيث من خلال هذا الباب ، ويجدر بالذكر أن ابن شيث ليس أول من اهتم بهذا الأمر فهناك كتب أفردت للحديث عن الخط والقلم منها ما وصلنا . ومنها ما لم يصلنا، ومن الكتب التي وصلتنا في هذا الموضوع : – « الكتّاب وصفة الدّواة والقلم وتصريفها » تصنيف أبي القاسم عبد الله بن عبد العزيز البغدادي من القرن الثالث الهجري .

– « شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب »

– « رسالة ابن مقلة في الخط والقلم »

ومن الكتب المفقودة :– « جمل الخط » لابن مقله ولقد أشار إليه في مقدمة رسالته في

• الدواة : ما يكتب منه (٣٢: مادة دوا) ، الليقة : ليقة الدواة وهي ما اجتمع في وقبتها من سوادها. (٣٢:ليق)
والقطة : هي قطة القلم وهي مكان بريه (٣٢: مادة قطط) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخط والقلم ..

هذا وقد أشار المحقق تعقيباً على العنوان الذي أورده ابن شيث لهذا الباب في هامش (١) بقوله : « نرجح أن ما نقله قد أخذه من رسالة ابن مقلة في « علم الخط والقلم » فالذي ينقله يكاد يتطابق مع ما نقله القلقشندي في كتابه « صبح الأعشى » عن ابن مقلة في الأمور التي تتعلق بالخط » (٧: ٧٧) .

إلا أنني عقدت مقارنة بين ما أورده ابن شيث في هذا الباب ، وبين ما جاء في رسالة ابن مقلة نفسها ، فتبين لي أنه لم ينقل عنها ، وأنه نقل عن غيرها مما كتبه ابن مقلة نفسه وعن آخرين أيضاً ، ويؤكد هذا قول ابن شيث نقلته نقلاً من كلام بعض الكتّاب إلا أني اختصرته (٧:٧٧) ولم يقل أحد الكتّاب ، مما يدلّ على أنه أخذ عن مجموعة ، وكان أول هذه المجموعة ابن مقلة ، ولكن من كتاب آخر غير رسالة الخط والقلم . وفيما يلي أسوق الأدلة التي بنيتُ عليها استنتاجي السابق ، وهي وجود نقاط خلاف عديدة بين ما جاء عند ابن شيث وما جاء عند ابن مقلة ، فضلاً عن إيراد نقاط عند ابن شيث ، لم ترد عند ابن مقلة في رسالة الخط والقلم :-

- أن الكلام على تشكل الخط في العقل ثم بروزه عن طريق اليد ، لم يرد في رسالة ابن مقلة ،و لا في « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » لابن السيد البطليوسي (ت: ٥٢١هـ)، ولا في صبح الأعشى ،وكلهم نقلوا من ابن مقلة بصريح العبارة فقد جاء في الاقتضاب في أكثر من موضع، قال ابن مقلة (٦٢: ٦٦-٦٧، ٨٧-٨٨، ٦٩).

- قَطّة القلم : يذكر ابن شيث أن أفضلها المربعة،وبعدها التي يكون فيها ارتفاع يسير من الجانب الأيمن ، والأخيرة هي التي يعتبرها ابن مقلة الاجود.(٥٩: ١١٨).

- إمساك القلم عند ابن شيث ببطون الوسطى والسبابة والإبهام ، ويكون مكان الإمساك فوق الجلفة بمقدار شعيرتين ، بينما يذكر ابن مقلة أن مسك القلم فويق الفتحة بمقدار شعيرتين أو ثلاث ، وتكون أطراف الأصابع متساوية حول القلم لا يفضل أحدهما عن الآخر (٥٩: ١١٨- ١١٩) .

- صور الحروف يذكر ابن شيث أنها خمسة ، إلا أنه يعرّف أربعة،ويخلط الاتمام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والإكمال، وهذا لم يرد عند ابن مقلة ، وإنما أفرد لكل تعريف خاص كما بينا صفحة (٦٣) من هذا البحث .

- أما ما يخص كل حرف فثمة اختلاف بين شكل بعض الحروف عند ابن شيث ، وبين ما جاء عند ابن مقلة وهي القاف ، والواو ، والياء ،والكاف . (٥٩).

- وفي اعتبار الحروف (ذكر أن النون مثل الراء) (٦:٨٤) ، وعند ابن مقلة(أن النون تصير دائرة كاملة) (٥٩:١٢٣) .

- وفي ابتداءات الحروف تختلف التسمية عند ابن شيث عنها عند ابن مقلة فابن شيث (يورد ابتداء بنقطة ، وبشطبة ، ومحلقة) (٦:٨٤) بينما يذكر ابن مقلة(ابتداء بنقطة وبشظية وجلفة) (٥٩: ١٢٣).

- وفي الابتداء بشظية ، يذكر ابن مقلة أنه(في خمسة أشكال هي : ح ، ص ،ط، ك ، ي) (٥٥: ١٢٣) في حين يذكر ابن شيث أربعة هي :(الطاء ،والياء ، والحاء ، والصاء) (٧:٨٤)

- وفي الانتهاءات يذكر ابن شيث(انتهاء بشطبة) (٧:٨٥) في حين يذكر ابن مقلة (انتهاء بشظية) (٥٩: ١٢٣)

- وفي (الانتهاء إلى قطة) عند ابن شيث (٧: ٨٥) ، يذكر ابن مقلة(الانتهاء إلى نقطة) (٥٩:١٢٣)

- وفي الانتهاء إلى قطة ، يبدل ابن شيث الراء التي وردت عند ابن مقلة فاء .

- وفي الانتهاء إلى إرسالة يذكر ابن مقلة (الراء والقاف) (٥٩: ١٢٣) وابن شيث يبدلهما (بالدال والفاء)(٧:٨٥) وفي أنواع الأقلام ، لا نجد ذكراً للأقلام الواسطية التي وردت عند ابن شيث بينما يقول ابن مقلة : « وخير الأقلام ما استحكم نضجه في جرمه ونشف ماؤه في قشرة وقطع بعد إلقاء بذره ، واصفرّ لحاءه ، ورق شجره وصلب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شحمه وثقل حجمه (٥٩ : ١٢٤) .

– وعلى حين يذكر ابن مقلة (وقوع المدات من حيث القلة والكثرة في ثلاث أحوال هي الأقل والوسط والأكثر) (٥٩ : ١٢٦) نجد ابن شيث (يذكر بدل الوسط وقوع المدة وسط الثلاثية في المكان وليس من حيث النسبة) (٧ : ٨٦) .

– ولا نجد عن ابن مقلة ذكراً لما يتعين على الكاتب فعله ، وما يتعلق بصيانة القلم وقطته.

– ولا يذكر (ابن مقلة في رسالته شروط الجلفة ، في حين يذكرها ابن شيث) (٧ : ٨٧)

– وإذا قارنا بين حجم المعلومات التي أوردها ابن شيث في هذا الباب ، وبين ما جاء في رسالة ابن مقلة نجده متساوياً ، وبالتالي إذا سلمنا بما قاله المحقق يختل ما ذكره ابن شيث من أنه نقل هذا الباب مع اختصاره ، أي ينتفي شرط الاختصار .

ومن هنا نخالف المحقق في ذكره أن ابن شيث نقل عن ابن مقلة في رسالته في علم الخط والقلم . فعلى الرغم من وجود تشابه بينهما ، إلا أن نقاط الاختلاف كثيرة ، وأرجح أن ما نقله ابن شيث عن ابن مقلة ولكن من كتابه الذي أشار إليه في مقدمة الرسالة : (هذا كتاب جمعنا فيه من علم القلم ما بسطناه في الكتاب الموسوم ب « جمل الخط » ، لما رأيناه من أن نكون بإيضاحنا هذا له مكملين ، ولبياننا عنه متممين ، بأن نضيف إليه مختصراً لطيفاً وكتاباً متوسطاً يوضح جميع أصول المتدربين) . (٥٩ : ١١٥)

أما إذا قارنا بين ما ورد في صبح الأعشى نقلاً عن ابن مقلة نجده متطابقاً تماماً مع رسالة الخط والقلم مما يدل على إطلاع القلقشندي عليها ،ويدل أيضا على ضياع كتاب الجمل لأنه لم ينقل منه في كتابه ولا يورد له ذكراً .

وإذا نظرنا فيمن تناول موضوع الخط والقلم ، نجد أن ابن مقلة كان مرجعا في كتاباتهم . فلقد نقل عنه كل من ابن السيد البطليوسي في كتابه « الاقتضاب » ،وأبو الحسين اسحق بن وهب في كتابه « البرهان في وجوه البيان» ، وينقل عنه الصولي في « أدب الكتّاب » ، ولكن دونما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إشارة، إلا أننا نلاحظ تشابهاً في أجزاء من المحتوى ،وكذلك « مواد البيان » لعلي بن خلف .

ومن المقارنة يترجح أنهم نقلوا عن رسالة الخط والقلم وعن مؤلف آخر له لخلو الرسالة من بعض الأمور التي أوردوها ولا نجد ابن شيث يورد إشارة إلى نوع الخط الذي كان متبعاً في عصره، إلا أنه طالما اعتبر من سبقه مرجعاً لما كان متبعاً في عصره ، فإنه يتوافق مع ما أورده في هذا المجال – أقصد ابن مقلة – وقد أشار ابن مقلة فيما نقله منه ابن السيد البطليوسي إلى هذا الموضوع قال ابن مقلة : للخط أجناس قد كان الناس يعرفونها ويعلمونها أولادهم على ترتيب، ثم تركوا ذلك وزهدوا فيه كزهدهم في سائر العلوم والصناعات وكان أكبرها وأجلّها قلم الثلثين، وهو الذي كان كاتب السجلات يكتب فيما تقطعه الائمة وكان يسمى قلم السجلات، ثم ثقيل الطومار والشامي ثم قلم النصف ، والقلم الرئاسي ، وقلم المؤامرات ، وقلم الرقاع ، واكثر أهل هذا الزمان لا يعرفون هذه الأقلام ، ولا يدرون ترتيبها ، وليس بأيديهم إلا قلم المؤامرات وصغير الثلث وقلم الرقاع) . (٦٢ : ٨٧ – ٨٨) .

٢ – ٥ البلاغة والبيان في هذا الكتاب :

بدأ بذكر فضل هذا العلم فقال : «اعلم أن هذا الباب هو الذي عليه المعوّل في الكتابه ، وفيه تتفاوت أقدار الكتّاب ، وهو الذي فضّل الله به من آتاه من عباده فصل الخطاب» (٨٩:٧). فلقد اعتبر ابن شيث أن البلاغة من الركائز الأساسية التي تقوم بها الكتابة وأن من أوتيها فقد أوتي حظاً عظيماً . .

وربط ابن شيث البلاغة بالكتابة ، فجعلها من الأسس التي لا تصلح إلا بها ، ومن خلالها تتفاوت أقدار الكتّاب ، وأضاف إلى ذلك أنها نعمة يهبها الله من آتاه من عباده فصل الخطاب ، فرغّب ابن شيث في البلاغة ، وأشاد بمحاسنها عن طريق إظهار فضلها ، في حين أننا لو تأملنا كتابات من سبق ابن شيث في تعرضهم لهذه النقطة ، نجد أسلوب الحض والجبر ، وذكر مساوىء الترك ، أكثر من التركيز على محاسن الأخذ للترغيب . وقد أُتبع هذا الأسلوب في «كتاب الصناعتين الكتابة والشعر» ، يقول العسكري (ت:٣٩٥هـ) صاحب الكتاب المذكور : «اعلم أنّ أحق العلوم بالتعلم بعد المعرفة بالله ، علم البلاغة ، ولهذا العلم فضائل مشهورة ، منها أن صاحب العربية إذا أخلّ بطلبه وفرّط في التماسه ففاتته فضيلته ، عفي على جميع محاسنه ... ، وإذا أراد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيضاً تصنيف كلام منثور أو تأليف شعر منظوم ، وتخطى هذا العلم ، ساء اختياره له وقبحت آثاره فيه فأخذ المرذول وترك الجيد ، فدّل على قصور فهمه وتأخر معرفته وعلمه» (٦٢ : ١-٣).ونجد ممن جاء بعد ابن شيث ومنهم القلقشندي ، من لا يقصر البلاغة على الكتابة ، بل يجعلها مرتبطة بكل كلام اقتضى البلاغة (وهذا العلم ، وان شحن به أئمة الكتّاب كتبهم ، فإنه ليس مختصاً بفن الكتابة ، بل هو آلة لكل كلام اقتضى البلاغة ... ولما كانت صناعة الكتابة مبنية على سلوك سبل الفصاحة ، واقتفاء سنن البلاغة ... اضطر الكاتب إلى معرفتها والاحاطة بمقاصدها ليتوصل بذلك إلى فهم الخطاب وإنشاء الجواب) (١١ : ١/ ١٨٠-١٨٥).ويعرّف ابن شيث البلاغة فيقول : إنها (مجموعة في قسمين أحدهما أن يكون اللفظ قليلاً وهو دال على معانٍ ، وهو أعلى القسمين ... والقسم الثاني أن يكون الكلام منطبقاً على المعنى لا يفضل عنه ... ثم اضطر الكتّاب البلغاء إلى قسم ثالث ، وهو أن تكون الألفاظ نقية مسجوعة سجعاً خالياً ، فتكون الزيادة منها في حفاوة رونقها وحسنها) (٧ : ٨٩-٩٣) فهو يعتبر أن البلاغة هي الإيجاز – وهو أعلى المراتب – والمساواة وهناك قسم ثالث أدناها هو الاطناب ، ويرى ابن شيث أن البلاغة مجموعة في القسمين الأولين ، أما الثالث فقد اضطر إليه الكتاب (وصار هذا المذهب بينهم هو المسلوك وصار ذلك الأول ، وإن كان هو للعرف كأنه المتروك) (٧ : ٩٣).ومن خلال هذا التعريف ، يتبين لنا أن ابن شيث ينظر نظرة خاصة إلى البلاغة ، على اعتبار أنها (بلاغة الكتابة) وهو في هذا التعريف والتحديد يختلف عن سابقيه الذين ذهبوا إلى ذكر آراء السابقين في تعريفها دونما الجزم بترجيح تعريف معين ، فضلاً عن أنهم لم يربطوا البلاغة بالكتابة على نحو ما رأينا في كلام العسكري فيما مضى .

وإذا حاولنا استعراض جملة من التعريفات للبلاغة كما وردت عند من سبق ابن شيث ، نجد صاحب «الصناعتين» يذكر تعريف ابن المقفع : (قال اسحق بن حسان : لم يفسر أحد البلاغة تفسير ابن المقفع إذ قال : البلاغة اسم لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة ، منها ما يكون في السكون ، ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سجعاً ، ومنها ما يكون خطباً ، وربما كانت رسائل ، فعامة ما يكون من هذه الأبواب ، فالوحي فيها والإشارة الى المعنى أبلغ ، والايجاز هو البلاغة) (٦٣ : ١٤) ويورد أقوالاً لآخرين أيضاً . ويرى قدامة بن جعفر(ت:٣٣٧هـ) في البلاغة (أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه ، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتّاب رجلاً فقال : كانت ألفاظه قوالب معانيه) (٦٤ : ١٧١) وهو يورد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا التعريف مع جملة من التعريفات أما ابن رشيق(ت:٤٥٦هـ) فيورد طائفةً من أقوال البلغاء في تعريف البلاغة كما تصورها من وردت هذه التعريفات على ألسنتهم (سُئل بعض البلغاء عن البلاغة فقال: قليل يُفهم وكثيرٌ لا يسأم . وسئل آخر فقال : معان كثيره في ألفاظٍ قليلة ، وقال آخر إصابة المعنى وحسن الإيجاز . وقال خلف الأحمر : البلاغة لمحة دالة ، وقال الخليل بن أحمد : البلاغة كلمة تكشف عن البقية ، وقال المفضل الضبي : قلت لأعرابي ما البلاغة عندكم ؟ فقال : الإيجاز من غير عجز ، والإطناب من غير خطل . وعن آخر : البلاغة معرفة الفصل من الوصل ، وقال الرماني : أصل البلاغة الطبع ولها مع ذلك آلات تعين عليها وتوصل للقوة فيها وهي ثمانية أضرب الايجاز والإستعارة والتشبيه ...) (٥١:١/٢٤٢-٢٤٣) ، وهولايرجح رأياً من هذه الآراء ، بل يذكرها دونما تعقيب أو تعليق ، ولا يذكر هؤلاء البلاغيون أمثلة على ما أوردوه من تعريفات ، في حين نجد أن ابن شيث يُمثل لتعريف البلاغة فيورد مثلاً على القسم الأول الذي يعني به الإيجاز ، وهو في هذا القسم يوافق ما ذكره ابن المقفع من أن الإيجاز هو البلاغة ، إلا أن ابن شيث يضم إليه قسماً آخر وهو المساواة ، وهو في قوله (وهو أعلى القسمين)(٧:٨٩) دليل على الترجيح وبروز الرأي . وابن شيث لا يذكر لفظة (إيجاز)،وإنما التعريف يدلّ عليها . أما القسم الثاني الذي أشار إليه ابن شيث فهو (أن يكون الكلام منطبقاً على المعنى لا يفضل عنه) (٧:٩١) وهو يعني به المساواه دونما إيراد لهذه اللفظة.ولقد جعلها الأساس الثاني في البلاغة كما سبق أن بينا.ولعل إغفال ابن شيث للتقسيمات البلاغية ناتج عن شيوعها ومعرفتها ، أو ربما كان ذلك للسرعة كما وردفي مقدمته.ويعدّ ابن شيث كلاً من هذين القسمين من الأمور التي يجب أن يقف عليهما الكتّاب فمعرفتهما واتباعهما في الكتابة تقي الكاتب من تكلف الألفاظ والتزام السجع يقول : «فهذان القسمان هما اللذان كان حذاق الكتّاب واقفين عندهما ولذلك لم يتكلفوا من السجع ولا من رعاية الألفاظ ما يخرجهم عن ذلك ، إلا أنهم كانوا يخاطبون من يفهم عنهم» (٧:٩٢-٩٣).وهناك قسم ثالث يظهر أن ابن شيث لا يؤيده ، وإنما إلتجأ إليه الكتّاب مضطرين ، وأصبح طريقاً مسلوكاً رغم عدم تمشيه مع العُرف،وهذا القسم من خلال قول ابن شيث هو (زيادة الألفاظ) يتبين لنا أنه الإطناب الذي من خلال اتباعه يلجيء إلى الإهتمام بالألفاظ وبرونقها والتزام السجع ، يقول ابن شيث:«أضطر الكتّاب البلغاء إلى قسم ثالث هو أن تكون الألفاظ نقية مسجوعة فتكون الزيادة منها في حفاوة رونقها وحسنها، وصار هذا المذهب بينهم هو المسلوك وصار ذلك الأول وإن كان هو للعرف كأنه المتروك» . (٧:٩٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجعل ابن شيث للإطناب شروطاً ، وهو أن تكون الألفاظ المزيدة مضاهية لسابقتها في الحسن والرونق أي لا يؤدي الإطناب إلى الوقوع في التكلف ، وهذه الأقسام الثلاثة التي تحمل معنى الإيجاز والمساواة والإطناب تدخل في علم المعاني ، إلا أن ابن شيث لم يتناول البلاغة بحسب علومها ، ولم يفصل بين أجزائها بعناوين ، وإنما يتناولها دفعة واحدة . وثمة أمر يدعو للاستغراب إذ إن علوم البلاغة في القرن الذي عاش فيه ابن شيث وقبله أضحت واضحة ومميزة، ونجد من المصنفات التي فصّلت كلّ علم على حدة مثل «البديع في نقد الشعر» لأسامة بن منقذ(ت ٥٨٤ هـ). بل إنّه وجد من المصنفات ما تخصص في صنف واحد من علوم البلاغة . وربما أراد ابن شيث أن لا يدخل في تفاصيل كثيره وتشعبات ، باعتبار أن تقسيم البلاغة إلى علومها يحتاج إلى الجهد والشرح الكثير ، وهذا ما لا يريده وإنما أراد وضع خطوط عريضة فقط.

ويجعل ابن شيث الفرق بين الشعر والنثر ، الوزن ، يقول : «نعوت الشعر كلها تدخل في نعوت النثر إلاّ الوزن» ويجعل السجع هو المميز للنثر ، ويعتبره من الأسس التي لا غنى عنها في الكتابة يقول : « ولا بد من ذكر ألقاب السجع ليكون الكاتب منها على بينة ، ويستغني بهذا الكتاب في هذه الصناعة عن غيره لكونه لما يحتاج إليه فيها جامعاً» (٩٦:٧)،ويذكر المعنى اللغوي للسجع ، ونستغرب إذ نراه لا يعرفه تعريفاً اصطلاحياً كفن من فنون البديع ، في حين نجد من قبله أو لنقل معاصره ابن الأثير يذكر تعريف السجع بأنه (تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد) ويذكر له مصطلحاً آخر هو المسجع . (٤٨:١/٢١٠) . ويعتبر ابن شيث السجع فناً خاصاً بالنثر بدل الوزن في الشعر ويتناوله مستقلاً في الدراسة دونما ربطه بعلم البلاغة، وانما يربطه بالكلام المنثور ، وهو في ذلك يشبه كتاب الصناعتين الذي تناول السجع مستقلاً عن البديع . (٦٣:٢٦٠-٢٦٥) ، فكأن ابن شيث يهمه التطبيق أكثر من التنظير ، فالبلاغة أو البديع قيمته ليست في كونه قوانين ، وانما أهميته في استخدامه وتطبيقه . ولما كان اهتمام ابن شيث بالكتابة فقد جعل البلاغة مطوّعة لخدمة الكتابة وما يتصل بها . ويذكر أن هناك مراتب للسجع من حيث الجودة والرداءة ، وهذه نظرة نقدية واضحة يؤكدها قوله : «وخير السجع ما توازنت فيه الألفاظ والتُزم فيه رصف الكلمة التي يوقف عليها في الكلمة الأخرى التي تطابقها في السجع»(٩٦:٧).

ويعتبر ابن شيث أن السجع هو الأصل الذي تفرعت عنه فنون البديع الأخرى إذ يقول : «ولا بد من ذكر ألقاب السجع ليكون الكاتب منها على بينة» (٩٦:٧)،ويتبع هذا بذكر تسعة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عشر لوناً بديعياً لا يفصل بينها وبين السجع فاصل ، يؤكد ذلك اتباعه كلمة الرّجع بقوله (أيضاً) (٩٧:٧) دليل العطف على السابق له والذي يتمثل في السجع ، ولقد اعتبر الاستعارة من ضمن فنون البديع .

ويمكننا تبرير ذكره لمصطلح (ألقاب السجع) من عدة نواحٍ : فربما كان خلطاً نتيجة السرعة والارتجال ، وربما قصد بألقاب السجع : فنون البديع المتعلقة بالنثر ، على اعتبار أنه مجال التطبيق ، ولكل من الاحتمالين ما يترجح به :

- فالاحتمال الأول يترجح على اعتبار أنه(يحدد السجع في نوعين فقط ويذكرهما ويشرحهما)(٩٦:٧-٩٧) ، ثم يذكر فنوناً غيره ، ولكنّه يضعها دون عنوان نتيجة السرعة أو النسيان أو سقوط عنوانها من الأصل .

- والثاني يرجحه أنه يجعل مادة التطبيق والتعريف خاصة بالنثر أولاً ، وأميل الى ترجيح الاحتمال الثاني لأنه أقرب للعقل ، وذلك لأنه منذ البداية جعل الفرق بين الشعر والنثر هو الوزن، وجعل السجع يقابل الوزن للشعر ، فكما نقول : الشعر كلام موزون ، نقول : النثر كلام مسجوع ، على اعتبار أنه خاصية له مميزة ، فكلمة السجع في قوله (ألقاب السجع) ربما قصد به النثر ، وأما قوله (والرجع أيضاً) ، فعطف على ألقاب السجع على اعتبار أنها ثانية بعد السجع . وينبني على ذلك أن ابن شيث يعتبر النثر هو الذي تولدت عنه فنون البديع وتفرعت ، وكل هذه احتمالات ولا أجزم ، وكلها تولدت من قوله (ألقاب السجع) ، وعدم وضع عناوين موضّحة ، ففي كل كتب البلاغة لا نكاد نعثر على (ألقاب السجع) بهذا الأطلاق دونما تحديد . أما الأنواع التي يخص بها السجع فهي : سجع حالٍ ، وسجع عاطل . ويتميز ابن شيث بهذا التقسيم للسجع ، فهو لم يرد حسب اطلاعي عند من تعرضوا للسجع قبله . ويعرّف كلاً من النوعين ويمثل لهما ، ونجده يعطي مثالاً تقريباً من عنده للتوضيح مما يؤكد اهتمامه بالجانب التطبيقي والتعليمي ويجعل هناك مقياساً للجودة في هذا النوع وهو (بمقدار ما تتوازن اللفظتان ويلزم فيهما من تكرار الحروف يكون التبريز في ذلك) (٩٧:٧). وهذا يدل على تمكن ابن شيث في هذا المجال ، وقدرته الفائقة على التوصيل والتعليم ، فنحن أمام حقل تعليمي تطبيقي أكثر منه تقنيني . ويشير ابن شيث من خلال قوله : «إذا كان الكاتب متمكناً من البلاغة ، عُدّ ذلك تنزلاً وطلباً للاختصار ، واعتناء بحصول المعنى إلى المخاطب بالألفاظ النقية من غير التفات إلى تصنع السجع»

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

. (٩٧:٧) الى قضية مهمة هي التكلف في السجع حيث تلوى أعناق الألفاظ لتتلاءم السجعات، وهو مسبوق في هذا ، فقد أشار إليها العسكري وبيّن أنه يفضّل السجع (ما لم يكن في السجع استكراه وتنافر وتعقيد ، وكثيراً ما يقع ذلك في السجع ، وقلّ ما يسلم إذا طال من استكراه وتنافر . والسجع الذي فيه تكلف وتعسف مذموم (١٥٩:٦٣)،ويشير ابن شيث في موضع آخر إلى الإطالة في السجع (وإذا كان السجع مطيلاً للكلام فينبغي أن يتحاماه) (٣٢:٧-٣٣) .

– الرجع : وهو المصطلح الثاني الذي ذكره بعد السجع ويذكر المعنى اللغوي له ويقسّمه إلى قسمين مجتمع ومفرّق ، ويعرفهما اصطلاحياً)،(٩٨:٧) . ويظهر لنا من خلال التعريف أنّ هذا المصطلح خاص بالنثر ، وإذا قارنّا بين هذا النوع وبين نوع من أنواع الجناس الذي تتشابه فيه اللفظتان ولا يشترط التشابه في جميع الحروف ، بل يكفي في التشابه ما نعرف به المجانسة ، ويظهر ذلك بوضوح في الجناس غير التام ، ومنه اللاحق ، يظهر لنا مدى التقارب بين كلا المصطلحين . إلاّ أن ابن شيث قصد وضع مصطلحات بديعية خاصة بالنثر ، لاسيما أنه ذكر التجنيس ، فيما بعد مما يدل على أنه لم يخلط بين المصطلحات ، وعلى حين نجد ابن شيث في البداية يذكر (أن هذا المصطلح يقع في النثر ، إلا أنّنا نجده يذكر له مثالاً شعرياً)(٩٨:٧) ، ولا أدري على أي وجه يمكننا تبرير ذلك ، فربما يعتبر الرجع مصطلحاً بديعياً خاصاً بالنثر ، ويكون أعلى مرتبة إذا وقع فيه ، ويكون أقلّ مكانةً منه في الشعر وخاصةً أنه يقدم الاستشهاد بالنثر على الشعر ، وهذا احتمال يقربه أمران :

أ – أنه في الرجع المفّرق فيما بعد ، يكرر الشيء نفسه من كونه يخص النثر ويستشهد بالشعر لاحقاً .

ب – أنه في تعريف التجنيس يستشهد بالشعر فقط ، مما يدل على أنه خص النثر بمصطلح ، وخص الشعر بمصطلح آخر .

– الترصيع : يعرّفه ابن شيث لغوياً ويجعله نوعين هما : ترصيع حذو ، وترصيع لغو . إلا أنه لا يذكر التعريف الاصطلاحي لترصيع الحذو وإنما يمثل له بآية من القرآن الكريم (٩٩:٧) من خلالها يمكننا أن نعرفه بأنه : كل كلمتين جاءتا في النثر على صورة واحدة في الخط ، لا يفرق بينهما إلا بالشكل والنقط ، مع اتفاقهما في حرف الرويّ . ولقد أُورد هذا التعريف لترصيع الحذو

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مواد البيان ومثل له بأمثلة»(٥٦: ٢٧٠) ، ونستدل من قول ابن شيث «وأفصحه قوله تعالى) . (٧:٩٩) ، على أن النثر أعلى مرتبة من الشعر ، وأن ما يذكره من مصطلحات خاص به، وإذا وقع في الشعر شيء منها ، يكون أقلّ رتبة ، ولاسيما أنه يستشهد بالقرآن الكريم أولاً ، ثم بالحديث الشريف ، ثم بالشعر . وينفرد ابن شيث بهذا التقسيم للترصيع ، فهو لم يُذكر عند أحد من البلاغيين سوى أبي علي الفارسي إلاّ أن الفارسي قسّمه إلى ثلاثة أقسام كما ذكر في «مواد البيان» ، وهي : ترصيع حذو ، وترصيع لغو وترصيع موازنة . وأشار في «مواد البيان» : (ولم أجد لأحد من العلماء بصناعة البديع في الترصيع كلاماً إلاّ لأبي علي الفارسيّ فإنه ذكره وقسمه إلى ثلاثة أنواع) (٥٦: ٢٦٩)«وهذه العبارة فيها شيء من الصحة وفيها الخطأ ، ووجه الصحة على اعتبار أن الفارسي ، هو الذي اعتنى بأقسام الترصيع ، أما وجه الخطأ فهو أن كثيراً من البلاغيين تعرضوا للترصيع ، ومنهم قدامة بن جعفر في كتابه «نقد الشعر» (٦٤: ٣٩) ، والعسكري في «الصناعيين» (٦٣: ٣٧٥) وغيرهما كثير .

- الالمام : يذكر ابن شيث المعنى اللغوي له ، ثم يعرّفه اصطلاحاً فهو (أن يلمّ الكاتب في صدر كلامه بكلمة ، ثم يبني عليها فصلاً ، ثم يتفق أن يستعمل كلمة أجنبية ، فينافر بين اللفظين، وينافي ما بين المعنيين فيعود الى تلك الكلمة التي استعملها في صدر كلامه ويعكسها هجاء ويعيدها في أول الفصل الثاني).

وإذا قارنا بين هذا التعريف للإلمام وبين ما سيق له من أمثلة ومنها (أفاض الله عليك نعمه ، وأضاف اليك قسمه) (٧: ١٠٠)«نلاحظ أن المثال لا يتلاءم مع التعريف ، فهو يخلو من كلمة أجنبية ولا أدري ماذا قصد بكلمة أجنبية ، إلاّ أننا يمكننا صوغ تعريف حسب المثال ، وهو أن يُؤتى بكلمة في أول الشطر أو الفقرة ، ثم تعكس في الفقرة التالية . ويمكننا القول أن ابن شيث يركز في كل تعريف يسوقه على تخصيصه بالنثر .

- التوشيع : يذكر ابن شيث المعنى اللغوي له ، ثم الاصطلاحي ، فيجعله خاصاً بالنثر يقول: «وهو أن يستعمل الكاتب في صدر كلامه كلمة يقتضي لفظها بمجرده معنيين فصاعداً ، ثم يبني بعدها فصلاً ، ثم يأتي بعده بالفصل الذي تقتضيه تلك الكلمة» (٧: ١٠٠) . والتوشيع ، بناءً على هذا التعريف يمكننا اعتباره من أنواع الاطناب الذي يهدف الى تفسير وتوضيح ما قبله بعد إبهامه ، يؤكد ذلك ما ذهب إليه القزويني فيما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد إذ عدّه من أنواع الاطناب فقال : «التوشيع من أنواع الاطناب ، وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسّر باسمين أحدهما معطوف على الآخر كما جاء في الخبر، يشيب ابن آدم ،ويشبّ فيه خصلتان الحرص وطول الأمل» (٦٥:٣/١٩٩) ويعزز ابن شيث تعريفه بذكر مثال توضيحي ويشرحه .

– التتميم : يذكر ابن شيث التعريف اللغوي له ثم الاصطلاحي،وهو أن يأتي الكاتب في كلامه المنثور بكلمة لام الفعل فيها حرف علة ، ثم يأتي بكلمة من بعدها لام الفعل فيها حرف صحيح يُشبّع للاعتماد عليه للإعراب ، فيحصل من ذلك تتميم اللفظ وتحصيل معنى تمّ به في تلك الكلمة الأولى التي أتى بها في صدر كلامه) (٧:١٠١) . يتضح من ذلك تخصيص هذا المصطلح بالنثر . ويمثل ابن شيث لما ذكره من معنى التتميم بنموذج توضيحي من عنده.

– التجنيس : (وهو مصدر جنسّ يجنس تجنيساً إذا ماثل بين الحروف على أصل ما جاء به الاصمعي في كتاب «الاجناس» لاعلى حدّ ما جاء به أصحاب المنطق) . (٧:١٠٢)

يتبين لنا من التعريف اللغوي أن الأصمعي هو أول من تطرّق الى هذا المصطلح ، ويعتبر ابن شيث الأصمعي الأساس والمرجع ، ويحذر من الخلط بين ما جاء عنده بخصوص هذا المصطلح ، وما جاء عند أصحاب المنطق ، والفلاسفة . أما التعريف الاصطلاحي للتجنيس فهو (أن يأتي الكاتب بكلمتين تتضمن إحداهما من الحروف بعض ما في الأخرى) (٦:١٠٢) وهذا التعريف يتضمن قسماً من التجنيس وليس كل التجنيس لأن هناك جناساً تتماثل فيه كل حروف الكلمتين . ويمثل ابن شيث للجناس شعراً.

– المطابقة : نجد ابن شيث لا يذكر المعنى اللغوي لها، وهذا على غير عادته فكل المصطلحات السابقة قد بدأها بذكر مصدر اشتقاقها ، أما المطابقة فيبدأ بذكر تعريفها: (وهي أن تكون الكلمة طبقاً للأخرى وان كانت ضدّها) (٧:١٠٣) .

ويذهب المحقق محمد حسين شمس الدين إلى تحليل تعريف ابن شيث فيقول : «وقوله :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طبقاً للأخرى وإن كانت ضدها أي طبقاً للأخرى في اللفظ ، وإن كانت ضدها في المعنى ، وابن شيث في هذا التعريف يوافق رأي قدامة بن جعفر الذي يقول :المطابقة هي اشتراك معنيين في لفظ واحد بعينه،ويورد مثلاً على ذلك قول زياد الاعجم :

ونبئتهم يستـــــنصرون بكاهل وللؤم فيهم كـــــــاهلٌ وسنام

غير أن ابن شيث ما يلبث أن يناقض نفسه عندما يورد المثال،إذ يعود ليوافق معظم البلاغيين الذين أجمعوا على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده مثل الجمع بين السواد والبياض ، والليل والنهار .وقال العسكري :(وأهل الصنعة يسمون النوع الذي سماه قدامة المطابقة التعطف)(٧:١٠٣) هامش (٢) . وإذا تأملنا هذا الرأي وبحثنا عن جزئياته نقول :

١ – إن المطابقة لا تعنى المماثلة ، وانما تعني التساوي في المقدار ، ففي مادة (طبق) الشيء وتطابقا : توافقا وتساويا ، والسموات الطباق طبقة فوق طبقة ، والطبق المطابق(٣٢:طبق) .

٢ – من خلال تعريف قدامة للمطابقة يتبين لنا أنها التجنيس عند ابن شيث ، وليس من المعقول أن يكرر ابن شيث ذلك مرة أخرى،وقدامة لا يعنى بالمطابقة مطابقة اللفظ وتضاد المعنى .

٣ـ – قول الشاعر الذي يورده : كاهل ، كاهل ، هاتان اللفظتان لا تحملان التطابق في اللفظ والضد في المعنى فكاهل الأولى هي السند والمعتمد ، والثانية هي أعلى الظهر فهما لا تحملان معنى التضاد من هنا يبطل التحليل الذي يورده المحقق لمقولة ابن شيث .

٤ – وابن شيث يقصد من المطابقة حسب معناها اللغوي التساوي في المقدار ، وليس التماثل في الهيئة . نستدل على ذلك من خلال الأمثلة التي يذكرها ، فهو يورد لفظين متضادين متساويين في عدد الحروف كما في قوله تعالى ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى * وأنه أمات وأحيا ﴾ . وفي الشعر :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تعجبي يا مـــيّ من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى (١٠٣:٧)

فيكون بين أضحك وأبكى،وأمات وأحيا،وضحك وبكى،تضاد في المعنى مع تساوي في عدد الحروف .

٥ – فابن شيث يقصد المعنى المتداول للمطابقة من كونها في لفظين متضادين ، وليس مثلما قصد قدامة بالمطابقة ، إذ إن قدامة يخالف كل البلاغيين في إعطاء هذا المصطلح للجناس ، يؤكد ما نرجحه من قصد ابن شيث،ما جاء عن المطابقة في موضع آخر من الكتاب ، وهذا يحسم الموضوع تقريباً . يقول ابن شيث : «يقولون : فلان يطابق فلاناً ويريدون بذلك أنه يوافقه ، وهو غلط لأن المطابقة المضادة كالليل والنهار ، والضحك والبكاء ، وما أشبهه».(١٨١:٧) .

٦ – من هذا الدليل يترجح لدينا أن ابن شيث قصد بالمطابقة التضاد ولم يوافق قدامة ، وأنه ليس هناك تناقض بين التعريف والأمثلة التي يذكرها .

– الانصراف : ويعرفه ابن شيث بقوله : «وهو أن تبتدىء المخاطبة بهاء الغائب ثم تنصرف الى المخاطبة بالكاف» . (١٠٥:٧ – ١٠٦)

ولا نكاد(نجد هذا المصطلح عند المتقدمين من البلاغيين ، إلا عند أسامة بن منقذ)، إذ يعرفه في كتابه «البديع في نقد الشعر» بصورة تقترب من تعريف ابن شيث (٢٨٧:٦٦)،إلا أن ابن شيث لا يترك التعريف مطلقاً ، وإنما يجعل له إطاراً محدداً وترتيباً يسير وفقه ويحدده بشروط ، فيذكر أكثر شيوعه (وهذا يحتمل ، إذا كان الأمر مما تكتبه مهماً دون غيره وأما في الشعر فهو شائع على كل وجه وكثير). (١٠٦:٧) وتدلنا عبارة (على كل وجه) أن هذا المصطلح له وجوه عدة ، إلا أن ابن شيث لم يفصلها وذلك لأنه يعتبره مقبولاً في حالة واحدة ، وهي إذا كان الأمر مما تكتبه مهماً دون غيره، فهذه الحالة التي يقبل فيها في النثر ، أما في الشعر ، فهو شائع وكثير . ويمثل لهذا اللون في النثر بنموذج من عنده ويمثل له شعراً .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الحل والنظم : ويعرّفه (وهما حلّ المنظوم ونظم المحلول) (٧:١٠٥) ومما يدخل في هذا الباب (الاستشهاد ببيت الشعر على المعنى والكلام المنثور ، فكأن هذا نظم لذاك ، وكأن ذاك حلّ لهذا ، لأن الاستشهاد بالبيت في مكانه من أحسن الأشياء في الكتابة) (٧:١٠٥) ونجد ابن شيث لا يفصل في هذا الموضوع ، وإنما يكتفي بمجرد التعريف ، ويركز على ما يخص الكتابة ، وهو الاستشهاد بالشعر على ما يلائم الكلام المنثور ، أي كأنه يخص نظم المحلول ،(فالاستشهاد بالشعر على المنثور ، كأنه نظم له ، يؤكد ذلك ، المثال الذي أورده) (٦: ١٠٥) ونجد للحل والنظم أهمية في عصر ابن شيث نتيجة للنشاط الكتابي ، وارتباطه به ، فلا نكاد نعثر على مؤلف في الكتابة إلا أشار إلى الحل والنظم ، حتى إننا نجد كتباً أفردت لجزئية منه ، وهي حلّ المنظوم ، مثل كتاب « الوشي المرقوم في حلّ المنظوم » لابن الأيثر .

- التكرير : يذكر ابن شيث ثلاثة وجوه للتكرير أولها :(أن يأتي بثلاث أو أربع كلمات موزونات ، ثم يختم بأخرى تكون القافية إما على نفس الوزن أو خارجة عنهن ، وثانيهما : أن تتكرر اللفظة الواحدة ، وثالثهما أن تتكرر ألفاظ بمعنى واحد)(٧:١٠٦) ويمثل ابن شيث لكل منهم ، ونلاحظ أن النوع الأول لم يرد عند أحد من البلاغيين ، مما يثبت لنا أن ابن شيث يحاول توظيف المصطلحات للجانب النثري ، وإن كان بعضها مألوفاً لدينا على صورة أخرى. ويقف ابن شيث من التكرار موقف المؤيد المادح ، ويعتبر اعلاه مرتبة ما يقع في القرآن الكريم فلقد جاء في موضع آخر من الكتاب عن التكرير (الألفاظ تتردد للفخامة والعظمة كما قال تعالى ﴿ سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى ، والذي .....والذي ﴾ والقرآن في أقصى درجات البلاغة ، والإيجاذ ، والأعجاز فلولا ما في ذلك من الفائدة لم يكن لتكرار « الذي » في المكانيين معنى) (٧:١٠٧)

- الهدم : ويعرّفه (وهو أن تذكر إنساناً بصفة في كلامك ، ثم تنقضها بكلمة من جنسها) ولقد ورد هذا المصطلح عند ابن منقذ(٦٦:٣٧٣)، إلا أنه لم يشرحه وإنما مثل له بنفس بيت الشعر الذي ورد عندابن شيث (٧:١٠٧).

-الفك : ويعرّفه ابن شيث (وهو ان ينفصل الكلام الأول من الكلام الثاني بحرف استثناء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغيره)(٧:١٠٧)،ولقد ورد هذا المصطلح عند ابن منقذ إلا أنّه عرّفه تعريفاً آخر وخصه بالشعر فقال : « أن ينفصل المصراع الأول من المصراع الثاني ، ولا يتعلق بشيء من معناه » (٦٦:٣٢٥)،ولم يرد حسب اطلاعي هذا المصطلح عند أحد آخر ، مما يمكننا القول بأن ابن شيث ينفرد بهذا المصطلح.

– التعديل : وهو أن تكون اللفظة التي هي السجعة الثانية مركبة من كلمتين حتى تساوي أختها . ويمثل له نثراً وشعرا نحو « تَفَضُّله » ، « تُفضُّ له » . (٧: ١٠٧)،وهذا المصطلح البديعي يتشابه مع جناس التركيب ،إلا أن الشرط الذي وضعه ابن شيث في كون ، السجعة الثانية مركبة من كلمتين جعله خاصاً بالنثر ،ولا بن شيث تميز في سوق هذا المصطلح والتمثيل له ، فلا نكاد نجده عند البلاغيين . ونلاحظ من خلال الأمثلة اختلاف الشكل في اللفظتين اللتين تمثلان السجعتين وهما : تَفَضُّله ، وتُفضُّ له .

–الابتداء والختم : وهو(أن يجعل الدعاء في الكتاب دالاً على المقصود به ، وكذلك عند الختم أيضاً يكون مرتبطاً به، فإنه من محاسن الكتابة). (٧:١٠٧) وهذه نظرة نقدية حضّ فيها ابن شيث على تماسك الكتاب وترابطه ، وهذا يشبه إلى حدّ كبير ، الدعوة إلى تماسك القصيدة وتلاحمها كأنها الجسد ، الواحد ، وهو في هذا يتميز عمن قننوا للكتابة ، إذ إنهم(نوهوا للابتداءات بشيء يسير)(٦٧:٢٢) . أما الختم فلم يتعرضوا له ولكن ابن شيث ربط بين الابتداء والختم ،وبربطه يصل إلى نقطةمهمّة هي تماسك الكتابة .

– الإشراف : لا نكاد نعثر على هذا المصطلح عند البلاغيين ، بينما نجد ذكره فقط عند ابن شيث ويعرّفه « بأن ينظر إلى القافية ، فيشرف عليها بخاطره ،ويبني الأمر عليها ، فإن ذلك أهون عليه فيما يكتبه ، ولا يدور على القافية فيطول عليه الكلام فكأنّها – وإن كانت آخر الكلام – مبتدأة في النفس وهوقول بعضهم : « أول الفكرة آخر العمل » (٧:١٠٨). وهنا يتناول ابن شيث بناء القصيدة فيجعله موقوفاً على القافية التي لا بد أن تأتي عفو الخاطر حاملة ما يريد الشاعر التعبير عنه، لا أن يضطر إلى القافية إضطراراً على اعتبار أنها آخر العمل ، وانما يجعل القافية هي الأساس التي لا بد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للشاعرأن يأخذها في اعتباره قبل كل شيء ، وأن يشرف عيها بخاطره ، ويبنى الأمر عليها ، فلا بد وإن كانت القافية آخر الكلام أن تكون مبتدأة . في النفس ، وإن تأخرت أصبح يدور على القافية فيطول الكلام ، ويبتعد عن المقصود . ويسدى ابن شيث نصيحة هي قولهم « أول الفكرة آخر العمل »،أي لا بد أن يكون جلّ العمل حاضراً في ذهن مبدعه ، وبهذا يتحقق التماسك .

– الإشارة : وخصها ابن شيث بالقول :« وهي من محاسن الكتابة» (١٠٨:٧) إلا أنه لم يصلنا تفصيل عنها بسبب سقوط ورقة من المخطوط كما أشار المحقق (٧) وإذا حاولنا النظر في تعريفها عند البلاغيين ، نجد قدامة يذكر أنها اللفظ القليل المشتمل على معان كثيرة بإيماء إليها أو بلمحة تدل عليها) (٦٤: ١٧٤) وإلى ذلك ذهب العسكري في « الصناعتين » (٣٤٨:٦٣) أما ابن سنان الخفاجي (ت:٤٦٦هـ)فيرى أن الإشارة تعني (أن يكون المعنى زائداً على اللفظ ،أي أنه لفظ موجز يدلّ على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة) (٢٤٣:٦٨) ويعتبر ابن رشيق(ت:٤٥٦هـ) أن الأشارة من محاسن الشعر ولا يأتي بها الاّ الشاعر المبرز (والإشارة من غرائب الشعر وملحه ، وبلاغته عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة ، وليس يأتي بها إلاّ الشاعر المبرز) (٥١: ٣٠٢/١) . ويذكر صاحب « مواد البيان » الوجوه التي يمكن أن تصرف اليها الإشارة حسب القائلين بها : (الإشارة رآها قوم داخلة في باب الاستعارة ، ورآها آخرون داخلة في باب الايجاز) . (٥٦: ٣٠٨) ويذهب أسامة بن منقذ إلى أن الإشارة والكناية شيء واحد ، إلاّ أنهما يختلفان من حيث الدلالة وذلك (أن الاشارة إلى كل شيء حسن ، والكناية عن كل شيء قبيح مثل ، قوله تعالى :﴿ فيهن قاصرات الطرف﴾ إشارة الى عفافهن(٦٦: ١٤٨) أما ابن شيث فيجعلها مما يختص بالكتابة ، بل ومن محاسنها .

– الحشو : والحديث عنه يأتي مبتوراً نظراً لسقوط ورقة من الأصل المخطوط كما يشير المحقق ، ويذكر المحقق في هامش (٣) (أن الكلام هنا عن المعاضلة أو الحشو) (١٠٨:٧–١٠٩) ، فيجعل كلاً منهما مرادفة للأخرى ، إلاّ أنهما في الحقيقة مصطلحان مستقلان كما ورد ذلك في كتب البلاغة فالمعاضلة ، كما أشار قدامة (هي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن يدخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه) (٦٤:١١٦)،وإلى ذلك يذهب صاحب « مواد البيان » (٥٦:٣٧٤) ،وابن منقذ في « البديع » (٦٦: ٢٣١) أيضاً.أما الحشو ، فتعريفه في « مواد البيان» أنه (اللفظة يسدّ بها البيت لتمام الوزن ، فيزيد المعنى نصاعة وبراعة .) (٥٦:٣٤٢)،وابن منقذ يعرّف الحشو بأن (تأتي في الكلام بألفاظ زائدة ليس فيها فائدة.) (٦٦: ٢٠٩) . ويظهر لنا مما سبق اختلاف المصطلحين في التسمية وفي التعريف ، ومن خلال ما قدّمه ابن شيث من شرح للعنوان الساقط نستدل أنه قصد الحشو ، وليس المعاضلة ، ويؤكد ذلك إيراده مصطلح « الالتجاء » فيما بعد ، وهو يعني به المعاضلة ، فلا يمكن له أن يكرر نفس العنوان مرتين . يقول ابن شيث في الحشو :« ...ويبعد العهد بالكلام الأول وربما يعود عليه وهو عيب في الكتابة » (٧:١٠٨-١٠٩) ويتضح المصطلح أكثر ، من خلال المثال الذي يورده ويشرحه ويعقب عليه بالقول : « وما بين ذلك من الكلام قد تشعب المقصود حتى كاد الأول ينسى»(٧:١٠٨ - ١٠٩) وهو يعتبر(هذا المصطلح عيباً إذا وقع في النثر ، بينما يجعله محتملاً في الشعر)(٧:١٠٨-١٠٩)

- الرشاقة : وهي(أن يستشهد الكاتب البليغ بالأمثال العامية والكلمات الحوشية ، فتندمج في كلامه ويكون لها حسن في مكانها)(٧:١٠٩) . وهذا التعريف للرشاقة يختص به ابن شيث ، فنرى أنه لم يرد عند أحد مصطلح بهذه التسمية ، سوى عند ابن منقذ ، ولقد عرّفه تعريفاً مختلفاً فقال : « أما الرشاقة فهي حلاوة الألفاظ وعذوبتها» (٦٦:٢٣٣).ويمثل ابن شيث لها بمثال نثري.

- الالتجاء : وهو(أن يضطر الكاتب الى أن يأتي بلفظة غير مستعملة في الذي هو بصدده فيقيمها مقام المستعملة).(٧: ١١٠)،فإذا تأملنا هذا التعريف ، نجده ينطبق على المعاضلة التي أوردناها سابقاً، إلاّ أن ابن شيث يستخدم مصطلح الالتجاء بدله ، ويؤكد ذلك أن أسامة بن منقذ جعلهما مترادفتين في كتاب « البديع في نقد الشعر » ، فقال : «المعاضلة .والالتجاء»(٦٦:٢٣١)،ويمثل ابن شيث لهذا المصطلح نثراً وشعراً،ويعقّب عليه بأنه (محتمل وربما كان جيداً في النثر) (٧:١١٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الاعتراض : ويُعتبر ابن المعتز(ت:٢٩٦) من أوائل من أشار إليه وعرّفه فقال : « هو اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه، ثم يعود إليه فيتمّمه في بيت واحد » (٦٩:٥٩-٦٠) . ويقسّم ابن شيث الاعتراض الى ثلاثة أقسام :

أ- أن يذكر الكاتب قضيّة ثم يحاشي منها على سبيل التأدب .

ب-أن يذكر الكاتب قضية ثم يحاشي منها على سبيل المزح أو التفاؤل (٧:١١٠-١١١)،وهذان القسمان ينفرد ابن شيث بذكرهما والتمثيل لهما فالذي اتفق عليه البلاغيون هو النوع الثالث وهو :

جـ- أن تعترض جملة في كلام لـه فائدة، فيقطع الكلام ثم يعود بعدها ليكمله (٧:١١٠-١١١)،ولقد ورد المصطلح نفسُه عند البلاغيين ، وهناك اتفاق على النوع الأخير ، فلقد جاء عند ابن المعتز وعند ابن منقذ(٦٦:١٩٠) ، وعند القزويني (٧: ٣/٢١٤-٢١٥) وغيرهم ويمتدح ابن شيث القسم الثالث ويصفه بأنه حسن (٧:١١١) .

- الجحد: وهو أن تنكر شيئاً لا يتحقق فيه الإنكار ، بل هو على حكم المبالغة(٧:١١١) وهنا يشير إلى موضوع يخصّ علم المعاني ، وهو خروج النفي والاستفهام عن الحقيقة إلى أغراض أخرى ، ومنها المبالغة ، ويظهر ذلك من خلال الأمثلة التي يسوقها ابن شيث نثراً وشعراً ، وهذا المصطلح لم يرد عند أحد من البلاغيين حسب اطلاعي .

- التفسير : وهو أن يكون في صدر الكلام جملة يفسّرها ما بعد (٧:١١١)،ويمثل له بآية من الذكر الحكيم .

- والمقابلة : ويعرّفها (أن يتساوى اللفظان في الكلام المضبوط بالسجعتين،ويكون الثاني ضد الأول مع التكافؤ في اللفظ.) (٧:١١٢)،وهذا التعريف دقيق جداً ، حيث يخصّ المقابلة بالنثر أولا ، ثم يشترط أن يتساوى عدد الكلام المحصور بين السجعتين ، وأن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تكون السجعة الثانية ضد الأولى بحيث أنّ كلّ لفظة في السجعة الثانية تضادّما تقابلها في السجعة الأولى ، وهذا ما قصده بتكافؤ الألفاظ . ويذهب المحقق في هامش (١) إلى أن(هذا التعريف بالمقابلة غير واضح ، والمثل الذي يورده ابن شيث ليس فيه تساوٍ في سجعتين ، وأن أكثر البلاغيين العرب يجعلون المقابلة ضرباً من المطابقة ولم يخرج العسكري في « الصناعتين » عن هذا التحديد، والبلاغيون بعد السكاكي لم يخرجوا عن ذلك) (١١٢:٧) وهذا كلام غير منطقي ، لأننا نلاحظ أن التعريف واضح جداً ودقيق ، والمثال الذي أورده وهو : أتيت إليك منبسطاً بالأمل ، وانثنيت عنك منقبضاً باليأس ، وفي الشعر:

أزورهم وسواد الليل يشفـــع لي وانثنـــــي وبياض الصبح يغرى بي (١١٢:٧)

فيه تتساوى السجعتان وتتكافأ الألفاظ. ففي السجعة الثانية تقابل الألفاظ : انثنيت، عنك منقبضاً ، باليأس ألفاظ السجعة الأولى على التوالي : أتيت ، إليك ، منبسطاً ، بالأمل . وإذا تأمّلنا المقابلة عند البلاغيين المتقدمين ، نجد أنهم لم يجعلوها ضرباً من المطابقة كما ذكر المحقق ، وانما إعتبروا كلاً منهما فرعاً مستقلاً بذاته ، فقدامة يجعل المقابلة في التوافق والتخالف (وهي أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها ، أو المخالفة فيأتي في الموافق بما يوافقه ، وفي المخالف بما يخالفه على الصحة .) (٦٤: ١٥٢)،ونجد العسكري يعقد لكلّ منهما فصلاً مستقلاً :(المطابقة في الفصل الثاني) (٦٣: ٣٠٧-٣٢٠)،(المقابلة في الفصل الرابع)(٦٣:٣٣٧-٣٤٠) وذلك في كتابه « الصناعتين »،وليست ثمة إشارة تدلّ على ارتباط بين المصطلحين ، فلقد فصل بينهما بفصل يتحدث عن التجنيس ، ويعرّف العسكري المقابلة بأنها (إيراد كلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة) : (٦٣: ٣٣٧).أما ابن رشيق فيذهب إلى أن المقابلة (مواجهة اللفظ بما يستحقه من الحكم، وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد) (٥١:٢/١٥)،ويعطي أسامة بن منقذ مصطلحين لها ، هما المقابلة والتشطير، ويعرفها (بأن يقابل البيت الأول كلمات المصراع الثاني) . (٦٦:١٨٨).ونجد أن الربط بين مصطلحي المطابقة والمقابلة يبدأ في الفترة التي عاشها ابن شيث ، فنجد ابن الأثير(ت:٦٣٧هـ) يعتبر المقابلة والمطابقة شيئاً واحداً ويقول :« والأليق من حيث المعنى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان يسمى هذا النوع – المطابقة – المقابلة . » (٤٨: ١٤٤/٣) ، أما السكاكي (ت:٦٢٦هـ)في القسم الثالث من «مفتاح العلوم»،فيذهب إلى أن المطابقة جزء من المقابلة فيعرفها (بأن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما ، ثم إذا شرطت هنا شرطاً ، شرطت هناك ضده» (٧٠: ٢٠٠)،أما القزويني (ت:٧٣٩هـ)، فنجد الارتباط عنده أوضح ما يكون يقول : « ويدخل في المطابقة ما يخصّ المقابلة» (٦٥: ١٦/٦).

– الموازنة : وهي(أن تتوازن الألفاظ ، وتكون السجعة رابعة)(٧: ١١٢) .وينفرد ابن شيث بهذا التعريف للموازنة ، ويتميز تعريفه بالدقة ، فهو يشترط توازن الألفاظ ، وأن تكون السجعة رابعة في موضعها ، وهو يخالف ابن الأثير في تعريفه لها وهو (أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن) (٤٨ : ٢٩١/١)،وهذا التعريف من ابن الأثير مطلق وغير محدد ، وهو يجعل الموازنة بمثابة السجع ، في حين اعتبرها ابن شيث مصطلحاً خاصاً له تحديد دقيق خاص به، ويرى ابن شيث في هذا النوع شيئاً من الكلفة، وخاصة إذا زاد على العدد الذي ذكره ، ويرى(أنه مستحسن فقط في الخطب) (٧: ١١٣)،ويذهب المحقق إلى إعطاء الموازنة مصطلحاً آخرهو التوازي ثم المتوازي ، ويقيم عليه حجة واهية ، مفادها أن ابن شيث وقع في الخلط والارتجال ، فالمحقق يرى أن (الموازنة أو التوازي من أضرب السجع الثلاثة ، وهي المطرّف والمتوازي والموازنة وعبارة ابن شيث التي يضربها مثلاً على الموازنة أو التوازي إنما تنطبق على الترصيع ، أما مثال المتوازي فهو كقوله تعالى : « فيها سررٌ مرفوعة ، وأكواب موضوعة » ولقد سبق لابن شيث الكلام على التجنيس والترصيع ولا مبرر للتكرار هنا)(٧: ١١٢) هامش (٢). ونرد على هذا القول من المحقق بما يلي:أولاً أن هذا المصطلح لم يرد عند أحد من البلاغيين باسم التوازي ، فلقد جاء عند ابن رشيق باسم«الموازنة»(٥١: ١٩/٢) وعند ابن الأثير كذلك (٤٨: ٢٩١/١) ، وعند القزويني أيضاً « الموازنة » (٦٥: ١١٢/٦).

ثانياً : أما اعتبار الموازنة أحد الأضرب الثلاثة للسجع ، فينفيها ما أشار إليه ابن الأثير الذي اعتبر كلاًّ منهما مصطلحاً خاصاً له خصائصه وسماته ، فيقول في الموازنة :« وهذا النوع من الكلام هو أخو السجع في المعادلة دون المماثلة ، لأن في السجع اعتدالاً وزيادة على الاعتدال وهي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد ، وأما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع ، ولا تماثل في فواصلها . » (٤٨ : ١/٢٩١).

ثالثاً أما قوله إن العبارة التي استشهد بها للحريري وهي : « وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظة»(٧:١١٢) وهي مثال على الترصيع ، وليس على الموازنة، فنرد عليه بقولنا : أن الترصيع وأقسامه وامثلته لا ينطبق عليه هذا المثال الذي أورده في الموازنة ، وأما الآية التي يذكرها المحقق كمثال علي المتوازي فهي بعيدة جداً عما عرّف به ابن شيث الموازنة .

- الاستخدام : وهو(أن تكون الكلمة تقتضي معنيين ، فتستخدم فيها جميعاً ويمثل له ابن شيث ويشرح المثال)(٧:١١٣) وهذا المصطلح(ورد بقلة عند البلاغيين فنجده عند ابن منقذ)(٦٦: ١٢٦ - ١٢٧) ونجد القزويني(فيما بعد يفصّل في الاستخدام)(٦٥: ٤١/٦)

- الاستطراد : وهو(أن يكون في قضية فيخرج منها الى أخرى ، ويفيد بذلك الخروج معنى من مدح أو ذم)(٧:١١٣) .ويعلق المحقق على تعريف أبن شيث لهذا المصطلح بالقول : « ليس ضرورياً أن يكون الخروج من قضية إلى أخرى بهدف إفادة مدح أم ذم، وجملة « يفيد بذلك ....» غير لازمة للتعريف ، ولعلّ الكاتب آراد أن يكون بين المعنيين إتصال على نحو ما ، ومن البلاغيين من جعل هذا الاتصال غير مقصود منذ البداية » (٧:١١٣) هامش (٣) نقول رداً على هذا التعليق : بأن الاستطراد كان في وقت ما سمه مميزة لجأ إليها كثير من الكتّاب والأدباء في كتاباتهم ، إلا أن الاشياء لا تدوم على حال ، فكل شيء في تغير وتحول ، وما كان سائغاً في عصر ،يصبح مذموماً في عصر آخر ، ولو ترك ابن شيث الاستطراد على إطلاقه ، عدّ من باب الإطالة بدون فائدة ولذلك نجده يركز على الفائدة من الانتقال لكي لا يكون الخروج عبثا وخاصة أنه قصد بعمله التقنين للكتابة التي أصبحت على حافة الهاوية كما يرى .

- التقسيم : نلاحظ أن ابن شيث يمثل لهذا المصطلح(دونما وضع تعريف له ، ولا ندري لاي سبب ترك التعريف)(٧:١١٤- ١١٥) وإذا أردنا التعريف بالمصطلح عند سابقيه ، نجد قدامة يرى أن(التقسيم هو أن يبتدىء الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها ، ولا يغادر قسماً منها ويورد البيت الذي ذكره ابن شيث نفسه).(٦٤ :١٤٩) وإذا قارنا بين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعريفه وبين الأمثلة التي يوردها ابن شيث على هذا المصطلح نجده لا يخرج عنه .

- التعليق : نلاحظ أن(ابن شيث لم يضف جديداً إلى هذا المصطلح)(٧:١١٥) .

- العكس : يعرّفه ابن شيث ويمثّل له .

- الترديد : تكلّم عن هذا الفن البديعي ابن المعتز ، فلقد(عدّه أحد فنون البديع الخمسة وسماه ردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها ،وقسّمه ثلاثة أقسام)،ومثّل لكلّ قسم.(٦٩: ٤٧-٥١).أما ابن شيث فيحدده في قسم واحد وهو (أن تردّ آخر الكلام على أوله.) (٧:١١٦)

- ونلاحظ أن هذا المصطلح قد جاء على أكثر من تسمية فهو عند ابن المعتز ردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها ،وهو عند ابن منقذ(ردّ العجز على الصدر أو التصدير أو الترديد) (٦٦: ٤٧-٥١) وفي « مواد البيان » هو(الترديد)(٥٦:٣٤٨) فقط ، وكذلك عند ابن شيث وعند الخطيب القزويني(٦٥:٦/٣٣-٣٤) .

- الاستعارة : وهي(أن يستعار المحسوس للمعقول وموقعها آثر في النفوس من الحقيقة) (٧:١١٦).ويتبين لنا من خلال التعريف أنه يقصد بالاستعارة المجاز عامة على أساس ذكره (للحقيقة) في نهاية التعريف ، وهو يعتبر المجاز أكثر تأثيراً على النفوس من الحقيقية.ولقد درج البلاغيون مثل ابن شيث على اعتبار الاستعارة من فنون البديع ، نجد ذلك عند ابن المعتز (٦٩: ٢٤.٣) ،وفي « الصناعتين » (٦٣: ٢٦٨) والجرجاني (ت:٤٧١هـ)ذهب إلى الشيء نفسه حين قال : « أما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع ، فلا شبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما الاّ من جهة المعاني خاصة من غير أن يكون للألفاظ في ذلك نصيب » (٧١: ٢٠).ويذكر ابن شيث أمثلة عليها من القرآن الكريم ، ويرى أن(الاستعارة تقع في الشعر كثيراً ويورد أحسن ما وقعت فيه) . (٧:١١٦) .

- الاحتراس: وهو(أن يأتي الكاتب بدعاء أو كلام تكون فيه عاقبة سوء فيحترس منها.)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١١٧:٧) وابن شيث من خلال هذا التعريف يخصّه بالنثر ، ونجد للاحتراس مصطلحاً آخر يذكره ابن سنان الخفاجي ، وهو(التحرز). (٦٨ : ٣٢٢)،ونجد أن ابن منقذ(يخص الاحتراس بالشعر)(٦٦:٩٠).

– التورية : وهي(أن تكون اللفظة تحتمل معنيين – أو الكلام – فيؤخذ بأظهرهما والمراد الآخر، وانما وُرّي بالظاهر عنه). (١١٧:٧)،ولا نكاد نعثر على(لفظ التورية)عند المتقدمين من البلاغيين ما عدا ابن منقذ.(٦٦: ٩٧) .ونجد للتورية اهتماما أكثر عند المتأخرين(فقد شرحها القزويني)(٦٥ : ٣٨/٦)،ونجد الصفدي يفرد كتاباً يسمّيه «فضّ الختام عن التورية والاستخدام» (٧٢: ١٦٢).ويمثل ابن شيث للتورية نثراً وشعراً. والكلام بعد هذا المصطلح مقطوع لسقوط ورقة من المخطوط .

٢–٦ النقد :

– الألفاظ : اهتم ابن شيث باللفظ من نواحٍ متعددة ، فبيّن ما يجب أن تكون عليه الألفاظ وما يلزم أن يتجنب فيها (فا لعمل كلّه على أن تكون الألفاظ أهلية إنسية ، ولا تكون وحشيّة منسيّة . فالتّمكن من البلاغة لا يختلف عليه الحال في الألفاظ الخاصيّة ولا العاميّة ، بل هو في كلتا الحالين يعطى البلاغة حدّها وحظها ، ويتوخى جزل الألفاظ ورقيقها ويتحامى غليظها وفظها) (٧: ٩٣) . فمن الأمور التي يؤكد على وجوب وجودها في الألفاظ ،أن تكون مستعملة وغير غريبة ، ويظهر لنا من خلال هذه المقولة النقدية أن استعمال اللفظ هو المقياس في تحديد أهلية الألفاظ ووحشيتها ، وبالتالي يترتب عليه الحكم على بلاغة اللفظ ، على عتبار أن الوحشيّة للألفاظ تتنافى مع شروط البلاغة .ولقد كان فيما مضى استعمال الوحشي من الكلام مجازاً إذا كان المتكلم به أعرابياً فقد ذكر الجاحظ أنه (لا ينبغي للفظ أن يكون وحشيّا إلا أن يكون المتكلم به بدوياً أعرابياً، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس.) (٦٠: ١٤٤).ويذكر ابن شيث حكماً نقديا فريداً من نوعه ، وهو أن البلاغة تكون في اللفظ سواء أكان اللفظ خاصياً أم عامياً ، وهذا مخالف لما نهى عنه الجاحظ من حيث رفضه للعاميّ من الألفاظ فيقول : « لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ولا ساقطاً سوقياً » (٦٠:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٤٤) وتدلّ مقولة ابن شيث على أن البلاغة في اللفظ ، ولقد أشار بشر بن المعتمر إلى عكس ما يذهب إليه ابن شيث من أن البلاغة في المعنى (فالمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة ، وانما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقته الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال) (٦٣ : ١٣٤).ويرى ابن شيث أنه لابد من توخي جزل الألفاظ ورقيقها وتحامي غليظها وفظّها لأن الغلظة تؤدي إلى التعقيد والتوعر ، ولقد نهى عن ذلك بشر بن المعتمر فقال: « إياك والتوعر ، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد ، ،والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك.» (٦٣ : ١٣٤)،ولقد أشار العسكري إلى أن (أجود الكلام ما يكون جزلاً سهلاً لا ينغلق معناه ، ولا يستبهم مغزاه ،ولا يكون مكروراً مستكرهاً ومتوعراً متقعراً ويكون بريئاً من الغثاثة ، عارياً من الرثاثة.) (٦٣ : ٦٧) ويشدّد ابن شيث على جزالة الألفاظ ورقّتها في عنوان مستقل ، هوالجزالة والسهولة ، ويعتبرها من محاسن الكتابة ، فهو يرى أن لكلّ منها موضعاً مناسباً ، ويرتبط اختيار الموضع المناسب بالمقدرة وإلا وقع الكاتب في التكلف . ويرجح ابن شيث السهولة على اعتبار(أن أكثر المطبوعين يميلون إليها لبعدها عن الكلفة ، فالمقدرة على الاتيان بالجزالة لدى الكتّاب قليلة مما قد يوقعهم في الكلفة ، ومما يجعل السهولة أقرب للتناول لتمشيها مع الطبع) (٧: ١٠٣-١٠٤)،ويمثّل ابن شيث للجزالة فيقول : « إن شئت لقانا فالْقِنا في القَنا، فإنّ أسيافنا تشرئب إلى شرب الدماء ....)،وللسهولة يذكر : « أنت يا أخي – وفقك الله – أودّ إلى قلبي من الماء الزلال عند العطش ...» (٧: ١٠٤).ومن خلال الأمثلة ، يتّضح لنا أن الجزالة يناسبها مقام التهديد والوعيد ، والسهولةيلائمها مواقف الشوق والغرام ، وهو – وإن لم يصرح به يتفق مع ما جاء عند ابن الأثير من أن الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلةورقيقة ، ولكل منها موضع يحسن استعماله فيه:

فالجزل منها يستعمل في وصف قوارع التهديد والتخويف ، وأما الرقيق منها فإنّه يستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد.) (٤٨ : ١/١٨٥).ويرى ابن شيث أن الجزالة تكثر في الشعر كثرة لا تحصى ، أما السهولة فلا توجد إلاّ لدى المحسنين ، ويمثل لكل منها (٧: ١٠٥)،ويوضح ابن شيث ما قصده بالجزالة والسهولة، ويفرق بينهما وبين الجهامة والركاكة ، (فكثيراً ما يقع الناس في هذين النوعين – يقصد الجزالة والسهولة –

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الجهامة ، ويحسبونها من النوع الأول ، وفي الركاكة ، ويحسبونها من النوع الثاني) (٧: ١٠٥)،فهنا يشير إلى انبهام هذه المصطلحات على بعض الناس وتجاوزهم حدودها . وهذه قضية مهمة إذ يبيّن أن هناك حدوداً لما هو جزل وسهل ، إذا تخطاها الكاتب وقع في ما لا يحمد ، وهذا مما يحسب لابن شيث . ويشيرالمحقق أن ما ذكره ابن شيث سابقاً من الخلط بين المصطلحات ، ينطبق على مقولة العسكري ، وهي (أنه قد غلب الجهل على قوم ، فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بكدّ ، ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه كزة غليظة ، وجاسية غريبة ، ويستحقرون الكلام إذا رأوه سلسا عذباً ، وسهلاً حلواً ، ولم يعلموا أن السهل أمنع جانباً ، وأعز مطلباً ، ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع .) (٧: ١٠٤) هامش (٨).إلا انني أرى بوناً واسعاً بين ما قصده العسكري ، وما قصده ابن شيث ، ففي الاقتباس الذي أورده المحقق عن العسكري ، يتبين من خلاله فساد ذوق الناس ، وخروجهم عن المألوف عمداً ، ويسدي هو النصيحة ببيان الوجه الأحسن والعودة إليه ،أي التركيز على السهل الممتنع ، والبعد عن الغليظ الكزّ ، لأن أجود الكلام ما كان سهلاً ممتنعاً ، لكنّ الناس قصدوا العدول عما هوحسن واستفصحوا ما هو قبيح ممجوج .

أمّا ابن شيث ، فيبين الخلط غير المقصود ، ومراده التنبيه والتوضيح للوجه الذي ينصرف إليه كلّ مصطلح . ولقد ذهب ابن الأثير أيضاً إلى التنبيه على قضية الخلط بين المصطلحات فقال :«ولست أعنى بالجزل أن يكون وحشياِ متوعراً ، وكذلك لست أعني بالرقيق أن يكون ركيكاًسفسفاً.» (٤٨: ١/١٨٥).ويقصد ابن شيث من خلال تتبّعه للفظ ، بيان ما هيّة البلاغة،ويجعل اللفظ سبيلاً للوصول إليها . (فالتمكن من البلاغة لا يختلف عليه الحال في الألفاظ الخاصية ولا العامية بل هو في كلتا الحالين يعطي البلاغة حدها وحظها.)(٧: ٩٣)،وهذه العبارة النقدية تثير قضية مهمة وتساؤلات:

١-هل الذي قصده ابن شيث بهذا التحديد للألفاظ ، الفصاحة أم البلاغة ؟

٢-إذا سلمنا بأنه يعني البلاغة هل هي في اللفظ أم هي في المعنى ؟ وكلا الأمرين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحتاج إلى بحث .

وإذا نظرنا في اهتمام ابن شيث بالألفاظ وما يجب أن تتصف به ، ونظرنا في أي باب يدخل هذا الاهتمام باللفظ وفق طريقة القدماء في الدرس، نجد أن هذا الاهتمام باللفظ المفرد يدخل في باب الفصاحة . ويرى العسكري أنه لما كانت (الفصاحة تمام آلة البيان، فهي مقصورة على اللفظ ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى . ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ ، والبلاغة تتناول المعنى ، أن البليغ يسمى بليغاً ولا يسمى فصيحاً ، إذ هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه.) (٦٣: ١٧). ويذهب ابن سنان الخفاجي إلى أن البلاغة في اللفظ والمعنى والفصاحة إنما هي وصف للألفاظ :يقول:« الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون إلاّ وصفاً للألفاظ مع المعاني» (٦٨: ٦).أما الجرجاني فيذم القائلين أن الفصاحة في اللفظ فهم (لم يعلموا أن المعنى في وصف الألفاظ المفردة بالفصاحة ، أنها في اللغة أثبت ، وفي استعمال الفصحاء أكثر .... وأن الذي هو معنى الفصاحة في أصل اللغة هو الإبانة عن المعنى) . (٧٣: ٢٩٨)،ويؤكد الفصاحة بالمعنى : (إذا لا شبه على من نظر كتاباً تُذْكر فيه الفصاحة ، أن الاستعارة عنوان ما يجعل به اللفظ فصيحاً ، وأن المجاز جملته ، والايجاز من معظم ما يوجب للفظ الفصاحة ، وأنت تراهم يذكرون ذلك ويعتمدونه، ثم يذهب عنهم أن إيجابهم الفصاحة للفظ بهذه المعاني اعتراف بصحة ما نحن ندعوهم إلى القول به ، من أنه يكون فصيحاً لمعناه.) (٧٣: ٢٩٩).ويذهب ابن الأثير بعد ذلك إلى أن الفصاحة في اللفظ ، فيرى (أن البلاغة يفرق بينهـا وبين الفصاحة ، في أنها لا تكون إلاّ في اللفظ والمعنى ، فإن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة، ويطلق عليها اسم الفصاحة.) (٤٨: ١/٩٤) . وإذا نظرنا فيما بعد ابن شيث ، نجد القزويني يرى (أن البلاغة تقع صفة لمعنيين ، أحدهما الكلام والثاني المتكلم ، والفصاحة خاصة تقع صفة للمفرد .) (٦٥: ١/١٩)،من هنا لم نجد أحداً من السابقين واللاحقين قد أشار إلى البلاغة في اللفظ سوى ابن شيث ، وربما اعتبر أن الفصاحة والبلاغة مترادفتان، فاستعمل أكثرها تداولا ودراسة . ومن الآراء التي يوردها ابن شيث متعلّقة باللفظ قوله : « وليتجنب الألفاظ الموهمة التي يُخشى من عواقبها وغوائلها ، وليتحرَّ الألفاظ فإنها تدخل على الخواطر وتهجم ، ولا يُعجب فيغمض في العبارة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعجم . » (٣٢:٧).إلا أن اهتمام ابن شيث باللفظ لا يجزم بأنّه من أنصاره دون المعنى، فثمة تعرض للمعنى سنذكره في حينه ، وثمة تحذير للكاتب أن يتجنب إعطاء الألفاظ زمامه فتوجب حصره وإزمامه،ومن آرائه المتعلّقة باللفظ أيضاً (أن الكاتب إذا ازدحمت على خاطره لفظتان إحداهما معروفة مستعملة والأخرى مجهولة مستثقلة ، أن يأخذ بالمعروف . فإن للعرف حكماً . وليترك المجهول . فإن الجهل وعر ، والواقع عليه أعمى.) (٧: ٣٣) .

المعاني :-

نجد لابن شيث اهتماماً بالمعاني ، وله فيها آراء قيّمة منها الترابط ، والتماسك في المعاني يقول :« ولتكن أواخر معانيه معطوفة على أوائلها.» (٣٢:٧).ويرى أن (أحسن الكلام، ما هجم بالمعنى على الخواطر هجوماً ، ولم تتشعب عليه الظنون ، فتجعل شهب الأفكار عليه رجوماً ، وأعلقها بالنفوس ما سال على الخواطر سيلاً ، ولم تقف دونه القرائح وجوماً ، وهذا لا يختلف في الألفاظ المعتادة ولو كانت عامية أو سوقية.) فنرى أن المعنى لا يقلّ أهمية عن اللفظ عند ابن شيث ، فهو يرى أن المعاني لا بد أن تكون مترابطة ، ثم يشترط فيها : الوضوح والبعد عن الابهام والغموض ، ولا يقلل من شأن المعنى أن يكون عاميّاً أو سوقياً ، أي يركز في كلٍّ من الالفاظ والمعاني على أن الحكم في قبولها هو المقام وما يتطلبه . يتأكد لنا من هذا أن ابن شيث ليس من أنصار اللفظ علي المعنى ، أو المعنى على اللفظ ، وانما يرى أنه لا بد أن يكون هناك ائتلافٌ بين اللفظ والمعنى، يؤكد ذلك العبارة السالفة الذكر من إشارته إلي هجوم المعنى ، وفي النهاية ربط ذلك باللفظ سواء أكان عامياً أو سوقيا ، ويزيد هذا تأكيداً إشارته إلى سبك الألفاظ أي دخولها في سياق تركيبي،أي دلالتها على المعنى يقول :« وهذا لا يختلف في الألفاظ المعتادة ، ولو كانت عاميّة سوقيّة فإنّها إذا سُبكتْ سبكاً جيداً رجعت خالصة نقية.» (٣٣:٧).ويقودنا هذا الاهتمام باللفظ والمعنى عند ابن شيث إلى تتبع هذه القضية منذ بدايتها لأن ذلك أقرب إلى المنهج العلمي .

– اختلف العلماء بداية في الانحياز إلى اللفظ والمعنى ، فمنهم من ذهب إلي نصرة اللفظ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنهم من ذهب إلى نصرة المعنى . ولقد تأسست هذه القضية من ثنائية اللفظ والمعنى التي جاء بها صاحب الشعر والشعراء حين قسم الشعر أربعة أقسام حسب لفظه ومعناه: «ضرب حسن لفظه وجاد معناه»وضرب حسن لفظه وحلا فإذا فتشته لم تجد هناك معنى، وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه ، وضرب تأخر معناه وتأخر لفظه.» (٥٢: ٢٤-٢٧)،ونجد الجاحظ يطرح مقولته : « المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ،وسهولة المخرج وكثر الماء وصحة الطبع وجودة السبك»(٧٤: ١٣١-١٣٢) وذهب العسكري إلى أنّه (ليس الشأن في ايراد المعاني ... وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه مع صحة السبك والتركيب)(٦٣: ٥٧-٥٨) .أما الذين ذهبوا إلى الانحياز للمعنى ، فيمثل هذا الاتجاه ابن جني(ت: ٣٩٢هـ) يقول : فإذا رأيت العرب قد أصلحوا الألفاظ و حسّنوها ، وحموا حواشيها وهذبوها ، فلا ترين أن العناية إذ ذاك انّما هي بالألفاظ ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني ، وتنويه بها وتشريف لها » (٧٥: ٢٦٤).وهناك اتجاه ثالث رأى ضرورة ائتلاف اللفظ والمعنى ويأتي في مقدمة هؤلاء بشر بن المعتمر ومقولته في المعنى التي أوردناها سابقاً وقدامة بن جعفر واشارته إلى(ائتلاف اللفظ والمعنى)(٦٤ : ١٧١)وابن رشيق يذهب إلى أن (اللفظ جسم روحه المعنى ،وارتباطه به كارتباط – الروح بالجسم) (٥١: ١/١٢٤)ويعد الجرجاني من أكثر من تناول هذه القضية دقة وإقناعاً فيرى أنه (لو عمد عامدإلى ألفاظ فجمعها من غير أن يراعي فيها معنى ويؤلف فنها كلاماً ، لم ترَ عاقلا يعتد السهولة فيها فضيلة ،لأن الألفاظ لا تراد لأنفسها ، وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني)(٧٣: ٣٤١،١٧٠).ويرى في موضع آخر ضرورة رجوع استحسان الشعر أو النثرإلى ائتلاف اللفظ مع المعنى (فإذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً أو يستجيد نثراً ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول : حلو رشيق ، حسن أنيق ، وعذب سائغ ،وخلوب رائع ، فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلي أجراس الحروف وإلى ظاهر الوضع اللغوي ، بل أمر يقع من المرء في فؤاده ، وأما رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه ، فلا يكاد يعدو نمطا واحداً . وهو أن تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم) (٧١: ٤-٥).ويذهب ابن الأثير بعد ذلك الى ازدواجية اللفظ والمعنى فيرى (أن الألفاظ أدلة على المعاني وأمثلة للإبانة عنها) (٤٨: ٢/ ٢٤٩) . من خلال ما سبق يتبين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لنا أن قضية اللفظ والمعنى لا يمكن حسمها في سطور ، خاصة أن هذا الأمر ظل معلقاً حتى عند النقاد المتأخرين ، وبالنظر إلى ما جاء عند ابن شيث ، فإننا نجد له اهتماماً باللفظ المفرد وصفاته ودخوله في التراكيب، وكذلك نجد له اهتماماً بالمعاني وأئتلافها مع اللفظ يؤكد ذلك قوله في بيت من الشعر :

وكأن الثياب لفظ ، وجســـمي فيه معنـــــــى من المعي دقيق

ولقد جاء حديث ابن شيث عن اللفظ والمعنى في عدة مواضع .

ومن القضايا النقدية التي يتناولها ابن شيت المفاضلة بين المنظوم والمنثور والتفريق بينهما يقول « ونعوت الشعر كلها تدخل في نعوت النثر إلاّ الوزن » (٧: ٩٦) وهذا يظهر تأثيره بقدامة الذي أفرد في كتابه « نقد الشعر»نعوت الشعر ،وكانت نعت اللفظ ، ونعت الوزن ، ونعت القوافي ، ونعت المعاني ، ونعت الهجاء ، ونعت الرثاء ونعت التشبيه ، ونعت الوصف ، ونعت النسيب ونعت ائتلاف اللفظ مع المعنى . يتأكد هذا التأثر بايراد ابن شيث(اسم قدامة في طيات كتابه)(٧:٦٨) ويرى أبن شيث أن الفرق بين المنظوم والمنثور هو الوزن، ولقد اشار إلى أهمية الوزن وخصوصيته في الشعر ابن رشيق فقال « الوزن أعظم اركان حد الشعر وأولاها به خصوصية وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة » (١٣٤/١:٥١)فالذي يذهب اليه ابن شيث ان كل ما يخص الشعر من نعوت يدخل في النثر ، إلا نعت الوزن ، وهذا في رأيه أهم ما يميز المنظوم عن المنثور ، ويذهب إلي أن الشعر لا يصدر إلا عن الطبع ، بينما النثر يأتي بالممارسة والدراسة والدربة ومن هنا فإن (الشاعرالمجيد يقدر على أن يكون كاتباً بليغا ، والكاتب إذا لم يكن الشعر في طبعه ، لا يقدر ان يكون شاعراً) (٧:٩٦) ويؤكد على ضرورة الطبع في الشعر (فإن الشعر مالم يكن في الطبع لا يكتسب بالممارسة . لأن الوزن أمر ذوقي لا سبيل الى ادراكه بالمعاناه ، ولو اديم له الكدح والكد) (٧:٩٦)وليس يعني هذا أن الطبع غير لازم للنثر ، لأن افتقاد ايّ فن إلى الطبع يجعله متكلفاً كما يرى ابن شيث (فالتكلف في كل شيء مذموم ، والكيّس مجموع مع الطبع ومضموم) (٧: ٨٧) ومن خلال أقوال ابن شيث يظهر لنا أنه يجعل الشعر أقل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مرتبة من النثر ، لأنّ أداته الطبع ، وطالما كان الطبع موجوداً ، وُجد الشعر ، أي أنه لا يحتاج إلى الكد والعناء ، بينما النثر صناعة لها أصولها وأدواتها ولا بدّ لها من الدربة والممارسة ، وإلى ذلك أشار ابن شيث بالقول : « والكاتب صاحب صناعة لا بد أن يكون صَناعاً في صناعته ورَبّ بضاعة لا غنى له أن يتعمّل تنفيق بضاعته.» (٣٧:٧). وليس أدلّ من تفضيله النثر على الشعر ، إفراده هذا الكتاب لقواعد الكتابة وتقديمه الاستشهاد بالنثر على الشعر ، ومحاولته وضع مصطلحات خاصة بالنثر.ولقد عرض النقاد من قبل لقضية المنظوم والمنثور والمفاضلة بينهما ، فيورد ابن سنان الخفاجي رأي من يفضّل النظم على النثر ،إذ يرى (أن الوزن يحسّن الشعر ، ويحصل الكلام به من الرونق ما لا يكون للكلام المنثور ، ويُحدِث عليه من الطرب في إمكان التلحين والغناء ما لا يكون للكلام المنثور) (٦٨: ٣٣٩) ويورد ابن سنان الخفاجي رأيه الخاص الذي يذهب إلى تفضيل النثر على النظم (فأمّا الذي نقوله من تفضيل النثر على النظم، فهو أن النثر يُعلم فيه أمور لا تعلم في النظم ، كالمعرفة بالمخاطبات،وبنية الكتب،والعهود والتقليدات ، وأمور تقع بين الرؤساء . والملوك،يعرف بها الكاتب أمورهم ...، وأن منزلة الشاعر إذا زادت وتسامت لم ينل بها قدراً عالياً ولا ذكراً جميلاً ، والكاتب ينال بالكتابة الوزارة فما دونها من رتب الرياسة ،وصناعة تَبْلغ بها الرتب الرفيعة أشرف من صناعة لا توصل صاحبها إلى ذلك)(٦٨: ٣٤٠).ويخالف ابن شيث ما ذهب اليه ابن شيق من أن الكاتب لا يمكن أن يكون شاعراً إلاّ بالطبع فيقول : « إن الكتّاب أرق الناس في الشعر طبعاً وأملحهم تصنيفاً وأحلاهم ألفاظاً وألطفهم معاني وأقدرهم على تصرف،وأبعدهم من تكلف.» (٥١: ١٠٦/٢) . وعلى حين يرى ابن شيث نعوت الشعر تدخل في نعوت النثر ،يرى ابن الأثير أن الألفاظ مستثناة من صلاحيتها لذلك ، فيرى أن ألفاظ النثر كلّها تصلح للشعر وليس العكس يقول : « فاعلم أن كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنثور من ألفاظ يسوغ استعماله في الكلام المنظوم ، وليس كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنظوم يسوغ استعماله في الكلام المنثور»(٤٨: ١٨٥/١) . ما ذكرناه سابقاً يتعلق بالنقد بشكل عام ،إلا أن ثمة ما يمكننا تخصيصه بنقد النثر ويتمثل ذلك في الآراء التالية :

– يذكر ابن شيث أن الحذاق من أهل هذه الصناعة – يقصد الكتابة – قالوا إن الكتابة هي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حل المنظوم من الشعر ، إذ إن معاني الشعر قد استُغرقت لها الألفاظ كلها لعناية الناس بها ، فإذا كان الكاتب ماهراً ، نظر إلي المعنى الذي يقصده من الأشعار فحلّ نظامه وحلّى به كلامه ، ولهذا قلنا إن نعوت الشعر كلها تصح أن تكون للنثر(٧:٩٦).من خلال هذا الرأي يريد ابن شيث أن يبين لنا الأدوات التي تلزم صناعة الكتابة ومنها معرفة معاني الأشعار ، وقد أشار إلى هذا في موضع آخر فقال: إنه لا بد للكاتب أن تكون له القدرة على حل المنظوم ونظم المنثور ، ولقد كان هذا الأمر شائعاً في عصره وأفرد ابن الأثير له كتاباً . ويركز ابن شيث على أن الكاتب لا بد له من معرفة بالمعاني سواء كانت للشعر أو للنثر يقول : « وليتأمل المعاني التي عني بها الكتّاب ، وعانوها فإنها تعينه ، ويفزرُ بها في الكتابة معينه ، والحفظ في ذلك ملاك الأمر ، فإنّه يؤَهل ويدرب ويسهل المطلوب»(٧: ٤٠).

- ومن الأمور النقدية الخاصة بالنثر ، مايذكره ابن شيث من أنه (قلما اجتمع التحرير والبلاغة)(٧:٨٧)،ويقصد بذلك أن الجري وراء الحُسن ، يفقد الأمر بلاغته ، لأن البلاغة تُعنى بالجوهر وليس بالشكل . ومن الامور الغريبة التي يذكرها ابن شيث (أن أكثر من يكن صناع اليد يكن بليد الخاطر) (٧:٨٧) . وهذا الرأي لم نعثر على مثله عند أحد ، ولا ندري على أي أساس صدرت هذه المقولة عن ابن شيث،ومما يجدر قوله أن هذه الآراء النقدية لم ترد في باب مستقل ، وانما جاءت في ثنايا الكتاب وفي مواضع متفرقة ولكن لأهميتها أفردت لها ، عنواناً مستقلاً .

٢-٧ اللغة :

خصّص ابن شيث بابين تنبيهاً على أهمية اللغة ، الأول : في ألفاظ يقوم بعضها مقام بعض ، لا يستغني عنها الكاتب . والثاني : فيما لا بد للكاتب من النظر فيه والتحرز منه ، وكثيراً ما يسقط فيه كثيرون . أما الأول: ويقصد بذلك الترادف ، فهو يهدف من خلال بيانه إلى التوسع في الألفاظ وإعطاء مادة وفيرة منها ، يمكن للكاتب من خلالها أن يتجنب التعسر في انتقاء ما يريد . ويبين ابن شيث أن للترادف أهمية كبيرة،إذ يمكن من خلالـه أن يرتفع شأن الكاتب ، ويمكن أن تحط من قدره إذا جهلـه. ويورد مثالاً على عاقبة الجهل بمثل هذا الأمر إذا سئل،(٧:١١٩).ويقدم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النصيحة للكاتب الذي يتحرى المنزلة الرفيعة بالحرص على اتقان هذا الباب لأهميته (فهذه الأجوبة إذا لم تأتِ في وقتها لم يغن الاتيان بها بعد ذلك ، ولو جاءت أحسن ما يكون)(٧:١١٩).

ويتناول هذه القضية تطبيقياً من خلال ايراد معجم لغوي ، وهو ليس متفرداً في هذا المجال ، فقضية الترادف قديمة ، إذ إن علماء اللغة قد قسموا الألفاظ إزاء معانيها من حيث كمية المعاني أو الألفاظ إلى ثلاثة أنواع مختص ومشترك ومترادف ، ولقد أشار سيبويه(ت:١٨٠هـ) بقوله : (اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين) (٧:٧٦).واستحوذ الترادف على اهتمام العلماء فعملوا على التفريق بين المعاني المختلفة للفظ الواحد ، وإلى ذلك أُشير « الصاحبي» : (وتسمي الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو : السيف والمهند والحسام ، والذي نقوله : إن الاسم واحد وهو السيف ، وما بعده من الألقاب صفات ، ومذهبنا أن كل صفة منها معناها غير معنى الأخرى، وقد خالف بذلك قوم ، فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد) (٧٧:٩٦).وهذه الدراسات اللغوية للترادف تهدف إلى التقنين والتحديد الدقيق للمفردات ، مما يضيّق مجال الاستعمال ويحصره في أُطرٍ محددة ، وهذا يكون مجدياً في البحث اللغوي من حيث النتائج التي تبيّن سنّة العرب ، أمّا من حيث تطبيقها عملياً ، فإن هذا الأمر يُستساغ في ميدان اللغة فقط ، أمّا في غيرها فهو يجعل اللغة مستعصية غير طيّعة وخاصة في مجال الأدب . ولقد أشار صاحب المخصّص إلى (أن اختلاف اللفظين والمعاني واحدة للحاجة إلى التوسع بالألفاظ) . (٧٨ : ٢٥٨ – ٢٥٩) . فالترادف إذن هدفه التوسع في الألفاظ خاصة إذا كان مجال استعمالها الأدب، ولهذا كان من مستلزمات الكاتب الإلمام بالألفاظ . وفي ذلك يقول العسكري : « وينبغي على الكاتب أن يكثّر الألفاظ عنده ، فإن احتاج إلى إعادة المعاني أعاد ما يعيد منها بغير اللفظ الذي ابتدأه به» (٦٣ : ١٦٤) . وإذا نظرنا فيما أورد ابن شيث في هذا الباب نجده مسبوقاً ، فهناك « الألفاظ الكتابية » للهمذاني (ت:٣٢٠هـ)، « وجواهر الألفاظ » لقدامة بن جعفر ، و« الألفاظ المترادفة المتقاربة المعاني » للرماني (ت:٣٨٢هـ). وهذه الدراسات هدفت إلى التوسع بالألفاظ من حيث ذكر ألفاظ متعددة للمعنى الواحد ، في حين نجد من الكتب الأخرى التي تحدد الفروق الدقيقة بين المعاني مثل كتاب « الفروق في اللغة » للعسكري ،و « فقه اللغة وسر العربية » للثعالبي(ت:٤٢٩هـ) ، « وكنز الحفاظ » لابن السكّيت(ت:٢٤٤هـ) ، ولقد اعتمد كتاب « الفروق » على ايراد الفروق الدقيقة بين الألفاظ ، وذهب الثعالبي إلى تخصيص كل معنى بحالة معينة ، أمّا ابن السكيت فنجده يذكر الكلمات الغريبة ، ويستشهد على كل ما يورد بالشعر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقرآن الكريم والمثل . ونلاحظ أن كلاً من الكتب السابقة قد اعتمدت ترتيباً معيناً ، كأن تجعل مادة الكتاب في أبواب أو فصول ، في حين نجد أن ابن شيث لا يقسم مادة هذا الباب إلى أقسام معنونة .

ونجد تشابهاً بين الأبواب التي وردت في «الألفاظ الكتابية» ، و«جواهر الألفاظ» ،« والألفاظ المترادفة »،وبين ما ورد عند ابن شيث من مترادفات وخاصة في الأبواب التي يوردها ابن شيث في النهاية وترتيبها .

إلا أننا نجده ينفرد بأبواب خاصة ، وبإضافات داخل الأبواب المتشابهة ، ولقد حاولت وضع عناوين لكل ما ورد عنده من مترادفات ، وأبدأ أولاً بذكر الأبواب التي تشابه بها مع سابقيه، إلاّ أنه يوردها دون عنوان ، فالعناوين وضعتها من عندي بما يتلاءم مع سياق المترادفات التي يذكرها ، وسأحاول التمثيل لعدد محدود فقط .

١ – باب الأولوية والاستحقاق : فلان أولى بالأمر ، وأحق وأجدر وأخلق وأحظى ، وأخيل وَ أقمن وأوجب وأحجى وأحوط وأليق . وجاء في جواهر الألفاظ الألفاظ نفسها ، مع إضافة لفظة (حريّ) (١٠٩:٧٩) ، وكذلك في الألفاظ الكتابية إلاّ أنه يجعل اسم الباب(قولهم هو حقيق أن يفعل كذا)(٤٨:٨٠) ، أمّا في كنز الحفاظ فيورد هذه الألفاظ تحت(باب المقاربة) (٨١: ٥١١–٥١٢) ، وعلى حين يذكر ابن شيث هذا الكم من المترادفات ، نجد العسكري يحدد الفرق بين بعضها فيرى أن (الفرق بين هو قمين به ، وحريّ به ، وخليق وجدير . أن القمين يقتضي مقاربة الشيء والدنو منه ، وحريّ يقتضي أنه مأواه،فهو أبلغ من القمين ، وأما خليق به فمعناه أن ذلك مقدر فيه ، أما جدير فمعناه أن ذلك يرتفع من جهته) . (٨٢: ٢٩٩) .

٢ – باب الإفصاح والإبانة : أفصح عن الأمر وأبان وأوضح وأعلن وجهر وأفشى وأذاع وأعرب وصرّح . وفي جواهر الألفاظ، باب التصريح والإفصاح ، يورد خمسة ألفاظ تتشابه مع ابن شيث (٧٩ : ٣٨٧) . أمّا في الألفاظ الكتابية ، فيأتي باب وضوح الأمر متشابهاًمعه في ثلاثة ألفاظ هي(أو ضح ، وأبان ، وأعلن)(٧:٨٠) ويجيء هذا العنوان نفسه في الألفاظ المترادفة إلاّ أنه يتشابه مع جزء فقط منه ، ويضيف جديداً(هو أظهر أبدي ، وأشاع .)(٦٣:٨).ويفرق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العسكري بين الإعلان والجهر ، على حين ذكرهما ابن شيث مترادفين (الإعلان خلاف الكتمان ، وهو إظهار المعنى للنفس،ولا يقتضي رفع الصوت ، والجهر يقتضي رفع الصوت.) (٨٢:٢٨١) .

٣ – باب اقتران الاحسان بمن يستحقه : الاحسان يقع منه موقعه ،...

٤ – باب العظمة والسمو : أعظم من تسمو إليه الهمم ،....

٥ – باب التفرد وانقطاع القرين : مُنقطع القرين ،....

٦ – باب اللوم والتوبيخ : لامة في الأمر ، وعذله ،....

٧ – باب التتابع : تتابعت الأقوال ،....

٨ – باب العوائق تحول دون الشيء : قطعت دونه القواطع ،.....

٩ – باب الحوادث ونوائب الدهر : قطعته نوائب الدهر ،....

وهكذا نجد حوالي أربعةوستين باباً يتشابه فيها ابن شيث مع الدراسات السابقة في هذا المجال (٧:١٢٠–١٣٦).ولقد أورد ابن شيث مترادفات يتضمن معناها ما جاء في الكتب التي سبقته ، إلا أن ابن شيث يورد ألفاظاً خاصة به ، وهي ما يمكننا اعتباره من اضافات ابن شيث من حيث المحتوى ، ومنها : ١ – باب الثناء : أولى النعم بالشكر ، وأحق المنح بالثناء ، وأجدر المنن بالحمد . ولقد جاء « باب الشكر » في الألفاظ الكتابية يحمل كثيرا من هذه المعاني ، إلاّ أن الألفاظ تختلف . (٨٠:٣٢٠) .

٢ – باب طلب النوال ممن هو أهل له : قد اختارك وأنت موضع الاختيار ، ورجاك وأنت مكان الرجاء ، وأحسن الظن فيك ... وجاء في «جواهر الألفاظ» ، باب «طلب المعروف »، تناولٌ لهذه المعاني ، إلا أن الألفاظ تختلف (٧٩:٩٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ – باب مناقب الممدوح : هو كريم السجيّة ، وحَسن الخليقة ، وطاهر الشيمة ، ونقي الجيب ... وجاء في الألفاظ الكتابية (بابٌ في كرم الطباع) فيه المعاني التي تطرق إليها ابن شيث ولكن المؤلف يستخدم ألفاظاً أخرى . (٨٠:١٦٢-١٦٣)

ويوجد من الأبواب التي وردت عند ابن شيث ، يتميز فيها من حيث الألفاظ والمعاني والتراكيب ولم ترد حسب إطلاعي عند السابقين وهي :

١ – باب ابتداء القول : أول ما افتتح به القول ، وما ابتدئ به الكلام ، وما شُرع فيه ابتداء.

٢ – باب المحبة والتعلق : هو أعلق بالقلب ، وألصق بالنفس ، وأملك للخاطر ، وأبهج للناظر ، وأقوى للمهجة .

٣ – باب الولاء والطاعة : هو متعلق بذيل كرمك ، ومتمسك بسبب إحسانك ...

٤ – باب الودّ وقرب المنزلة : هو عيبة سرّي ، وخزانة رأيي ، ومادة أنسي ، وشقيق روحي،....

٥ – باب الإنابة في الأمر : سدّ مسدّه ، وناب منابه ، وقام مقامه ، وأغنى مغناه ،...

٦ – باب الفراسة : ثاقب الفراسة ، وحاذق الكهانة ، ونافذ الظن وبارع الفطنة ،....

٧ – باب المنعة : لا تُضاد قدرته ، ولا تُطاول همته ، ولا تُوهى عقلته ،.....

٨ – باب الأعلام الظاهرة : أعلام ظاهرة ، وشواهد واضحة ، وحجج بالغة ،.....

٩ – باب الاستيلاء والاستحواذ : استولى عليه ، واستحوذ ، واحتوى ،.....

١٠ – باب التظلم : تظلم ، وتألم وتبرم ، وشكا ، وجأر ،.....

١١ – باب حتمية الأمر : حتمٌ مقضي ، وأمر مقدّر ،وحكم واجب ،.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢ – باب المناداة : دعوته ، وناديته ، وأهبتُ به ،.....

١٣ – باب سوء الخلق : شره النفس ، ورغيب الجوف ، وبطر الغنى ، وجزع النفس ،...

١٤ – باب المقصد : هو همّه وطلبته ، ومنيته ، وأمله ،.....

١٥ – باب أشراف القوم : هم أشراف القوم ، وزعماؤهم وعليّتهم ، وجُلتهم ،...

١٦ – باب هو اتجاهه : هو تُجاهه ، وحذاءه ، وإزاءه ، وحذوته ،.....

١٧ – باب الإجهاز على الشيء : أغرى به ، وأضرى به ، وألبّ عليه ،.....

١٨ – باب الشفاء : قد بلّ من مرضه ، وأبلّ ، واستبل ، وبرىء ،....

١٩ – باب الاضطرار : حفزه الأمر ، وحزبه ، وضغطه ، وخنقه ،....

٢٠ – باب العطاء : أسبغ عليه فضله ، وأفاض عليه إحسانه ، وأسبل عليه نيله ،..
(٧: ١٢٠ – ١٣٦)

– من خلال دراسة هذا الباب يتبين لنا تأثر ابن شيث بما جاء في كتب السابقين في هذا المجال وخاصة « الألفاظ الكتابية» للهمذاني ، إلا أن هنالك ما انفرد به وأضافه .

– وعلى حين وجدنا التحديد والتقييد في مجال دراسة اللغة من قِبَل السابقين ، نجد التوسع عند ابن شيث وذلك في مجال الاستخدام والتطبيق ، فنحن أمام دراسة تعليمية يهدف ابن شيث من خلالها إلى التعليم والتوجيه أكثر من التقنين والتحديد .

– ولم يتبع ابن شيث في هذا الباب ترتيباً معنياً .

– وابن شيث من خلال هذه المترادفات ، يخرج عن حدود المعجم ، لأن المعجم كما هو

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معروف يجمع بين دفتيه ألفاظ اللغة ومفرداتها بغية شرحها وإيضاحها ، شريطة أن يرتب ترتيباً خاصاً ، أي أن محور المعجم الكلمة المفردة ، ولكن منهج ابن شيث في هذا الباب قوامه الإستخدام اللغوي في إطار السياقات المتشابهة ، ومحاكاة النماذج الرفيعة حيث تبدو أكثر فائدة، كما يوسع دائرة التعبير وتكثير وسائله مما يسهل تأدية المقصود بأي من العبارات المتساوية . وهو بهذا المنهج يقترب مما يدعو إليه تشومسكي صاحب النظرية الانتقالية التوليدية الذي شرحه في كتابه (التركيب النحوي) والذي طبع في عام ١٩٥٩م ، ذلك أن تشومسكي ذكر أنه(ينبغي أن تكون القواعد قادرة على توليد أو إيجاد جميع الجمل ، أي الجمل المقبولة لدى أبناء اللغة ، وفي نفس الوقت ينبغي أن تكون القواعد محدودة ، حتى يمكن للدارس أن يسيطر على النظام الضروري ، وخاصة من الناحية التركيبية ، ولا يكون ذلك بحشو عقل المتعلم بالقواعد النظرية والإكثار منها، بل إن في تعزيز قدرة الأداء عن طريق المحاكاة تحقيقاً للأهداف المرجوة)(٨٣:١٩٥ - ٢٠٤) .

وما نحن بصدده في هذا الموضوع يخصّ(علميّ التراكيب والدلالة ، ويتصل بإمكانية نقل المعنى اللغوي إلى صورة تركيب لغوي آخر ، دون إخلال بالمعنى). وقد عرض لهذه القضية عبد القاهر الجرجاني في « دلائل الإعجاز » (٧٣: ١٠١)ومن خلال هذا الباب يتبين لنا أنا هناك إمكانية لنقل المعنى من تركيب إلى تركيب آخر ، وأن المعاني لا تختلف باختلاف التراكيب والصور اللغوية المؤدية لها ، وأن الترادف على مستوى التراكيب أمر ممكن وليس مستحيلاً ، وهذه الدراسة تخص الباب الأول في مجال اللغة وهو في ألفاظ يقوم بعضها مقام بعض .

أما الباب الثاني الذي يدخل الكم الأكبر منه في باب اللغة ، فهو بعنوان « فيما لابد للكاتب من النظر فيه والتحرز منه ، وكثيراً ما يسقط فيه كثير من الكتاب » . ويتناول هذا الباب عدة موضوعات جاءت متداخلة إلا أنّني سأحاول تقسيمها وتوضيحها ، والعنوان بشكل عام يدلّ على المضمون . ومن أوائل القضايا اللغوية التي يطرحها ،

معرفة ما يكتب بالظاء:

ويوردها بصورة منظومة من تأليفه ، مكونة من تسعة وثلاثين بيتاً ، يذكر خلالها ما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكتب بالظاء تبدأ هذه المنظومة بقوله :

أيا طالب الظاءات مستشفياً بها وقعت على الشافي فخذها تبرعا

ولقد ذكر من خلال هذه المنظومة مئة وأحد عشر لفظاً مما يكتب بالظاء منها عشرة أفعال : منها : أضلع ، وفاظ ، وألظ ، وأيقظ ، والباقي أسماء منها : الظلم ، والإظلام ، والظّلم ، واللظى، واللفظ ، واللحظ ، والحظوظ ، والظل ، والظهر ، وقيظ ، وظهيرة ، وحفاظ ... إلخ ، ويذكر فيها ما يجوز كتابته بالظاء والضاد معاً :

وعظّتهم الحرب العوان تعظّهم بظاء وضاد وهو أوعظ من لغا

ويختم هذه المنظومة بما يشعر بأن هذه جملة ما يقع فيه الخلط من الظاءات .

فهذي هي الظاءات يامولعاً بها أتاك بها روض البلاغة مونعا (٧:١٧٥-١٨٠)

ومسألة الفرق بين الضاد والظاء ، من المسائل التي شغلت القدماء بسبب صعوبة النطق بها. لذلك نجد أهل اللغة قد ذهبوا في تحديد صفات هذه الحروف فأوردوا أن (الضاد حرف مجهور، وهو أحد الحروف المستعلية ، وهو للعرب خاصة ، ولا يوجد في كلام العجم إلا القليل) أما الظاء (فهو حرف مجهور ، وهو عربي خص به لسان العرب ، ولا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم) (٨٤:٢٢٢) وقد اختلف اللغويون في تحديد مخرج الضاد ، فذهب صاحب (الكتاب) إلى أن الضاد (من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس) . (٧٦:٤٠٥) . وجاء في « سر صناعة الإعراب » أنها (من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن ، وإن شئت من الجانب الأيسر) . (٨٤:٥٢) .

ولقد سبق ابن شيث في قضية الفرق بين الضاد والظاء دراساتٌ كثيرة قبله منها ما كان في الفرق بين الضاد والظاء مثل « الفرق بين الضاد والظاء » للصاحب بن عباد (ت:٣٨٥هـ)، و«الفرق بين الضاد والظاء » للحريري (ت:٥١٦هـ)، و« كتاب الفرق بين الأحرف الخمسة » لابن السيد البطليوسي ت ٥٢١ هـ ، « وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء » لابن الانبار »

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

، «والاعتماد في نظائر الضاد والظاء» لابن مالك (ت :٦٧٣هـ .) وهو لاحق لابن شيث.

وكان المنهج المتبع في هذه الدراسات ذكر ما يكتب بالظاء والضاد وبيان معنى كل لفظة منها والاستشهاد على هذه الكلمة بما ورد في الشعر أو النثر ، مع اختلاف في طريقة العرض فمنهم من رتب الكلمات على حروف المعجم كما في كتاب الاعتماد ، ومنهم من تناول كلاً منهما على حده فجعل قسماً لما يكتب بالضاد ، وقسماً لما يكتب بالظاء كما في « زينة الفضلاء»، ومنهم من زاوج بين ذكر كلّ منهما في الموضع دونما مراعاة ترتيب هجائي ، كما في كتاب « الفرق بين الضاد والظاء » لأبي القاسم الزنجاني ت ٤٧١هـ . أما ابن السيد البطليوسي فقد اتبع ترتيباً مختلفاً ، فأورد الظاء ، والضاد والذال باتفاق اللفظ واختلاف المعنى ، وذكر الحروف المزدوجة من الظاء والضاد باختلاف المعنى ، والظاء والضاد باتفاق اللفظ والمعنى ، وما يكتب بالظاء من الألفاظ المشهورة . وهذه الكتب اشتملت على أعداد مختلفة من الألفاظ التي تختص في مجال دراسته ، فأورد(ابن الأنباري سبعة وتسعين لفظاً)(٨٥:٧٩ – ١٠٠) ،(وأورد ابن السيد البطليوسي مئةً وأحد عشر لفظاً)(٨٦:١١٥–١٢٠) ، وذكر(ابن مالك ستة وثمانين لفظاً) (٨٧:٢٥–٧٠) ، أما أبو العباس المقرئ ،(فقد أورد سبعة وعشرين لفظاً)(٨٨:٣٥–١٤٢) ، وهذه الألفاظ كلها مما يكتب بالظاء فقط دون لضاد .

وثمة دراسات خصت الظاء فقط ، مثل رسالة في الظاءات القرآنية» لأبي عمرو الداني (ت:٤٤٤ هـ)، ووجدت المنظومات التي تناولت الظاء بمفردها ، وأول من كتب في ذلك أبو العباس المقرئ ، إلا أن منظومته اختصت بظاءات القرآن الكريم . يقول الشيخ التجيبي البرقي : «هذه أبياتٌ نظمها أبو العباس المقرئ في جميع أجناس الظاءات ما سُبق إليها ، ليعّول طالبو معرفة الفرق بين الظاء والضاد في القرآن عليها» (٨٨: ٣٥٠) ، وعدد أبيات هذه المنظومة أربعة أبيات . وكتب الحريري ت ٥١٦هـ منظومة في الظاء تضمنت تسعة وثمانين لفظاً ، شرحها الشريسي في المقامة السادسة والأربعين ، وهي(المقامة الحلبية .)(٨٩: ٢٤٦) .

يتبين لنا من خلال ما سبق أن ابن شيث ليس أول من نظم في الظاءات ، إلا أنه أورد أكبر كم من الألفاظ ، إذ بلغ مئة وأحد عشر لفظاً كما بيّنا . ومن خلال تتبع هذه الدراسات التي اختصت بالظاء والضاء منذ البداية حتى ابن شيث نجد أنها محاولات انحصرت في تنبيه الكتاب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى لا يخلطوا الظاء بالضادفي خطوطهم متأثرين في ذلك بنطقهم ، ولم يحاول منهم أحد في دراسته التطرق إلى التفريق بين نطق الضاد والظاء .

– ومن القضايا اللغوية :

ألفاظ يغلط فيها كثير من الكتاب ، وإذ يوجه هذا التنبيه في العنوان للكتّاب ، نجده من خلال المحتوى يخاطب العامة ويوجههم ، وله عدة إشارات في هذه الناحية منها : « وقد قيل ثلاثُ كلمات متتابعات غلط فيها العامة » . ومنها « قول العامة ارتجّ خطأ»، والعامة يسمونه السنين » ، «ومما يجري مجراه قول كثير من الناس» . (٧:١٩٧، ٢٠١، ٢١٢، ١٨١)، ونتوقع من خلال هذا العنوان أن يكون المحتوى متضمناً ألفاظاً ترد خطأ على ألسنة الكتّاب ينّبه عليها ويصححها ، إلا أنه بالإضافة إلى هذا الجانب تناول أموراً لغوية أخرى . ولا يعدّ ابن شيث متفرداً في ذكره الأخطاء اللغوية وتصحيحها ، فلقد أفردت كتب كثيرة في هذا الموضوع ، ركزت على ما تلحن فيه العامة،ومنهاما ركز على الخاصة ، ومن ذلك كتاب « درّة الغواص في أوهام الخواص» للحريري.أما التي ركزت على العامة منها : «ما تلحن فيه العوام »للكسائي ت:١٨٩هـ ، «وإصلاح المنطق» لابن السكيت (ت٢٤٤هـ)،وأدب الكاتب لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)،والفصيح لأبي العباس ثعلب (ت٢٩١هـ) ، ولحن العوام » لأبي بكر الزبيدي (ت٣٧٩هـ) ، و«تثقيف اللسان وتلقيح الجنان» لابن مكي (ت٥٠١هـ) « وتقويم اللسان » لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ). وقد كان جلّ تركيز هذه الكتب على الخطأ والتصحيح للألفاظ ، وكان لكل منها منهج معين في العرض . فعلى سبيل المثال ، اتبع ابن الجوزي ترتيباً هجائياً في إيراد الألفاظ التي يقع فيها الخطأ .

وقد اقتصر الباحثون السابقون على ذكر اللحن الواقع في اللغة بشكل عام ، أما ابن شيث فيُعد متميزاً ومنفرداً من حيث طريقة التناول ، إذ إنه يتناول ضمن حركة التصحيح أموراً متعددة، إذ أدخل ما يقع في الأضداد من لحن ، وما يقع في الدلالة ، وما يقع في الأصوات ، وفي النحو والصرف والإملاء والفروق في اللغة وغير ذلك .

وسنفرد كلاًّ من هذه الجوانب بعرضٍ مستقل ، مع ملاحظة أن هذه الأشياء جاءت متناثرة في هذا الباب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : الأضداد :

يورد ابن شيث في هذا المجال قوله:((وأسماء الأضداد كثيرة إلاّ أن هذا هو الذي يقع فيه كثير من الناس ، فهم يرون هذا كله بمعنى واحد.)) (٧:١٨٨،١٨٦–١٨٨).ومنهج ابن شيث في ذكر الأضداد ، هو أن يذكر اللفظ الذي يقع فيه التضاد ويعلله ، ويذكر في هذا الموضوع ثلاث عشرة كلمة يقع فيها التضاد ، (هي : الصارخ ، والمقوي ، والجون ، والناهل و الهاجد ، ومغلّب، والزبية ، وأطلبت الرجل ، وأشكيته ، وطلعتُ ، والكرى)(٧:١٨٦-١٨٨) .
ويخالف ابن شيث ما جاء في اللسان ، حين اعتبر المقوي أصله من قولهم:الأرض القَوَاء ، وهي التي لا شيء فيها وجاء في «لسان العرب» (والخالية من الأرض القِي بالكسر والتشديد) (٣٢ : قوي).ونجد ابن شيث يذكر الوجه الذي من خلاله يصحُّ أن يعتبر اللفظ له معنيان متضادان ، في حين أننا إذا تتبعنا كتب الأضداد التي أُفردت لهذا الموضوع مثل الأضداد للأصمعي (ت:٢١٦هـ)، والأضداد للأنباري (ت٥٧٧هـ) والاضداد لابن السكيت ، والأضداد للسجستاني(ت:٢٤٨) ، وذيل الأضداد للصغاني (ت ٦٥٠ هـ) نجدها لا تُعنى بتوضيح كيفية وقوع اللفظ لمعنيين متضادين ، وإنما تكتفي بإيراد شواهد لما يقع لكلٍّ من المعنيين . ويخالف ابن شيث ما جاء في كتب الأضداد السابقة في بعض الأمور من ذلك : ما يعلل به ابن شيث الجَوْن : فهو يخالف ما ذهب إليه السجستاني حين يقول : « وتسمى الشمس الجونة لبياضها » ، ويغلّب السجستاني سمة السواد على البياض (٩٠:٩١–٩٢) على حين يعتبر ابن شيث الجون الأسود والأبيض(لأن الشمس إذا أقبلت أبيضَ المشرق ، وأسودَ المغرب فصارت الجون سواءً ا، وسميت الشمس جونة لذلك)(٧:١٨٧) . وإذ يعتبر ابن شيث المقوي الذي له زاد ، والذي لا زاد له ، يذهب الأصمعي إلى أن المقوي الكثير المال ، والذي له دابة قوية ، والمعنى المضاد الذي لازاد له (٨:٩١) . ويذكر السجستاني أن المقوي الضعيف (٩٠:٩٣) ، وينقل ابن السكيت ما جاء عند الأصمعي . أما في « ذيل في الأضداد » فيرى أن(المقوي هو الكثير المال والذي لا مال معه)(٩٢: ٢٤٣).وإذ يذهب السجستاني إلى(أن الهاجد هو اليقظان والنائم)(٩٠:١٢٣ – ١٢٤) يعتبره ابن شيث المصلي والنائم . ويذهب المحقق إلى اعتبار أن ما أورده ابن شيث وهو (نزعت عن شكايته) خطأ إلاّ أن هذا التركيب ورد عند كل من الأصمعي والسجستاني وابن السكيت (٩٣:٣٦٥) . وعلى حين يعتبر ابن شيث طلع : أقبل وغاب يورد السجستاني(طلع : أقبل وأدبر) (٩٠:١٤٣) ، والإدبار غير الغياب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : المشترك اللفظي :

وذكره ابن شيث في صفحات متفرقة ، وتمثل في ألفاظ معدودة منها (العصا ، والعين ، واليمين ، والضبع والسماء ، والعروض)(٧:١٩٩، ٢٠٨، ١٩٩، ٢٠٨، ٢٠٩) .

ثالثاً : التطور اللغوي :

وهو مما تناوله ابن شيث على اعتبار انه اللحن ، إلا أنني أرى أنه يمكن اعتباره من باب التطور اللغوي للألفاظ على ألسنة الناس ، نتيجة لعوامل مختلفة ، ولا سيما أن كثيراً من الألفاظ أخذت السمة المتحولة ، فأصبحت تستعمل ، وهُجر الأصل ، وذلك حسب ما تسلكه الدراسات الحديثة . وقد شمل هذا التطور مجالات متعددة منها : الأصوات ، والصيغ ، والدلالة

١ – الأصوات :

لقد نشأ التطور في الأصوات نتيجة عوامل،منها ما يختص بالأصوات الساكنة ، ومنها ما يتعلق بأصوات اللين .

– أما ما يتعلق بأصوات اللين فمنها الإمالة : ولقد وردت في موضع واحد أشار إليه ابن شيث حين قال : « متى ، المستفهم بها عن الوقت ، تكتب بالياء لكونها مما يُمال » (٧:٢٢) .

– وفيما يختص بالأصوات الساكنة :

أ – الإبدال : ومنه إبدال الأصوات الأسنانية والصفيرية التي يبذل في نطقها جهداً عضلياً إلى أصوات أخرى مقاربة ، مثل تحويل الذال إلى دال ، والثاء إلى ثاء ، والسين إلى شين، والحاء إلى خاء،وذكر ابن شيث عدة مواضع حدثت فيها هذه التطورات ، واعتبر ذلك تصحيفاً للفظ ، إلا أنّه أصبح جارياً على الألسنة ، ولذا فهو يرى ضرورة التنبيه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليه ، وكان منهجه في عرض هذا الموضوع (يقال كذا والصواب كذا) ، أو (هذا غلط والصحيح ...) ومن الأمثلة على الإبدال، دانية يقولون دالية ، والفُسْكُل بالسين المهملة، وهم يقولونها بالشين وهو خطأ .

(وشُحات والصواب شحّاذ ، ولَطَخَ بالحاء المعجمة والصواب لَطَحَ) .

(٧:٢٣٠، ١٨٥، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣١).

ومن خلال ملاحظتنا لظاهرة الإبدال في الأصوات السابقة ، يمكننا القول بأن الإبدال وقع في الأصوات المتقاربة المخارج .

ب – التخلص من الهمزة : كان هذا العامل من أسباب حدوث تطور صوتي في الألفاظ، وقد جاء التخلص من الهمزة على صور مختلفة ، منها الحذف والقلب . ومن أمثلة حذف الهمزة : المِيْضَاة بغير همزة وإنما هي المِيْضَأَة ، ومنها قصر الممدود حيث تحولت خشناء إلى خشِنَة (٧:٢٠٢، ١٨٩) ، وأما قلب الهمزة فهو إمّا إلى واو أو ياء ، ومن أمثلة قلب الهمزة واو،رِفْء تحولت إلى رِفو ،وآتيْته ، وآكلْته وآمرْته تحولت على ألسنة العامة:واتيته ، وواكلته ، ووامرته . (٧:١٨٩)،ومن أمثلة قلب الهمزة ياء : هَادِئة تتحول على ألسنة العامة إلى هَادِية ، ناوأته يقولون فيها ناويته.(٧:٢٢٧، ١٩٧) وغيرها كثير .

جـ – التشديد والتخفيف : من خلال استعراض هذا الباب يتبين لي أن معظم ما ساقه ابن شيث من الألفاظ التي وقع فيها اللحن تُشدَّد من قبل العامة ، والأصل فيها التخفيف مثل: ذَامَاً، مخفف ولا يقال (ذامّاً) ، (جَدَرَ) الصبي ولا يقال جَدَّر ، دُوار بالتخفيف وهم يقولون:دُوَّار بالتشديد (٧:١٨٥ ، ١٨٩ ، ٢٢٨) وغيرها كثير .

٢ – التطور في الصيغ :

ومرجعه إلى أمور منها القياس الخاطئ والقلب المكاني :

أ – فمن القياس الخاطئ أمثلة كثيرة نذكر منها على سبيل التطبيق لا الحصر (صياغة اسم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفاعل من الرباعي على صيغة الثلاثي مثل قولهم:جملٌ طَائِق ، وإنما هو مُطِيْق لأنه من أطاق . ومنه صياغة اسم المفعول من الثلاثي الأجوف بصورة خاطئة مثل مُذَاق ومُصَاغ والصواب مَذُوق ومَصُوغ.ومنه صياغة الجمع من صَاع على أَصَاع وإنما هو أصْوُع ، ويجمعون أَحد حُدود والصواب آحاد لأنه جمع أَحَد)(٧:١٨١ ، ١٨٤ ، ٢٠٣ ، ٢٣٢) وغيره كثير .

ب – أما القلب المكاني فمنه قولهم:(إياسي، وإنما هو يَأْسِي ، ويقولون البَيْزُرَة،وانما هي البَزْيَرَة)(٧:١٨١ ، ١٩٨) وغيره كثير.

٣ – تطور الدلالة :

وهي على ثلاثة أنواع ، إما تخصيص العام أو تعميم الخاص أو تغيير الدلالة،والذي تناوله ابن شيث هو تخصيص العام وتغيّر الدلالة .

أ – تخصيص الدلالة : فهي أن اللفظ يكون له معنى عام متفق عليه ، ويتداوله على الألسنة يكتسب معنىً خاصاً قريباً من الأول.ومن الأمثلة على ذلك(الكِفَّة ، كل مستدير ، وهي تخصص على الألسنة بكِفَّة الميزان . والصَّقْر اسم لكل ما صاد من سباع الطير كالعقاب والبازي،وهم يقولون صَقْر لطير واحدٍ بعينه ، والسوقة : أي غير الملوك ، والناس يخصّونهم على أنهم أهل السوق خاصة)(٧ : ١٩١ ، ٢٢٦ ، ٢١٧) .

ب – تغيير الدلالة : ويقصد به خروج اللفظ عن دلالته إلى دلالة مغايرة أو بعيدة منه : من ذلك(المطَابَقَة ، ويريدون بذلك الموافقة ، وإنما المطابقة المضادة ، كالليل والنهار والضحك والبكاء وما أشبه)(٧:١٨١) .

(ومنها التّطْفِيْف فالأصل فيه النقصان ، وهم يقولون طَفَّف يريدون زاد)(٧:٢٣) .

رابعا : التراكيب اللغوية الدارجة :

أورد ابن شيث اثنين وعشرين تعبيراً لغوياً (٧ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٢) منها مرحباً بك ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهلاً وسهلاً ، ولله درك . وهو يذكر هذه الألفاظ ويتبعها بالتوضيح مثال ذلك : (لله درك) وهي كلمة يخاطب بها الإنسان في الأمر . الذي يُحمد عليه ، وفيها معنى التعجب كأنه يقول : للّه درُّ هذه الأحوال منك . (٧:٢٠٥) .

خامساً : توضيح تراكيب تستخدم ولا يدري اكثر الناس معناها :

يورد ابن شيث معجماً صغيراً يتألف من اربعةٍ وثمانين تركيباً لغوياً يريد توضيحها ومنهجه في عرضها ، ايراد قولهم كذا ، ثم معناه . ومن هذه الألفاظ أباد الله خضراءهم ، ضربه حتى برد . (٧:٢١٢-٢١٨).

سادساً : مما يقال في باب الاتباع :

ويورد فيه ابن شيث تسعين لفظاً مزدوجاً ، وهو في أغلب الأحيان يذكرها مع بيان معناها إلا في القليل النادر ، (٧:٢٣٤-٢٤١) . ومن خلال تتبعي لهذا الموضوع في الدراسات السابقة، لم أجد إلاّ ابن قتيبة في أدب الكاتب قد تطرق إليه، وذلك في(باب تأويل المستعمل من مزدوج الكلام)(٥٥:٤٣) . ويورد فيه عشرين لفظاً فقط ، وإذا قارنا هذا الكم مع ما جاء به ابن شيث ، ندرك الثروة اللفظية التي يمتلكها ابن شيث وعلى حين يورد ابن شيث معنى كل لفظ تقريباً ، نجد ابن قتيبة يذكر المعنى وما قال فيه اللغويون ومما يذكره ابن شيث من هذه المزدوجات : شديد أديد، أي قوى من الأيد ، وجيء به عيصك وإيصك : أي من حيث كان ولم يكن وغيرها كثير.

سابعاً : مما يقع فيه الوهم والصواب غيره :

ويورد ابن شيث أمثلة عديدة نذكر منها : ذباب، والقليل منه أذبّة ، والكثير الذّبان ، ولا يقال ذبابة وأكثر ما يستعملونها . وذكر ابن السكيت في «إصلاح المنطق» ما جاء عند ابن شيث (٩٤:٣٠٦-٣٠٧) . أما في «تثقيف اللسان» لابن مكي (ت:٥٠١هـ)، فيذكر المؤلف أن لفظ ذبابة صحيح (تقولون ذبانة ، والصواب ذبابة ، وجمعها ذباب ، وجمع الذباب أذبة وذبان ولا يقال ذبانة) ، (٩٥:١٩٤) وعلى حين اعتبر ابن شيث القليل أذبة والكثير ذبّان ، يعتبر ابن مكي أن الذباب قليل ، وجمع الذباب أذبة . ويعتبر ابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ) في «تقويم اللسان» أن لفظة ذبانة صحيحة ، (٩٦:١٢٨) ومنها سطل خطأ والصواب سيطل (٧:٢٢٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثامناً : الفرق بين الألفاظ التي تدل على المعنى الواحد :

وهذا يذكرنا بالفروق في اللغة للعسكري ، إلا أن ابن شيث يورد قدراً محدداً من الألفاظ دون عناوين فهي من عندي نذكر منها أمثلة :

- في معنى القطع : إذا كان في الأنف ، شَرْم ، وفي الشحمة ، الخَرْم ، وفي الاذن ، صَلْم، وفي الشفة عَلْم ، وفي البدن كَلْم .

- وفي معنى الضرب : الضرب في البدن ، واللكْز في الجنب ، والوَكْز في الصدر ، والصفْع في القفا ، واللطْم في الوجه ، والنقْف في الرأس (٧:١٨٤) وغيره .

تاسعاً : ما غيروا حركته من الألفاظ من باب الخطأ والصواب غيره :

نجد ابن شيث يسوقه مختلطاً ضمن محتويات هذا الباب،في حين نجد ابن قتيبة في أدب الكاتب قد عقد أبواباً بهذا العنوان (٥٥:٣٩٠-٣٩٦) ، وسأحاول فيما يلي ترتيب ما جاء عند ابن شيث ضمن نظام معين وأذكر أمثلة :

- منه ما كان محركاً وسكنوه مثل : مَنَعة بالتحريك ، وهم يقولون مَنْعة بالتسكين وهو خطأ.وما كان مفتوحاً وكسروه مثل وَجَم بالفتح ، والكسر خطأ . ومنه ما جاء مكسوراً وهم فتحوه مثل بِلْقِيس بالكسر ، وهم يفتحونها ، ويقولون بَلْقيس وهو خطأ، (٧:١٨٦, ١٩٠, ١٣٢) . ومنه ما كان مضموماً وفتحوه ، والعكس ، مثل : زُرافة بضم الزاي ، وهم يقولون زَرافة بالفتح ، وضَرّ بفتح الضاد ، وهم يقولون ضُر بضم الضاد ، وهو خطأ . وما حركوه وهو ساكن مثل : مَرْوىّ بسكون الراء ، وهم يقولون مَرَوىّ بالفتح . وما كان مضموماً وكسروه مثل : شُقُق بضم الشين ، وهم يقولون شِقَق بالكسر . (٧:٢٢٦, ٢٢٥, ٢٢٤) .

عاشراً : تغيير الحركة يُغير الدلالة:

ومنه على سبيل المثال :

- عَقْب الشهر : بقيتْ منه بقية ، وعُقْب الشهر : لم يبق فيه شيء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الكِفَّة كلُّ مستدير ، والكُفَّة كل مستطيل .)(٧:١٨٦، ١٩١) وهناك غيره كثير .

أحد عشر : أسماء النبات : ويذكر فيه أسماء نباتات وأزهار دونما عنوان مسبق ويقحمها بين ما يورده من أخطاء لغوية يريد تصحيحها ، وقد ذكر اثنين وأربعين نوعاً ، منها ما هو معروف، وأورد له لفظاً آخر غير معروف مثل : العَرَار : المَرْدَقُوش ، ومنها ما هو غريب ، وأورد له اسماً قريباً منه مثل الفِرْسِك : الخَوْخ ، ومنه ما هو معرّب وأوضح ما هيته مثل السِّيْسِنْبر : السَّوْسَن ، ومنه ما كان لفظه مستغلفاً مثل الجَاد : الشَّاهْسَفرم ، ومنه ما كان معروفاً والاسم الآخر مألوف أيضاً مثل العُبْهر : النَّرْجِس ،ومنه ما كان غير معروف والاسم الآخر غير معروف مثل الثُّفَّاء : حَبُّ الرشاد . (٧:١٩١-١٩٤) .

وابن شيث مسبوق في ذكره لأسماء النباتات والأزهار ، فلقد أورد ابن قتيبة في أدب الكاتب باباً بعنوان أسماء النبات (٥٤:٩٨-١٠٠) إلاّ أن إبن شيث يفوقه كماً ، ولا يتشابه المحتوى عند كل منهما إلاّ في كلمات قليلة مثل : البُطْم ، الفَيْجَن ، الدَّرَق ، والحَوْك ، والأُقْحُوان ، الأَيْهُقَان ، والخُزَامى .

ثاني عشر : المذكر والمؤنث :

ويشتمل هذا الموضوع على أربع نقاط :

أ - ما يقال للذكر والأنثى والبعير والإنسان والبشر والأحد ، إلا أن ابن شيث لا يمثل له وربما سقط من أصل المخطوط .

ب - ما يذكر ويؤنث من جسد الانسان وغيره : ويذكر فيه اثنين وعشرين لفظاً ، ويبين أيها يغلب عليه من كلتا الصفتين وأيها يتساويا فيه.فمما يغلب عليه التذكير : العنق واللسان والذراع ، ومما يغلب عليه التأنيث : السبيل ، درع الحديد ، والعنكبوت ، ومما يستخدم في الحالتين على السواء : السلطان ، ولقد فصّل ابن مكي في باب ما يجوز تذكيره وتأنيثه الوجه الذي ينصرف إليه لفظ سلطان ، وهل يجمع أم لا ، وأضاف آراء لنحويين ومنهم ابن النحاس، وأبو العباس المبرد . (٩٥:١٨٠-١٨١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ – وما يذكر : ويذكر ابن شيث اثنينِ واربعين لفظاً ، ويوضح لبعضها معناها والأصل التي جاءت منه مثل(السّلم من المسالمه ، واللبوس اسم عام لما يلبس)(٧:٣٠٨).

د – ما يؤنث : وذكر فيه مئة ولفظين مما يؤنث ويجعل الباب مفتوحاً لدخول المزيد ، حيث يُدخل ضمن هذه الالفاظ كل ما يعرف من (أسماء القبائل وجماعات الأمم وسور القرآن وحروف المعجم) . (٧:٢٠٩)

ولا يعدّ ابن شيث متفرداً في هذا الباب من حيث المحتوى (٧:٢٠٧–٢٠٩) ، فلقد أفردت دراسات مستقله للمذكر والمؤنث مثل : المذكر والمؤنث للفرّاء ، والمذكر والمؤنث لابي العباس المبرد (ت:٢٨٥هـ)، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري (ت :٣٢٨هـ) .

ثالث عشر : الألفاظ المعّربة :

أورد ابن شيث من خلال هذا الباب عدداً من الألفاظ المعّربة وهذه الألفاظ ، غيرّت فوافقت اللسان العربي في الوزن والبنية ، وخضعت لمنهاج العرب في كلامهم ، وانصهرت في الكلام ، وطابقت شروط الفصاحة ،فدخلت فيما يعدّ فصيحاً . ومن هذه الألفاظ(رزنامج ، السيسنبر ، والبزيرة ، والكوسج ، وسراويل والطس أو طسّه)(٩٧:١٣٤، ٢٤٤، ٣٣١) .

رابع عشر : أمور يخالف بها إبن شيث المتقدمين ،

ومنها على سبيل المثال :

– يقولون إسكاف لصانع النعال خاصة ، وكل صانع عند العرب إسكاف وأسكوف أيضا. (٧:٢٢٦) . جاء في «تقويم اللسان »أن الإسكاف عاميه . وأن (الأسكف تصحيح لما تسميه العامه الإسكاف) . (٩٦:٧٧) . إلا أن ابن شيث يتفق مع ما جاء في المعاجم ففي اللسان عن ابن الأعرابي : (الاسكاف عند العرب كل صانع غير من يعمل الخفاف ، فإذا أرادوا صانع النعال قالوا : أسكف) (٣٢:سكف) وبالمثل جاء في الصحاح للجوهري (٩٨:سكف) .وإذ يذكر ابن شيث أن بينهما في الفضل بوناً ، وفي البعد بيناً (٧:١٨٣) ، يذكر في تقويم اللسان أن(بون فصيحة ، والعامة تقول : بَين)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٨٧:٩٦).

خامس عشر : الظواهر النحوية والصرفية :

أولاً : الظواهر الصرفية :

١ – أوزان الأفعال :

أ – اهتم ابن شيث بما صيغته (أَفْعَلَ) وهو الثلاثي المزيد بهمزة في أوله من حيث اعتباره مخالفاً لـ (فَعَلَ) في المعنى ، وهو في هذا يتفق مع بعض النحويين الذين أنكروا أن يجيء فَعَلَ و أَفْعَلَ لمعنى واحد ، فإن(هذا لا يجوز إلا أن تجيء إحداهما في لغة قوم ، والأخرى في لغة غيرهم .)(٢٢٧:٩٩) . ويمثل ابن شيث للأمرين ، فمن الأول اختلاف المعنى لاختلاف الوزنين (أَسَاف الرجلُ إذا هلك ماله ، وسَافَ:هلك ، أبلى في الخير ، وبلا في الشر .)(١٨٩:٧، ١٩٠) .

– ومن الثاني : أي مجيء فَعَلَ وأَفْعَلَ نفس المعنى في لغتين :(دَبَرَ ، وأَدْبَرَ ، قَبَلَ وأَقْبَلَ)

ب – وأورد صيغة أَفْعَلَ وتحولها إلى فَعَلَ وما يترتب عليه من تغيّر المعنى ومثالها(أَقْصَر إذا كفّ ، وقَصَرَ إذا عجز) وأورد تحول الصيغة دونما تغيير في المعنى في موضع واحد : أحدَّ السكين ، وحَدَدٌ .

جـ – وذكر ابن شيث ما جاء فيه أكثر من لغة (تَرَبَّتُ ، وأَتْرَبْتُهُ لغتان ، سَرُوَ ، وسَرَى ، وسَرَا ثلاث لغات .)

د – وما جاء على وزن أَفْعَلَ ويعنى الإقامة : أحَالَ ، وأَضْحى وأَفْجَر . هذا ولم يذكر ابن شيث صراحة ، أن أوزان الفعل لها معانٍ تختص بها وتدور في فلكها ، ولكنه ذكر في بعض الأحيان المعاني التي تنصرف إليها الأوزان مثل(الإقامة ، والتعدية)مما يساعدنا على استنباط الدلالات العامة لهذه الأوزان . (١٩٤:٧، ١٨٦، ١٩٤، ١٨٣، ١٩٧، ١٩٠)

هـ – التعدية : وهي من المعاني التي تنصرف إليها أوزان الأفعال . ويتعدى الفعل بالهمزة على ما جاء في العربية ومما جاء متعدياً بصيغة أَفْعَلَ من فَعَلَ : شَال : أشالَ ، ويورد في المقابل ما جاء مخالفاً لذلك منه سَفَرَتْ نقابَها ، وأَسْفَرَ ، وأَنْسَأَ ، ونَسَأَ وهو يلزم بالهمزة ويتعدى من دونها. ويفرد ابن شيث قائمةً مكونة من اثنين وثلاثين فعلاً لما يأتي من الأفعال

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لازماً على وزن (فَعَلَ) ويأتي متعدّياً من نفس الوزن منها(عَابَ الشيءَ وعبْتُه ، وعَفَا الشيء : كثر، وعفوتُه : أي كثّرته).ويورد مما وقع فيه الخطأ مما هو متعدٍ وجعلوه لازماً مثل أشرف (فيقولون أشرفتُ على الجبل ، وهو خطأ والصواب أشرفتُ الجبلَ) (٧:١٩٧،١٨٦،٢٢١، ١٨٨،٢١١-٢٠٩)

٢ – أبنية الأسماء :

أورد ابن شيث أوزاناً للأسماء منها :(فَعُل يُفْعُل بضم العين مما مذكره (أَفْعَلُ) ، ومؤنثه (فَعْلاء) ولم يجيء في كلام العرب إلاّ خمسة أسماء : حُمُقَ ، خُرُقَ ، رُعُنَ ، دُهُمَ ، سُمُرَ . ومنها فَاعِل : صائف ، ورَابع ، وفَيْعَل : مثل سَيْطَل ، وفُعْلة مثل شُقّة ، وفُعَال مثل دُوَار.) (٧:١٩٨،١٩٠،٢٢٤،٢٢٨).

٣ – المشتقات :

ويذكر منها المصدر ، اسم الفاعل ، واسم المفعول ، وصيغ المبالغة .

أ – المصدر : ذكره في أكثر من موضع ، ومنه ما يذكر فعله مثل :(قَافَ يَقُوف والمصدر القِيَافَة ، عَاف يَعِيْف والمصدر العِيَافة .)ويذكر للمصدر وزناً هو (فَعِل) ولم يجيء منه إلا ست كلمات هي :(الكَذِب ، والضحِك واللعِب والرضِع والسَّرِف . ويبين اختلاف المصدر في حال لزوم الفعل وتعدّيه فيقول : مصدر رَجَعَ اللازم رُجُوعاً ومصدر المتعدي رَجْعاً)(٧:١٨٤،١٩٩،٢١١).

ب – اسم الفاعل والمفعول : جاء على طريقة التنبيه إلى الخلط بينهما من حيث الاشتقاق كما بيّنا سابقاً صفحة (١٠٨ – ١٠٩) من هذا البحث.

– وقد ركزّ على صياغتهما من الفعل الأجوف ، وبيّن ما يقع فيهما من خطأ وأشار إلى الصحة .

جـ – صيغ المبالغة : ويذكر منها(أَفْعَلُ وفَعِيْل)على سبيل استعمال أحدهما موضع الآخر ، فقيل أكبر بمعنى كبير . (٧:٢٠٥) .

٤ – التثنية : ويخصّ ما كان على وزن فُعْلَى ومنها أُولى ، وسُفْلى وعُلْيا ، ففي تثنية سفلى:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(السفليان)(٧:٢٠٥)

٥ – المؤنث الحقيقي والمجازي :

يعرض ابن شيث لقضية التأنيث الحقيقي والمجازي ، فيذكر مثالاً على المجازي التأنيث (يقال في المرأة : هي وصيّه ووصيّتهُ وهي كفيله وكفيلته .)(٧:١٨٤)

٦ – التصغير :

وجاء في مواضع قليلة ، فَرّق فيهابين تصغير الاسم والصفة في حالة كون اللفظ واحداً (ففي تصغير «صالح» إذا كان اسماً «صُلَيْح» ، وإذا كان نعتاً فتصغيره صُوَيْلِح .) (٧:١٨٣)

٧ – النسب :

يذكر ابن شيث خطأ النسب إلى أمس بصيغة إِمسي بكسر الهمزة ، وهو على غير القياس كما يذكر في النسب إلى الحرفة(السندريّ الكيال نسبة إلى السندرة .) (٧:١٩٦)

ثانياً : الظواهر النحوية :

١ – التعريف وفيه مسألتان :

أ – تعريف العدد : تدخل أل التعريف على الجزء الأول من العدد ، وتدخل على التمييز إن كان العدد مفرداً . تقول : العشرة الدراهم ، وهو القياس حسب ما أورد ابن شيث . (وهذا مذهب الكوفيين الذي يحتج به فيقول : لأن التعريف إذا دخل في أول العدد ، دخل فيه كله وهو مذهب الكوفيين ، ويؤيد صلاحية القياس بتأييد البصريين ، فقد صوّبه أبو العباس وغيرُه من البصريين ، أما الخليل فيرى أن التعريف يدخل في الأُول ولا يدخل في الثاني فنقول : الخمسة عشر يوماً ، ودرهماً لأن المضاف اذا أضيف لم تدخل الألف واللام عليه .)(٧:١٨٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب – تعريف ما صيغته أفعل ومؤنثه فعلى بالألف واللام : الأصغر والصغرى ، والأكبر والكبرى(ولا يجوز ذلك كلّه إلا بالألف واللام ، ويستثنى من ذلك قولهم الله أكبر لأن الأصل الله أكبر من كل شيء فحذفت الصلة «بمن» للعلم بذلك) (٧:٢٠٥)

٢ – الممنوع من الصرف :

ويذكر لفظة «سنين» كتطبيق على هذا القسم فيجريها في حال، ويمنعها في حال ويبرر إجراءها(على اعتبار أنك تجعلها اسماً واحداً مثل (زيد) ، وإذا لم تجر على اعتبار أنّها جمع عُدّل الى الواحد فلم يُجر .)(٧:١٨٥)

٣ – التعجب :

ذكره ابن شيث من حيث خروج استعماله عن القياس ، فيذكر صِيغاً استُعملت للتعجب خارجة عن القياس فمن ذلك (تعجبهم مما صيغته أَفْعَلَ من الرباعي من نفس الفعل فيقولون ما أَوْلاه ، وهو من أَوْلى . وتعجبوا مما صيغته افْتَعَلَ ، واسْتَفْعَلَ أيضاً على نفس النمط) (٧:٢٠١-٢٠٢)

٤ – أفعال المقاربة والشروع :

ويذكر سبعة منها وما تدل عليه من معنى ، والأصل في استخدامها ، وما تخرج اليه للضرورة ، وهذه الأفعال هي :(كاد ، كرب ، جعل ، أخذ ، أوشك، لعلّ ، وعسى) (٧:٢١٩)

٥ – الإضافة :

وخصص منها الإضافة إلى المظهر كما في لفظة «آل» ، فيذكر ابن شيث أنّه قد أجمع حذاق النحاة على أن «آل» لا تضاف إلا إلى المُظْهَر خاصة دون المضمر ، وأن الصواب أن تقول :اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما ورد في الخبر ، لا على آلِهِ ، ويؤيد ذلك بما ورد عند العلماء في التشهد (اللهم صلِّ على إبراهيم وعلى آل ابراهيم) ولم يقل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آله ، ويبرر ابن شيث قيمة الإضافة إلى المُظْهَر في ذلك بأنّه أعظم في التفخيم «لأن الألفاظ تتردد للفخامة والعظمة » (٧:٢٢٣)

٦ – حذف الخبر :

ويخص فيه خبر لم يَزَلْ من أخوات كان فيرى«أنه لا يجوز حذف خبر لم يزل ، في قولهم «لم يَزَلْ هذا» وهم يعنون كذا فيما مضى والصواب لم يَزَلْ هذا كائناً أو موجوداً .»

٧ – العطف :

وخصّ فيه«عطف الاسم المُظْهر على المُظْهر نحو:ما أنت وزيدٌ بالرفع دون النصب ، لأنه عطفَ مظهر على مظهر ، أما في حال العطف على مضمر كما في قولك : مالك وزيداً لا يكون الا النصب ، والواو للمصاحبة لئلا تعطف مظهراً على مضمر .»

٨ – البناء :

أورد ألفاظاً تلازمها حالة البناء منها : صباحَ مساءَ ، ومنها مرحباً ، وأهلاً وسهلاً.

٩ – الإسناد :

يذكر ابن شيث أن«الفعل بعد أي يُسند الى ضميرك فتقول : أي فعلتُ، أما بعد إذا فتقول: إذا فعلتَ فتفتح التاء وتجعلها لمن تخاطبه بعد إذا .»(٧:٢٣٢،٢٣٤،٢٠٥،١٩٦–٢٠٥،٢٤١).

قضية المستويات اللغوية :

نجد ابن شيث يعتمد ثلاثة مصادر في إثبات قضايا اللغة في المسائل النحوية والصرفية هي :

أ – القرآن الكريم : وقد عدّه المثل الأعلى إذ قال :«والقرآن في أقصى درجات البلاغة والايجازوالإعجاز»(٧:٢٢٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب – الشعر : ساق ابن شيث سبعة أبيات من الشعر على سبيل الاستشهاد . (٧:١٩٥، ٢٠٥، ٢١٩، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٤١)

جـ – الاعتداد بأقوال السابقين من العلماء سواء كانوا بصريين أم كوفيين . (٧:١٨٢)

سادس عشر : دروس في الإملاء أو في الهجاء :

: ويعالج فيه مسألتين :

أ – الهمزة: يذكر ابن شيث جملةً من قواعد كتابة الهمزة في الأسماء ويمثّل لها ، فمثلاً إذا كانت في أول الكلمة وكانت مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة كتبت ألفاً. (٧:٢٤١-٢٤٢)

ب – فيما يكتب بالياء والألف : وضع ابن شيث منظومة للتفريق بين ما يكتب بالألف والياء من الأفعال والأسماء بصورة بسيطة ، تضمنت ستة عشر بيتاً أولها :

إذا أردتَ الفرقَ بين الياءِ والـ ألفِ التي للفعلِ فيما تكتبُ

ألْحِقْ بها تاء الخطاب فإن تكنْ من قبلها ياءٌ فتلك المذهب (٧:١٨٠)

ويذكر فيها أولاً ما تُعرف فيه الألف من الياء في الفعل ، ثمّ ما يخصّ الأسماء من حيث كتابتها بالألف أو بالياء.

٢-٨ الأمثال :

حظيت الأمثال منذ القدم بالاهتمام ، فألفت فيها الكتب،ومن أقدمها الأمثال للمفضل الضبّي (ت:١٧٠هـ) ، ثم وضع السدوسي (ت:١٩٨هـ)كتاباً في الأمثال ، ثمّ الهروي ، ثمّ وضع أبو عكرمة الضبي (ت:٢٥٠هـ) كتاب الأمثال . ولقد جمع هؤلاء الأمثال العربية في الجاهلية وصدر الإسلام ، ثم نرى نشوء أمثال في عصر الإسلام ، فوضعت كتب تضمّها في طيّاتها مثل «العقد الفريد» لابن عبدربه (ت ٣٢٨هـ) ، ثمّ «جمهرة الأمثال» للعسكري (ت٣٩٥هـ) ، ولعلّ أهمّ من طرق هذا المجال الميداني (ت ٥١٨هـ) في كتابه «مجمع الأمثال» ، جمع فيه ما نيف على الستة آلاف مَثَل ، ووضع بعده الزمخشري كتابه «المستقصى في أمثال

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العرب» ، إلا أنه لم يصل إلى رتبة «مجمع الأمثال» للميداني .

ونجد ابن شيث يفرد باباً للأمثال في كتابه ، ويورد مئة واثنين وستين مثلاً ، وينوّه بأهميتها. (٧:١٣٧–١٣٨) ، وجاء عنده نماذج متنوعة من الأمثال ، فهناك المثل الناشيء عن حادثة ، والمثل الناشيء عن تشبيه ، والمثل الناشيء عن حكمة ، والمثل الناشيء عن الشعر . فمن الأول «رجع بخفي حنين» ولقد جاءت قصته في «جمهرة الأمثال» ومثله «أساء سمعاً فأساء جابة». (١٠٠:١/٤٣٣،٢٥) . ومن الثاني «افرغ من حجّام ساباط» ومن الثالث : «من يُر يوماً يُرَبه» ومن عزّ بزّ» . ومن الرابع«من لا يذد عن حوضه يهدم»(٧:١٤٢،١٤٠،١٤٥،١٥٨). وهو مأخوذ من قول زهير بن أبي سلمى :

وَمَنْ لم يذدْ عن حوضِهِ بسلاحِهِ   يُهدَمْ ومن لا يَظلم الناس يُظلمِ (٩:٨٨)

وانفرد ابن شيث بأمثال استمدها من القرآن الكريم منها : خير الزاد التقوى ، وهناك طائفةٌ من الأمثال لم أعثر عليها في كتب الامثال المتقدمة ، ولعلّها وليدة عصره ، ولقد بلغت خمسين مثلاً اذكر منها ، ملاك الأمر التقوى ، إذا نبا عنك حبيبٌ فاسله ، من ظنّ أخطأ وأصاب ، ربّ حاجة يكفيكها الترك ، فلان فم القرية ، ، قد حقب الامر بينهم . (٧:١٤٩،١٥٢،١٥٤، ١٦٩،١٧١،١٧٢)

– أما نظم الأمثال فهناك احتمال أن تكون من نظم ابن شيث نفسه وذلك لما يلي :

١ – هذه الأمثال المنظومة لم ترد في كتب الأمثال المعروفة الجامعة .

٢ – هناك أبيات حاول المحقق الوصول إلى صاحبها ولكن دون فائدة ، وذلك في هامش(١) (٧:١٣٨) .

٣ – نَظْمُ الشاعر لأبيات في الظاءات وما يكتب بالألف والياء ، يدلّ على أنه مولع بالنظم فربما نظم الأمثال .

٤ – مجيء الأشعار التي استشهد بها الشاعر في الأبواب السابقة بتقديم منه ، يقول فيه :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«قال الشاعر» ، «وفي الشعر قوله» ، وهنا تأتي الأشعار دون أي تقديم .

٥ – إشارة ابن شيث منذ البداية إلى نظم الأمثال ، يدلّ على تأكده من أن النظم حاصل ، فربما كان هناك أمثال غير منظومة وتأكده يدل على أنّها من عنده .

٦ – اشارته الى التوسع في هذا الباب لمسيس الحاجة تدل على الإضافة ، وربما كانت هي النظم .

٧ – مجيء خمسين مثلاً لم ترد في كتب سابقة ، فهي مما انفرد به ، ومجيئها منظومة يدلّ على أنها من نظمه .

٨ – التقارب الشديد بين المثل والنظم ، بحيث لا يختلف أحدهما عن الآخر إلا بروابط أو كلمات لأجل الوزن الشعري .

٩ – هناك من الأبيات التي نُظمت من خلالها الأمثال ، جاءت شطرات مستعارة من شعراء آخرين . وفي الشطر الثاني يصوغ المثل من ذلك :

ومن يَصْنع المعروف في غيرِ أهلهِ كمن يُسمن الكلب الذي هو آكله (٧:١٤٠)

فالشطر الأول مأخوذ من قول زهير بن أبي سلمى :

ومَنْ يصنعْ المعروف في غير أهلهِ يكـــنْ حمـدَه ذمّاً عليه ويندم (٩:٨٧)

١٠ – هناك أمثال وردت في قصصها روايات مختلفة ، إلا أن ابن شيث يورد نظماً للمثل يرجح رواية بعينها ، مما يدلّ على انتقائه أقرب هذه الروايات الى الصواب ، وبالتالي نظمها ، ومن ذلك «رجع بخفي حنين» ، فلقد جاء في كتب الأمثال روايات حول نشأة هذا المثل الا أن ابن شيث يرجح «رواية الناقة» التي جاءت في جمهرة الأمثال (١٠٠:١/٤٣٣) ، بدليل مجيء المثل منظوماً دالاً عليها :

ومَنْ يقصد بناقتهِ لئيماً يصـــــلْ منها إلى خفي حنين (٧:١٤١)

١١ – مجيء مثل خطأ الدلالة أو متغير الدلالة عما عهد وهو «استنوق الجمل» ، فيذكر ابن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شيث(أنه يضرب لمن عَظم شأنه) (١٤٤:٧) . في حين أنه يضرب في الأصل للرجل الواهن الرأي المخلّط في كلامه (وأول من قاله طرفة بن العبد ، وكان صغيراً حينما سمع المتلمس ينشد :

وقد أتناسى الهمّ عند احتضارهِ بناجٍ عليه الصيعريّة مكْدَمِ

والصيعريّة سمَة للنوق لا للفحول ، فجعلها لفحل ، وقوله بناجٍ أي بجملٍ ، فلما سمعه طرفة قال : استنوق الجمل ، فضحك الناس وسارت مثلاً) (١٢٦:٥٢).ولقد جاء في «جمهرة الأمثال» يحمل دلالة مغايرة لما ورد عند ابن شيث(١٠٠:٥٤-٥٥) مما يدلّ على خطأ ما ذهب اليه ابن شيث ، ولقد جاء نظم المثل مؤيداً لفهم ابن شيث الخاطيء ، ونذكر أنّ ابن شيث هو الوحيد الذي أعطى هذا المثل هذا المدلول ، فهذا يدلّ على أن نظم المثل من عنده والنظم هو :

صار البغاةُ بزاةً حائمين على الآفا قِ في وقتنا واستنوق الجمل .

وبالمِثْل المثل «فلان ضبّ قلعة» نجده يحمل دلالة الداهية المفكر عند ابن شيث ، ويأتي الشعر مؤيداً لذلك :

داهٍ روىً فـــــي الـ أمورِ ضبٌّ قلعـــــــة (١٧١:٧-١٧٢)

في حين نجد المثل في «مجمع الأمثال» : «ضبة حزن في حوامي قلع» يضرب لليقظ الحازم. (٢٦٩/٢:١٠١)

بالمثل «جاء يضرب أصدريه» إذا جاء بطراً ويمثل له بالشعر :

قد جاء يضربُ أصدريه كأنه ثَمِلٌ ومن يُصدرْ بخيرٍ يَبْطر (١٧٣:٧)

ولقد جاء المثل نفسه في «مجمع الأمثال» للميداني ذا دلالة مخالفة ، وهي أنه يضرب لمن جاء فارغاً لم يقضِ طلبته (٢٩١/١:٩٧) .

ويمكننا تصنيف الأمثال التي أوردها ابن شيث في الأبواب التالية :

١ – باب الخطأ والزلل ويندرج تحته نماذج منها : أسمنْ كلبك يأكلك ، أجعْ كلبك يتبعك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ – باب الخلة والصفاء مثل : أحببْ حبيبك هوناً ما ، فعسى أن يكون عدوك يوماً ما ، وابغضْ بغيضك هوناً ما ، فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما .

٣ – باب الحوائج : رجعَ بخفي حنين ، رُبّ عجلةٍ جلبتْ ريثاً .

٤ – باب في مكارم الأخلاق : إذا عزّ أخوك فهُنْ ، أنجز حرَّ ما وعد .

٥ – باب اللسان : لا تعدم الحسناء ذاماً ، أساءَ سمعاً فأساء جابة ، كفى برغائها منادياً .

٦ – باب المعاش والأموال : اسعَ بجدِك لا بكدِك ، رُبَّ ساعٍ لقاعد .

٧ – باب أحوال الرجال واختلاف نعوتهم : تسمع بالمعيدي لا أن تراه ، شبَّ عمرو عن الطوق .

٨ – باب الأقارب من أسرة الرجل : أنصرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً . (٧:١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٥٧ ، ١٧٠ ، ١٤٢ ، ١٦٨ ، ١٥٣ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٦٩ ، ١٤٦ ، ١٤٧)

٩ – باب في الحزم والقوة : قد أعذر مَنْ أنذر ، هو ثاقب الزَّند .

١٠ – باب البخل : الذئبُ يُغْبَطُ بذي بطنه ، جاء يضبٌّ لثته .

١١ – باب معايب المنطق : رمتني بدائها وانسلّت .

١٢ – باب الأمثال في المعرفة : عند جهينة الخبر اليقين ، ليس ذو علم كمن لا يعلم .

١٣ – باب الظلم وأنواعه : هو كالأشقر إن تقدم نُحر وإن تأخر عُقر .

١٤ – باب في مزاري الدهر : من يُر يوماً يُربه ، الدنيا دول ، الدهر ذو نفس .

١٥ – باب النفاق : رُبّ حرّة تحت قرّة .

١٦ – باب الجود والمجد : عند الصباح يَحمدُ القومُ السرى ، ومن لا يذذ عن حوضه يُهدم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٧ – باب السلامة من الزلل : آفة الرأي الهوى ، السعيد من وعظ بغيره ، قبل الرماء تملأ الكنائن

(٧: ١٥١, ١٥٨, ١٥٤, ١٧٠, ١٦٣, ١٤٥, ١٤٤, ١٤٢, ١٧٣, ١٦٦, ١٧١, ١٥١، ١٥٠, ١٥٨)

ويشرح ابن شيث مفردات بعض الأمثال من مثل : «فلان فم القرية» ولا يقال موضع القرية، فم المدينة ، فهي ليست المصطلح المعروف وانما هي بيت النمل . ويبين ارتباط المثل بما يدل عليه (فلان فم القرية إذا كان لا يمسك حديثاً كما أن النمل تخُرج ما في قريتها)(٧: ١٦٩)

ولا نكاد نرى عند المتقدمين إشارة الى نظم المثل إلاّ ما ورد في «مواد البيان» يقول: «والأمثال تقع في النثر والنظم ... وأما ما يقع في النظم فإن أحسن أبيات الأمثال ما اشتمل على ثلاثة أمثال» (٥٦: ٢٤٦)

٢–٩ التفسير :

نجد ابن شيث يدمجه في باب البلاغة ، إذ اعتبر البلاغة هي القرآن الكريم، ومنهجه في التفسير يعتمد على الرأي الشخصي دونما الاتكاء على تفاسير المتقدمين ، فمن ذلك تفسيره للآية الكريمة ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا * وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم * ولكم فيها ما تدّعون نزلاً من غفور رحيم ﴾ سورة فصلت آية (٣١–٣٢)،فيرى أن قوله:﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ دليلٌ على الإباحة ورفع المؤاخذة، لأن الولي كفيل والمكفول لا حرج عليه فيما أباحه الكفيل، وقوله:﴿في الحياة الدنيا﴾ إشارة إلى تسديدهم إلى قولهم ربنا الله واستقامتهم ، ولا بد من ذكر الآخرة التي عليها المُعوّل ، ثم قوله:﴿ نزلاً من غفور رحيم ﴾ بيّن به سبحانه أن ذلك كرامة لهم لأن النّزل هو القِرى ، وقوله:﴿غفور رحيم ﴾ إشارة إلى الصفتين اللتين لا أثر للذنوب معهما ، وإذا رُفعت الإساءة لم يبقَ إلاّ الإحسان . (٧: ٩٠) ونلاحظ أن منهجه في التفسير الربط بين الآيات ، ففي قوله : إشارة إلى تسديدهم إلى قولهم ربنّا الله واستقامتهم ، قد ربط هذه الآية بما قبلها وهي قوله تعالى ﴿إنّ الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكةُ ألا تخافوا * ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ سورة فصّلت آيه (٣٠) ، وإذا قارنا تفسير ابن شيث لهذه الآية مع ما جاء في جامع البيان يقول:﴿ نحن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولياؤكم في الحياة الدنيا ﴾ ذكر أنهم الحفظة الذين كانوا يكتبون أعمالهم ، وعن السدّي : نحن أولياؤكم ، نحن الحفظة الذين كنّا معكم في الدنيا ، ونحن أولياؤكم في الآخرة ، وقوله ﴿ ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ﴾ ولكم في الآخرة عند الله ما تشتهي أنفسكم من اللذات والشهوات ، وقوله ﴿ نزلاً من غفور رحيم ﴾ ، يقول «أعطاكم ذلك ربكم نزلاً لكم من رب غفور لذنوبكم ، رحيم بكم أن يعاقبكم بعد توبتكم» . (١٠٢:٢٤/٧٤) ويذهب صاحب الجامع لأحكام القرآن في تفسير الآية السابقة : أي تقول لهم الملائكة الذين تتنزل عليهم بالبشارة ﴿ نحن أولياؤكم ﴾ ، قال مجاهد : أي نحن قرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قالوا : لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة ، ﴿ ولكم ما تشتهي أنفسكم ﴾ أي من الملاذّ ﴿ ولكم فيها ما تدعون ﴾ أي ما تسألون وتتمنون،ونزلاً أي رزقاً وضيافة) (١٠٣:١٥/٣٥٩) . وهناك آية ذهب الى تفسيرها بخلاف ما جاء عند المفسرين، وذلك في قوله تعالى ﴿ وامرأته قائمة فضحكت ﴾ فقال :«كناية عن الحيض»(٧:٣٤) . فقد جاء في «التسهيل لعلوم التنزيل» (فضحكت قيل معناه حاضت وهو ضعيف ، وقال الجمهور ، وهو الضحك المعروف واختلفوا من أي شيء ضحكت،فقيل سرّوا بالولد الذي بشرت به .... وقيل سرّوا بهلاك قوم لوط ...) . (١٠٤:١٠٩).ويرى الطبري(أن تفسير الضحك بالحيض بعيد عن الصواب ، والأولى بالصواب هو أنه الضحك المعروف سروراً أو تعجباً ، والطبري يوافق في ذلك كلاً من مقاتل والفراء وأبي عبيد . قال الفراء : لم أسمعه من ثقة وقال : فيه تقديم وتأخير ، والمعنى فبشرناها باسحاق فضحكت .) (١٠٢:١٥/٣٨٩-٣٩٤) وإلى هذا يذهب الجامع لأحكام القرآن . (١٠٣:٩/٦٦-٦٧) . ومن هنا نستدل على أن ابن شيث لم يتكيء على أي تفسير سابق أو معاصر ، وإنّما اعتمد على تأويله الخاص .

٢ - ١٠ المستويات اللغوية في كتاب «معالم الكتابة» وفق ما جاءت عند ابن شيث :

١ - القرآن الكريم : اعتبره ابن شيث في قمة المراتب من حيث الاستشهاد ، فنجده قد أورد كمّاً هائلاً من آي القرآن الكريم في الباب الثاني والرابع من كتابه .

٢ - الحديث الشريف : وكان في المرتبة التالية من حيث الاستشهاد به .

٣ - النثر : أورد ابن شيث مقطوعات نثرية ، وهي مقدمة في الاستشهاد عنده على الشعر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ – الشعر : كان في المرتبة الأخيرة من حيث الاستشهاد ، وقد أورد ابن شيث في كتابه مئتين واثنين وسبعين بيتاً من الشعر ، سواء من نظمه أم من نظم غيره . وتراوح الشعراء الذين أورد من شعرهم ما بين جاهلي وإسلامي وعباسي ، إلاّ أن شعراء العصر العباسي كانوا أكثر من استشهد بهم ، وقد ذكرهم بأسمائهم مثل المتنبي ، وأبي تمام ، والبحتري (٧: ١١٠، ١١٢، ١٠٤، ٩٨) أما الآخرون ، فقد عرفناهم من شعرهم ، ومنهم من أورد ذكرهم المحقق . ويمكننا ذكر طائفة منهم : امرئ القيس ، وطرفة ، وزهير بن أبي سلمى، وأوس بن حجر ، ودعبل الخزاعي ، ونُصَيب . (٧: ١٠٧) هامش (١) ، (٧: ١١٧) هامش (٢) ، (٧: ١١١) ، (٧: ١١٠) هامش (٤) ، (٧: ١٠٣) هامش(٤) ،(٧: ١١٥) هامش (١) .

٥ – الأمثال : وقد خصص لها باباً أورد فيه مئة واثنين وستين مثلاً .

٦ – آراء المتقدمين : لم يظهر اعتداده بآراء المتقدمين إلاّ في موضعين : الأول في باب البلاغة حين قال : «جنّس يُجنّس تجنيساً إذا ماثل بين الحروف على أصل ما جاء به الأصمعي في كتاب الأجناس ، لا على حدّ ما جاء به أصحاب المنطق» . (٧: ١٠٢) . والثاني : في الباب الثامن : يقول «وهو مذهب الكوفيين ، وقد صوبه أبو العباس المبّرد وغيره من البصريين ، وقال الخليل بن أحمد ... « . (٧: ١٨٢)

٢ – ١١ المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في تحصيل مادة كتابه :

لم يُشر ابن شيث إلى نقله من مصدر معين ، إلاّ ما جاء في باب الخط (٧: ٧٧) . ويمكننا استشفاف بعض المصادر التي تأثر بها ابن شيث ، وخاصة أنهُ يذكر كلاً من الأصمعي وكتابه الأجناس ، ويذكر قد امة ، وابن المعتز ، والخليل بن أحمد ، وأبا العباس المبرد ، وابن وهب الكاتب . (٧: ٥٤، ١٠٢، ١٨٢، ٣٤) وهذا يدلّنا على تأثره المصادر القديمة التي لا تتجاوز القرن الرابع الهجري ، إلا أن استفادته لم تختص بكتاب بعينه ، أو بكاتب معين ، وانما كان يورد ما اختزنه من ثقافته من خلال اطلاعه عليها سابقاً ، وقد أشار إلى ذلك في مقدمته فقال : «وكله مما كتبته على الخاطر بديهة وارتجالا» . (٧: ٢٤–٢٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢-١٢ منهجه في الكتاب وأسلوبه :

اتبع ابن شيث في كتابه منهجاً تعليمياً ناجحاً عن طريق اتباعه المقولات النظرية بجانب تطبيقي توضيحي ، منه ما جاء في الباب الثامن ، الذي تمثل بحركة التصحيح اللغوي ، وتمثل في إيراده منظومات تعليمية فيما يخص الظاء ، وفيما يكتب بالألف والياء ، ودروساً في الاملاء ، فضلاً عن اتباعه القاعدة أو الجانب النظري بمثال من عنده .

ولقد أشار إلى هذا الجانب التعليمي في مقدمته (فإذا أخذ به الكيّس اهتدى به في أعماله ، ونسج فيما يكتب على منواله ، ورسمتُ له في كل معنى ربما يسبرُ به الكاتب ويمتحن ، ويقيد به ويمتحن ، كتابين جعلتهما له نموذجاً ، وأطلعت له منها شمساً وبدراً يهتدي بهما ، وربما استغنى بهما في ذلك المعنى ، لأن أكثرها يقلّ وقوعُه ، ويحسن موقعه.) (٧:٢٤) إلا أنهما لم يصلا إلينا . ونجد عنده الأمانة العلمية ، فقد ذكر في الباب الثالث أنه نقله من كلام بعض الكتّاب . أما أسلوبه في عرض كتابه، فلم يكن على وتيرة واحدة ، ففي الباب الأول ، عرض المطلب الأول منه بأسلوب أدبي مسجوع ، واستمر حتى نهاية المطلب ، في حين عرض المطلب الثاني بأسلوب تقليدي ، دونما أي اتّباع لسجع أو غيره . وفي الأبواب الخاصة باللغة ، نجد أسلوبه يميل الى الجزالة في اختيار الألفاظ ، ويؤكد على الجزالة بإيراد رسالة نثرية ، ألفاظها تتميز بالصعوبة والعمق . وفي باب التصحيح اللغوي ، يعرض المحتوى بأسلوب سهل بسيط بعيد عن التعقيد عن طريق قوله:هذا خطأ والصواب كذا ، وفي باب الألفاظ التي يقوم بعضها مقام بعض ، وباب الأمثال ، نجده يعرض المحتوى دونما تعقيب أو تعليق .

أما في باب البلاغة فنجده يحصي ما يتعلق بها ، ويرجح ويعقب فيقول : مثلاً : «وأكثر المطبوعين يميلون إلى النوع الثاني ، وهو لعمري حقيق بالميل إليه لبعده عن الكلفة» . (٧:١٠٣-١٠٤) ومثل هذا كثير . ومما نأخذه عليه في منهجه أنه لا يتطرق لذكر آراء تخالفه أو تؤيده ، وإنما يعتمد على ما عنده فقط ، وكذلك نراه لا يتكلم عن الموضوع الواحد في مكان واحد ، بل يوزع كلامه في أجزاء مختلفة ، فالكتاب تتداخل فيه الموضوعات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

كتاب معالم الكتابة ومغانم الإصابة

دراسة مقارنة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

كتاب معالم الكتابة ومغانم الإصابة

دراسة مقارنة

- وضع ابن شيث دعامتين أساسيتين للكاتب الحقيقي وهما التقوى ، والإخلاص . وهو يتميز بهذا التركيز ، إذ نجد من سبقه لا يتطرقون إليهما . وإنما يركزون على أمور أخرى .

ففي «أدب الكاتب» ، يحث على التحلي (بآداب النفس من العفاف والحلم والصبر والتواضع ، وسكون الطائر وخفض الجناح) (٢٠:٥٥) . وفي موضع آخر يذكر «ونحن نستحب لمن قَبِل عنّا ، وائتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه ، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه ، ويصون مروءته عن دناءة الغيبة ، وصناعته عن شين الكذب ورفث المزح».(١٤:٥٥)وجاء في كتاب «الصناعتين» ذكرٌ لما يحتاج الكاتب إلى التسام به وامتثاله في مكاتباته ، فيذكر الأدوات التي يجب على الكاتب أن يُلم بها ويُركز على جانب واحد فيقول : «إنما عملنا في هذا الكتاب لمن استكمل هذه الآلات كلها وبقي عليه المعرفة بصنعة الكلام وهي أصعبها وأشدها» . (١٥٤:٦٣) .وفي «مواد البيان» لعلي بن خلف ، لا يعرض المؤلف للفضائل التي يتحلى بها الكاتب ، وإنما يركز على قوانين الكتابة فيقول : «إنّ علة وضعنا لكتابنا ، رغبتنا أن نصنف كتاباً جامعاً لما تنظمه صناعة الكتابة من العلوم والآداب الخاصة بها ، ليجد من يُعنى بهذه الصناعة جميع ما يروقه من أصولها وفروعها» . (٩٢:٥٦) .أما كتاب «الخراج وصناعة الكتابة» ، فلا نستطيع الجزم بكونه تعرض لذلك أم لم يتعرض نظراً لنقص الكتاب ، إذ يشير المحقق محمد حسين الزبيدي أن الذي بين أيدينا من هذا الكتاب المنازل الأربعة الأخيرة ، أما المنازل الأربعة الأولى ، فلم تصل إلينا . ولعل يد الحدثان قد امتدّت إليها . وقد شملت هذه المنازل المفقودة اموراً في غاية الأهمية (قال قدامة في المنزلة الخامسة : ذكرنا في المنزلة الثالثة أمر البلاغة ، وبيّنا في المنزلة الرابعة وجوهاً من المكاتبات في الأمور الخراجية ، أمّا المنزلتان الأولى والثانية فليس لدينا معلومات عما عالج قدامة فيها.) (١١:١٠٥) .وفي «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» لضياء الدين ابن الأثير ، يقصر المؤلف اهتمامه على(أركان الكتابة .)(٩٦/١:٤٨-١٤٩) وجاء في كتاب «الكتّاب وصفة الدواة والقلم» ذكر آداب الكتّاب دونما الاهتمام بالدعامتين السابقتين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول المؤلف : «اكتم السر ، واصدق الحديث، واجتهد في النصيحة» . (٦٦:١٠٦) .وكان التركيز في «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري على الصفات الشكلية للكاتب كأن(يكون معتدل القامة ، صغير الهامة وغيرها .)(١٢:٦١) .

ويمكننا من خلال ما سبق أن نقول : إنه لا أحد فيمن تناول آداب الكتّاب ذكر صفة التقوى أو أكدّ على فضيلة الإخلاص.وإذ نجد ابن شيث يخص كتمان السر بالذكر في موضعين. (٣٠.٢٨:٧) ، نجد المؤلف في كتاب «صبح الأعشى في صناعة الانشاء» للقلقشندي يعتبرها سمة أساسية بناء عليها يُلقب الكاتب بكاتب السر يقول : «أن يكون من كتمان السر بالمنزلة التي لا يدانيه فيها أحد ، ولا يقاربه فيها بشر ، حتى يقرر في نفسه إماتة كل حديث يعلمه ، ويتناسى كل خبر يسمعه ..... وبها شهر وبالإضافة إليها عُرف كاتب السر أوكاتم السر» (١٠٦/١:١١-١٠٧).

ـ وإذ يعتبر ابن شيث أن انشغال الكاتب برونق الخط يقوده إلى الإطالة ، ويرد خاطره عما هو أهم ، ولو كان متوقداً بالذكاء ، . يذهب في كتاب «الكتّاب وصفة الدواة والقلم» إلى عكس ذلك ، فيرى أنّ (أول الكتابة حسن الخط الذي هو لسان اليد ، وبهجة الضمير ، ولفظ الهمم ، والناطق عن الخواطر ، وسفير العقول ، ووحي الفكرة ، وسلاح المعرفة ، ومستودع السرّ ، وديوان الأمور) . (٦٥:١٠٦) .

ـ ويذكر ابن شيث كتّاب الملوك دونما تعريف لكل منهم وبيان مهامه أو صفاته ، فيذكر كاتب المال ، ويبين وجه انصرافه . وإذا نظرنا في «مواد البيان» ، نجده يعرفه بأنه (هو أمين السلطان على أمواله وعروضه وذخائره) . (٧٩:٥٦) .

ونجد في كتاب «البرهان في وجوه البيان» لأبي الحسين اسحاق بن وهب ما ينبغي أن يكون عليه هذا الكاتب . وهو (أن يكون جيد الفهم ، صحيح الذهن ، عارفاً بأحكام الديوان ، غير جاهل بأحكام الحكّام ، ويكون مع هذا قد عرف أصول الأموال التي تحمل إلى بيت المال واقتسام وجوهها) . (٣٧٦:١٠٧) .

وبالمثل يسوق ابن شيث كلاً من الناظر ، والمشارف ، والعامل ، والجهبذ ، والخازن دون

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعريف . إلاّ أننا إذا نظرنا في «قوانين الدواوين» لابن ممّاتي،نجده يعرّف كلاً منها . (١٠٨: ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٦).

ـ وإذا نظرنا في عرض ابن شيث للدواوين قياساً إلى سابقيه نجد أن الدراسات السابقة ركزت على الديوان من حيث اشتقاق تسميته ، وتطوره كما في «أدب الكتّاب» للصولي (ت:٣٣٥هـ). (٥٨:١٨٧-١٩٦) ، أو ركزت على تسميته وأقسامه كما في «الأحكام السلطانية والولايات الدينية» لأبي الحسين الماوردي (ت:٤٥٠هـ) في الباب الثامن عشر . (١٠٩:١٩٩-٢١٨)، أو تذكر عدداً منها ومهامها كما في كتاب «الخراج وصناعة الكتابة».أمّا ابن شيث فقد أورد عدداً من الدواوين السائدة في عصره كما يلي :

١ – ديوان الإنشاء أو ديوان المكاتبات :

وقد استخدم ابن شيث المصطلحين (٧:٤٦، ٤٨) ، وهذا الديوان قد حمل تسميات مختلفة ، ففي زمن الفاطميين كان يُطلق عليه اسم ديوان الرسائل كما ذكر في «مواد البيان» (٥٦:١٣٢) ، والكاتب في هذا الديوان في زمن الأيوبيين يسمى صاحب الدَّسْت ، وهو متولى كتابة الإنشاء ، كما أشار ابن شيث . (٧:٤٤) .أما بعد هذه الفترة ، فإننا نجد المصطلح يُعمم ليشمل كل الكُتّاب ، وليس واحداً بعينه ، ويُذكر هذا التعميم في كتاب «صبح الأعشى » يقول : « كتّاب الدَّسْت يأتون في المرتبة الأولى من موظفي ديوان الإنشاء ، ويليهم كتّاب الدَّرْج ، وهم الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السرّ أو كاتب الدَّسْت . أمّا في زمن الفاطميين وزمن الأيوبيين ، فكانت تسمية كاتب الدّسْت تعني كاتب السرّ . أورئيس ديوان الإنشاء ، وفي زمن المماليك كان يوجد رئيس لديوان الإنشاء ، وتحته في المرتبة عدد من كتّاب الدَّسْت» . (١١:٥/٤٦٤-٤٦٥).

٢ـ ديوان الجيش :

ذكر ابن شيث تسميته دونما إشارة إلى تكوينه ، وإنما ذكر ذلك في كتاب «صبح الأعشى»، فهذا الديوان (أُنشىء في زمن الفاطميين ، وهو يهتم بكل شؤون الجيش ويضم مجموعة من الكتّاب يسمّون كتّاب الجيش) . (١١:٣/٤٨٨-٥٢١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ . ديوان إقطاع الجيش :

يذكر ابن شيث مهامه وكاتبه .

٤ . ديوان المال :

وذكر ابن شيث مهامه وكتابه وتدرجهم حسب رفعة منازلهم من الأعلى إلى الأدنى . وقد ركز في «قوانين الدواوين» على كتبة هذا الديوان (٣٠١:١٠٨) ، في حين ركّز ابن شيث على كتبة ومعاملاته (فإذا كان للديوان معاملات ولكل نوع منها صاحب ديوان ، فذاك يكتب ما يحتاج إلى كتابته في معاملاته ، وهو أن يحتاج أن يُكتب من ديوان المكاتبات السعيد كتابٌ إلى العالي فلان بكذا وكذا ، ويكتب عليه صاحب الديوان «يؤمل ذلك» ثم يرجع إلى صاحب الدَّسْت ، فإن كان له كتّاب ، كتب على تلك الورقة «يُنجز إن شاء الله») . (٧:٤٤) .

ونجد من خلال ذكر ابن شيث لهذه الدواوين وكتّابها ، أنه قد أعطانا تصوراً عما يجب أن تكون عليه الدواوين في زمنه . وما يجب أن تكون عليه المصطلحات . وذلك من خلال التدقيق عليها في كتابه ، وإظهار الصورة التي تتم المعاملات في كل منها . والروابط فيما بينها .

ولا نكاد نعثر ، حسب اطلاعي ، على دراسة اشتملت على هذا العمل الذي قام ابن شيث في هذا الباب . فقد ركز الباحثون السابقون على جزئيات من هذا الموضوع ، كما في «البرهان في وجوه البيان» ، و«الخراج وصناعة الكتابة» ، و «مواد البيان» ، و «قوانين الدواوين» ، و «الأحكام السلطانية» ، و «أدب الكتّاب» ، و «الصناعتين» ، و «أدب الكاتب» ، و «المثل السائر».

ـ ويذكر ابن شيث أنّ مكان الترجمة قبل البسملة اقتداءً بقوله تعالى : ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ، وتكون بينها وبين البسملة فسحة إذا كانت من الأعلى إلى الأدنى، وتكون بالقرب من البسملة إذا كانت إلى الكبار . (٧:٧٠–٧١) . ومن هنا يظهر أن البسملة ليست بداية الكتاب ، وإنما تسبقها الترجمة ، في حين نجد قبل زمن ابن شيث كانت البسملة موضع التصدير ، فيذكر في «مواد البيان» : «وينبغي للكاتب أن يفصل عن الدرج قدر ذراع ، ثم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يستفتح بسم الله الرحمن الرحيم في سطر أول لأنها أول ما يجب أن يُفتح به». (٥٦:٤٩٢)

أمّا في بداية الدولة الأيوبية ، فكانت التراجم في الكتب السلطانية على جانب العنوان الأيسر ، واسم المكتوب إليه ونعوته إلى الجانب الأيمن ، وعلامة السلطان في السطر الثالث من البسملة في فسحة عن الصدور . ويؤكد ابن شيث ما استقرت صورته في زمنه من أنه يجب ألاّ يضايق العنوان بالترجمة حتى إذا فتح الكتاب انقطعت الترجمة عند الفض ، ويرونه من باب المصارفة . (٧:٥٣، ٧١) .

وإذ نلاحظ من خلال ما سبق ظهور ثلاثة مصطلحات عند ابن شيث هي : الترجمة ، والعنوان ، والعلامة ، ولكل منهم خصوصية وموضع ، نجد في مواد البيان أن المؤلف يذكر «العنوان كالعلامة وهو دالٌ على مرتبة الكاتب من المكاتَب ، فالأصل فيه الإخبار عن اسمي الكاتب والمكتوب إليه ، حتى لا يكون الكاتب مجهولاً » . (٥٦:٤٩٦) .

ويمكننا بناءً على ما ذكر ابن شيث في هذا المجال ، أن نعرّف العلامة بأنها ما يدل على السلطان بصورة اصطلاحية فلكل سلطان علامة .

أما الترجمة فلها مصطلحات خاصة حسب من تضاف إليه ، ولقد فصّلها ابن شيث بصورة دقيقة .في حين أننا إذا نظرنا إلى «التعريف بالمصطلح الشريف» للعمري (ت:٧٤٩هـ)، نجد المؤلف يذكر (فيما يخاطب به المكتوب عنه عن نفسه ، فكتب صلاح الدين بن أيوب الخادم ، وكتب بنوه والعادل أخوه ، المملوك) . (٥٧:٤-٥) .أما في «صبح الأعشى» فيخص فقط (الترجمة عن المكتوب عنه)، ويرد مصطلح الترجمة عنده ولكن ليس مفصلاً كما ورد عند ابن شيث . ونجده ينقل عنه معظم ما يذكره . (١١:٦/٣٤٥) .

وفي الترجمة إلى الديوان الشريف النبوي ، يذكر ابن شيث أنها من ذوي الولايات كلهم «العبد» ، وهي من الملوك كلهم «الخادم» . (٧:٥٥) . أمّا في «التعريف بالمصطلح الشريف» فيذكر في هذا المجال (أما خطاب المكاتب عنه بالعبد أو المملوك أو الخادم ، فاختلف بحسب من كتب عنه ، فكتب صلاح الدين بن أيوب «الخادم» ، وكتب الناصر بن عزيز «أقل المماليك» ، وكتب الناصر بن داوود «أقل العبيد »).(٥٧:٤-٥) ويذكر ابن شيث أن الترجمة إلى الملوك من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأجناد كلهم «المملوك» ، مع النسبة إلى أشهر ألقاب الملك كالناصري للناصر ، والعادلي للعادل . وما جرى هذا المجرى . (٧:٥٥-٥٦) .

وجاء في «صبح الأعشى» أن الذي استقر عليه الحال في زمانه في ترجمة العلامة بالقلم الشريف السلطاني «أخوه» ، ثم «والده» ، ثم الاسم ، وفي حق غيره «المملوك» ثم الإسم ، وربما كتب بعضهم «العبد» بدل الاسم تواضعاً،على أنهم قد اختلفوا في جواز الترجمة بالعبد والمملوك، فذهب بعضهم إلى منع ذلك محتجاً بما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا يقولنّ أحدكم عبدي ، ولا أمتي فكلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ، ولكن غلامي وجاريتي» ، والذي عليه العمل جواز ذلك احتجاجاً بقوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ﴾ . (١١:٦/٣٤٨) .

ويذكر ابن شيث فيما يلي . «المملوك» مراتب تتدرج إلى ما دونه : فأما ما دون المملوك في الخضوع «عبده وخادمه» ، ودون ذلك «العبد» ، ودون ذلك «مملوكه» ، ودون ذلك «العبد الخادم» ، ودون ذلك «الخادم» ، ودون ذلك «عبده» ، ودون ذلك «خادمه» ، ودون ذلك «عبده وأخوه» ، ودون ذلك «أخوه» ، ودونه «شاكر تفضله» ، ويليها «شاكر إحسانه» ، ويليها «شاكر مودته» ، ودونه «وليّه وصفيّه» ، ويليها «شاكره» ، ويليها ذكر الاسم ، ويليها العلامة ، وأما «أصغر المماليك» وما يجرى مجراها فلا تليق للأجانب . (٧:٥٦) .

وإذا تأملنا هذا الترتيب عند من سبق ابن شيث نجد في «صبح الأعشى» نقلاً عن «ذخيرة الكتّاب» لابن حاجب النعمان المتوفى (٤٢٣هـ) أنه جعل أعلاها بالنسبة إلى المكتوب عنه أن يكتب اسمه ودونه «صديقه» ، ودونه «محبه» ، ودونه «شاكره» ، ودونه «أخوه» ، ودونه «عبده» ودونه «خادمه» ، ودونه «عبده وخادمه» ، ودونه «العبد» ، ودونه «مملوكه» ، ودونه «المملوك» . (١١:٦/٣٤٦).

أما بعد عصر ابن شيث ، فنجد القلقشندي يورد : «ورأيت في دستور صغير يعزى للمقر الشهابي بن فضل الله العمري، أن أكبر الآداب في اسم المكتوب عنه بالنسبة إلى المكتوب إليه «المملوك» ثم «المملوك الرّق» ، ثم «المملوك الصغير» ، ثم «المملوك المحب» ، ثم «المملوك الداعي» ، ثم «مملوكه ومحبه» ، ثم «الخادم» ، ثم «خادمه» ، ثم «أخوه» ، ثم «محبه» ، ثم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«شاكره» ، ثم «الفقير الى الله تعالى» . (٦:١١/٣٤٦-٣٤٧) .

ومن خلال هذا التتبع للمصطلح ، نجد أنه لم يثبت على مر العصور ، وإنما كان متغير الترتيب من فترة لأخرى ، ولقد أعطانا ابن شيث من خلال ما ذكره من رتب في الترجمة صورة جامعة عن المصطلحات في عصره .

وفي ترجمة السلطان للفقهاء والقضاة يذكر ابن شيث أنه لا حرج في الترجمة لهم «بأخيه وولده» ، ومن الناس من يقول:«أخاه» محل «ولده» ، خشية البعد في هذا المجاز ، وهو أحسن وذلك لأن الأخوّة لا حرج فيها لقوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ . (٥٨:٧)

هذا ما اصطلح عليه في نهاية الدولة الأيوبية ، أما فيما بعد هذه الفترة ، فيذكر صاحب «التعريف بالمصطلح الشريف» أن الذي اصطلح عليه أن الترجمة للفقهاء بأخوه ، ومن دون ذلك الاسم الشريف يقول : «أما الغرباء كملوك المسلمين والعربان وأكابر القضاة وأهل الصلاح، والأكابر ، فترجمته بالخط الشريف «أخوه» ، ومن دون ذلك «الاسم الشريف» . (٥٧:٥) .

هذا وجاء في صبح الأعشى أن الذي استقر عليه الوضع فيما بعد الدولة الأيوبية أنّ الترجمة لأكابر الأمراء من النواب وغيرهم «أخوه» لرفعة مكان الأخ على الولد ، ولمن دونه «والده» ، ولمن دون ذلك الاسم وباقي الحال على ما ذُكر . (١١: ٨/٢٣) .أي ما ذكره ابن شيث لأنه نقل عنه ، من هنا نستدل على التوافق في الترجمة للفقهاء عند ابن شيث ، وما جاء في «صبح الأعشى» .

ـ ويورد ابن شيث ما يجب أن يكون عليه حال المخاطبة ، فيرى أن الذي يخاطب به الديوان النبوي الطاهر ، المواقف الشريفة ، والأعتاب العالية ، ومقرّ الرحمة ، ومحل الشرف . (٥٨:٧) .ونجد ابن شيث أحياناً يطلق عليه الديوان الشريف النبوي ، وتارة الديوان النبوي الطاهر . (٥٨,٥٥:٧) .كناية عن ديوان الخلافة ، وهذا المصطلح قد تغيّر بعد عصر ابن شيث فقد ذكر في «التعريف بالمصطلح الشريف» مصطلحات اخرى يخاطب بها الديوان الشريف يقول : «ويخاطب الخليفة في أثناء الكتاب بالديوان العزيز وبالمواقف المقدسة ، والأبواب الشريفة ، والباب العزيز ، والمقام الأشرف ، والجانب الأعلى أو الشريف ، وبأمير المؤمنين مجردة عن سيدنا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومولانا ، ومرة غير مجردة مع مراعاة المناسبة» . (٤:٥٧) .

أما ما يخاطب به السلطان فهو «المقام ، والمقر الأشرف» . والوزراء «الجناب العالي» ، و «المحل السامي» ، ومن دون ذلك «المجلس السامي» . (٥٩:٧) .

وعلى حين يعتبر ابن شيث المقام والمقرّ درجة واحدة يخاطب بها السلطان ، نجد في «التعريف بالمصطلح الشريف» تدرجاً في هذه المصطلحات فيجعل أعلاها المقام ، ثم المقر ، ثم الجناب ، ثم المجلس ، ثم مجلس الأمير أو الشيخ . (٨٧, ١٨, ١.٧:٥٧) .

ويحدد في «صبح الأعشى» لمن تصرف هذه الألقاب الأصول ، فيذكر أن المقام بفتح الميم، هو من الألقاب الخاصة بالملوك والمقرّ بفتح الميم يختص بكبار الأمراء وأعيان الوزراء وكتّاب السر ومن يجري مجراهم ، والجناب لمن دونهم ، ثم المجلس ، وهو من ألقاب أرباب السيوف والأقلام، وربما لُقّب به بعض الملوك في المكاتبات السلطانية ، على أنه في الدولة الأيوبية لا يلقب به إلاّ الملوك ومَنْ في معناهم ..... ثم الحضرة والمراد بها حضرة صاحب اللّقب،وتستعمل الآن في المكاتبات الصادرة عن الأبواب السلطانية إلى بعض الملوك ، ويقال فيها «الحضرة الشريفة العالية»، و«الحضرة الكريمة العالية» ، و «الحضرة العالية» بحسب ما تقتضيه الحال . وتستعمل كما ذكر في «صبح الأعشى» في مكاتبات ملوك الكفر . ويقال فيها «حضرة الملك الجليل» ، وقد تستعمل في الولايات في نحو ما يكتب للبطرك «حضرة البطرك» . (٤٩٣/٥:١١-٤٩٩) .أمّا ابن شيث فيرى أن «الحضرة» مما يُكتب بها لأعيان الدولة من الوزراء وغيرهم . (٦٠:٧) .

ويذكر القلقشندي أنه على حين نجد الجناب موجوداً في مكاتبات القاضي الفاضل بقلّة ، فقد ذكره ابن شيث في مصطلحات الدولة الأيوبية . (٤٩٨/٥:١١-٤٩٩) ، مما يدلّ على تغير وضع الكتابة في مصطلحاتها من بداية الدولة الأيوبية حتى نهايتها . ويحدّد القلقشندي الألقاب التي تلي الألقاب الأصول . وهي المقام والمقر والجناب والمجلس(فالأشرف يلي المقام والمقر ، والشريف يلي المقام والمقر والجناب ، والعالي يلي المقام والمقر والجناب والمجلس ، والسامي يلي المجلس خاصةً)(١١٥/٦:١١-١١٦) .

ويذكر ابن شيث أن المقام لا ينعت بالسامي بل بالعالي . (٧٣:٧) . يتبين لنا من خلال ما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبق ، أن التصنيف الذي يورده ابن شيث هو ما كان الأمر عليه في أيامه ، وهذا التصنيف اختلف عما كان سائداً في بداية الدولة الأيوبية ، وذلك من خلال ما ذكره ابن شيث ، وقد اختلف هذا التصنيف فيما بعد زمن بني أيوب وذلك من خلال ما ذكره صاحب «التعريف بالمصطلح الشريف» و « صبح الأعشى» .

ويذكر ابن شيث فيما يكتبه السلطان إلى ولده ، إذا كان مستخلفاً في المُلك «بالمجلس» دون المقام ولاحرج في ذلك ، فقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن يوسف بمثل ذلك بقوله : ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا﴾ . والمُلك هو لله تعالى . (٧:٦٠-٦١) .ويذكر القلقشندي في هذا المجال ، أن الألقاب التي يكتب بها السلطان لولاة العهد بالسلطنة هي المقام العالي ، العالمي، العادلي الفلاني بلقب المُلك واللقب المتعارف عليه . (١١:٧/١٢٥) .

ولا يخاطب السلطان في خلال الكتابة إليه«بسيدنا .مكان مولانا» ، فإن سيدنا كأنها خصيصة بأرباب المراتب الدينية والديوانية ، ومولانا تخص السلطان وحده ، وإن كان ذلك مخالفاً لمذهب أهل الغرب ، لأنهم يسمون ولاة أمورهم السادة وصاحب الأمر سيدنا فلان . (٧:٦٦) .

ويعقب في «صبح الأعشى» على ذلك القول من ابن شيث بعد إيراده بقوله : «وكأن هذا كان في زمانه ، وإلاّ فالمعروف عند أهل المغرب والأندلس الآن التعبير عن السلطان بالمولى ، يقول أحدهم مولانا فلان ، وأهل مصر الآن «يطلقون السادة» على أولاد الملوك .» (١١:٦/٣٠٥).

نستدل من خلال ما سبق أن ابن شيث ملم بطرق مكاتبة أهل المغرب ، كما كان ملمّاً بمكاتبات أهل المشرق .

وفي مخاطبة السلطان بنون الجمع ، يؤكد ابن شيث على أنه لا يكتب عن السلطان إلى أحد مما هو تحت أمره إلاّ بنون الجمع فإنها تخصّ ذوي التعاظم : قال الله تعالى ﴿ حتى إذا حضر أحد هم الموت قال ربي ارجعون ﴾ فدعاه دعاء المفرد لأنه لا يمكن المشاركة له في ذلك الاسم ، وسأله سؤال الجماعة لمكان العظمة . وقد أخذ كتّاب المغرب بهذا مع ولاة أمورهم . فخاطبوا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواحد مخاطبة الجمع وقالوا «أنتم» ، و «فعلتم» ، وما أشبه ذلك . وهذا غير مأخوذ به عند غيرهم . (٧:٦٣ – ٦٤) إلاّ أننا إذا نظرنا إلى ما قبل عصر ابن شيث نجد ابن قتيبة ينبه الكاتب إلى مراعاة مقام المخاطب فيقول : « ولا يفرقون بين من يكتب إليه» وأنا فعلت ذلك ، وبين من يُكتب إليه «ونحن فعلنا ذلك» . و «نحن» لا يكتب بها عن نفسه إلاّ آمرٌ أو ناهٍ ، لأنها من كلام الملوك والعلماء . قال الله جل ثناؤه : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ﴾ . (١٨:٥٥) . وإلى ذلك أشار العسكري فقال : «ففرق بين من تكتب إليه أنا أفعل كذا ، وبين من تكتب إليه نحن نفعل كذا ، فأنا من كلام الإخوان والأشباه ، و «نحن» من كلام الملوك . (١٥٩:٦٣) .ويذكر في «مواد البيان» : «الخطاب يجب أن يكون فيها على أقدار المخاطبين ومراتبهم في الدولة» . (٥٦: ٤٩٤) . ومن هنا نرى أن المخاطبة بنون الجمع ملتزم بها في مختلف العصور . وهذا يتنافى مع ما ذهب إليه ابن شيث من تخصيص كتّاب المغرب بهذا . ولقد استمر ذلك بعد عصر ابن شيث ، فيذكر في «صبح الأعشى» : أن الأمر في ذلك مستمر عندهم إلى الآن» . (١١:٦/٣٠٢) .

ويذكر ابن شيث ما ينبغي أن يكون عليه الدعاء ، وينبّه على ما يجب التجنب فيه ، في حين نجد في مواد البيان أن المؤلف يذكر أنه : «ينبغي أن تكون الأدعية دالة على مقاصد الكتّاب، فإن كان في الهناء كان بما راجت معرفته ، وإن كان في العزاء كانت مشتقة من وصفه ..... وكانت عادتهم جارية أن يتجنبوا من الأدعية ما لا محصول له كقولهم : جعلني الله فداك ، وقدمني إلى السوء دونك لما في ذلك من التصنع والتملق الذي لا يرضاه السلطان» . (٥٦:٥٠١).

ومما يذكره ابن شيث في مجال الدعاء للسلطان ، أن يكون «بلا زال ولا برح» ، وكذلك لأعيان الدوله ، إلاّ أن للسلطان اختصاصاً بألفاظ قد اصطلح عليها مثل «أعز الله نصره» وخلّد ملكه وضاعف اقتداره» . وأما غير هذا ، فقد يتنزل فيه معه أعيان من يكتب إليه من دولته ، ولا يكتب عن السلطان إلى أحد ممن في ممالكه «بلا زال ولا برح» إلاّ أن يكون الكتاب عنه إلى مثله من الملوك . (٧:٦١) .

وهذا الدعاء يختلف عما عهد قبل زمن ابن شيث فقد ذكر في مواد البيان : «وجعلوا أول مراتب الدعاء إطالة البقاء ، ثم إطالة العمر ، والفرق بينهما أن البقاء لا يدل على مدة تنقضي ، لأنه ضد الفناء ، والعمر يدل على مدة تنقضي ، لذلك يوصف الله تعالى بالبقاء ولا يوصف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالعمر ، ومن هنا اقتصر على الدعاء للخلفاء بإطالة البقاء وجعل ما يليه لمن دونهم» . (٥٦:٥٠٠).

وفيما بعد عصر ابن شيث نجد «صبح الأعشى» يذكر أنه قد تمت الكتابة عن السلطان إلى أحد من ممالكه «بلا زال ولا برح» ، وذلك لأكابر النواب ، كما كتب به أكابر الدولة بعضهم إلى بعض . وعلى حين اختص الدعاء «أعزّ الله نصره» بالسلطان عند ابن شيث ، نجد فيما بعد أن الدعاء بعز الأنصار،وعز النصر،ومضاعفة النعمة ومداومتها،وما شاكل ذلك،يأتي في المكاتبة إلى الأمراء . أما الدعاء للملوك فيكون بإطالة البقاء ودوام السلطان وخلود الملك وما أشبه ذلك، وللوزراء وأرباب الأقلام يكون الدعاء بسبوغ النعماء وتخليد السعادة ودوام المجد . (١١:٦/٢٨٥،٢٨٧) ومن هنا نلاحظ عدم استقرار المصطلحات الخاصة بالكتابة وتغيرها من عصر إلى عصر .

ويستثني ابن شيث من جواز ما يكتب عن السلطان إلى أحد ممن في ممالكه «بلا زال ولا برح» ، ولده ، إذا كان نائباً عنه في الملك فلا حرج في الدعاء له بما تقدم . أما إذا كان الدعاء من الأعلى للأدنى فلا يكون «بلا زال ولا برح» ، ويشير ابن شيث أن هذه الأمور لم تكن معروفة للناس من قبل ، أما في وقته فاصطلح عليها حتى صار الإخلال به منقوداً على المُخل . (٧:٦١) .

ـ ويعتبر ابن شيث الألقاب والنعوت شيئاً واحداً ، يؤكد ذلك قوله : «ولا يُكثر في مكاتبة السلطان من نعوته إلاّ في الأشياء التي تكون فيه مثل:العالم العادل الصالح ، وأما غير ذلك فيقنع باللقبين المشهورين أحدهما نعته المفرد ، والثاني نعته المضاف إلى الدين ..... ولا يُبتديء بالنعت المضاف إلى الدين لكنه يكون متوسطاً بين الألقاب» . (٧:٦٥) .

وقبل عصر ابن شيث نجد لكل من النعت واللقب مدلولاً خاصاً فجاء في «ذخيرة الكتّاب» : «وهو متفق على أنه – أي النعت – ما يختاره الرجل ويؤثره ويزيد في إجلاله ونباهته بخلاف اللقب» . (١١:٥/٤٣٨) .

أما بعد عصره ، فلقد اعتُبر كلاهما شيئاً واحداً (فقد اصطلح الكتّاب على أن يسموا صفات المدح التي يوردونها في صدور المكاتبات ونحوها بصيغة الإفراد . كالأمير والأميري ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأجلّ والأجلي ونحو ذلك ألقاباً ، وصفات المدح التي يورد ونها على صورة التركيب كسيف أمير المؤمنين ، وظهير الملوك والسلاطين ونحو ذلك نعوتاً ، ولا معنى لتخصيص كل منهما بالاسم الذي سموه به إلاّ مجرد الاصطلاح ولا نزاع في إطلاق اللقب والنعت عليهما باعتبارين: فمن حيث أنها صفات مؤدية إلى المدح يطلق عليها اسم اللقب ، ومن حيث أنها صفات لذوات قائمة بها يطلق عليها اسم النعت .)(١١:٥/٤٣٩) .

وفي الكتابة عن السلطان إلى من دونه فالنعوت فيها معتبرة لأنها على سبيل التشريف من السلطان ، وكلما زيد في ذلك كان أميز في حق المكتوب إليه ، ولا يذكر له في النعوت المضافة إلى الدين إلا نعت واحد ، فلا يقال «فلان الدين» ، ثم بعد نعوت أخرى يقال «فلان الدين» ، وإن اختلفا في المعنى ، ولا يُبتدأ بالنعت المضاف إلى الدين ولكنه يكون متوسطاً بين الألقاب ، ولا يُبتدأ بالنعوت المعتبرة ثم تتبع بما دونها بل يكون الأميز تالياً لما دونه . (٧:٦٥) ولقد جاء في «صبح الأعشى» أن النعوت المضافة إلى الدين لها جهات معينة تنصرف إليها ، منها ألقاب تطلق على الجند ..... وألقاب تطلق على أرباب الأقلام (١١:٥/٤٨٩)

وقد اتفق الكتّاب على(أن يضيفوا في نعوت كل أمير «عمدة الملوك والسلاطين ، عِزُ الإسلام . أو نصرة الإسلام أو فارس المسلمين ، أو ما شابه ذلك من غير ضبط ، ولا تخصيص لأحد دون الآخر إذا أحرزوا النعت الذي اشتهر به المكتوب إليه ، ولا يذكر اسم المكتوب إليه في دَرْج الكتاب بخلاف مذهب أهل الغرب في الكتابة)(٧:٦٥-٦٦) . ولقد فصّل «صبح الأعشى» في أمور انفرد بها كتاب الغرب عن أهل المشرق «منها أن أهل الغرب انفردوا عن كتّاب المشرق وكتّاب الديار المصرية بأمور منها:أن المخاطبة تقع للمكتوب إليه بميم الجمع مع الانفراد ، كما تقع الكتابة عن المكتوب عنه بنون الجمع مع الانفراد ، ومنها أنهم يلتزمون الدعاء بمعنى الكتابة عند قولهم :كتبنا ، أن يقال : «كتبنا إليكم كَتَبَ الله لكم كذا» ، ومنها أنهم يترضّون عن الخليفة القائمين بدعوته في كتبهم ، ومنها أنهم يذكرون اسم المكتوب إليه في أثناء الكتاب وباقي مكاتباتهم على نحوٍ من مكاتبات أهل الشرق والديار المصرية وكتبهم تختم بالسلام غالباً ، وربما فتحت بالدعاء ونحوه .)(١١:٧/٣٠) .

ويذكر ابن شيث النعوت المفردة التي تخص السلطان وهي : «السيد الأجلّ» ، وكان الأجلّ من النعوت المحظورة على غير الوزير من أرباب المناصب ، ثم انخرم الأمر فيها حتى نُعت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بها كلّ الناس ومكانها بعد ذكر العلو والسمو . وبعض الناس يرى أن تكون بعد ذكر الإمرة والقضاء ، وكلاهما مستعمل)(٦٦:٧) ويعقب القلقشندي على هذا النعت الأجلّ – فيقول : على أن هذا اللقب في الدولة الفاطمية كان هو أعلى الألقاب وأرفعها حتى قال ابن شيث في «معالم الكتابة : إنه محظور على غير الوزير ، وقد كانت الوزارة في زماننا بمثابة السلطنة في زماننا ، فتصرف فيه الكتاب حتى استعملوه في أدنى الرّتب.» (٦/٦:١١) . واحتمل هذا النعت أكثر من وجه في العصر الذي تلى الدولة الأيوبية ، فيذكر في «صبح الأعشى» أنه في الاصطلاح من ألقاب السلطان كما يقال : السلطان السيد الأجل ، ويكون من ألقاب السامي بغير ياء فما دونه فيقال : «السامي الأمير الأجل» ونحو ذلك ، وهو ما ينكر على كتّاب الزمان لاستعماله في الأعلى والأدنى،والأجلي نسبة إليه للمبالغة(٦/٦:١١) .

ـ ويذكر ابن شيث أن العادة التي تعارف الناس اليوم عليها أن تبدأ المكاتبة بالتحية والسلام للديوان النبوي ثم يُدعى له بما يليق بذلك المحل الشريف)(٦١:٧)،ويعلل صاحب التعريف سبب مخاطبتهم بالديوان،الخضعان عن مخاطبة الخليفة نفسه ويكون الدعاء للديوان بما فيه معنى دوام العزّ والسلطان وبسط الظل)(٥:٥٧) ويتوافق ذلك مع ما استقر عليه الحال فيما بعد. فجاء في «صبح الأعشى» أنهم قد كانوا يبتدئون المكاتبة إلى الخلفاء ببغداد في الدولة الأيوبية بالديار المصرية بالسلام في بعض الأحيان ، وعلى ذلك استقرت المكاتبة عن الخليفة الآن)(٣٣٨/٦:١١) .

ـ ويذكر أن الدعاء على الأعداء في صدور الكتب ، هو من عوائد الأدنى للأعلى ومنه «وقصم وأذل وقهر» ويكون للمماثل وللمقارن أيضاً . أما من الأعلى إلى الأدنى ، فلم يكن ذلك معروفاً عند المتقدمين ولاسيما إذا كان الكتاب عن السلطان ، ولكن قد أُفلت الحبل اليوم في ذلك (٧٣:٧) . أما فيما قبل عصر ابن شيث ، فيذكر صاحب «مواد البيان» : و «أما رتب الأدعية ، فليست له قوانين تحصره ، إلاّ أن المستعمل في المكاتبات الصادرة عن الخلفاء ألاّ يدعى لأحدٍ من كبير ولا صغير في التصدير ، وأن يُعرف الدعاء المرسوم لكل من المخاطبَيْن باسمه في العنوان ، أما كتب الوزراء ، فتضمّن صدورها،وعُنوا من الأدعية ما يليق بالمكاتبين وتوجيه مراتب المخاطبين»(٥٠١:٥٦–٥٠٢) .

ـ والتحميد في أوائل الكتب لا يكون إلا في الكتب المكتوبة عن السلطان ، وعليه فإن عظمة الكاتب أن يكرر التحميد ثانية وثالثة في الكتب ، ثم يذكر الشهادتين ويصلي على محمد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول : «أما بعد» (٧:٧٢).والتحميد قد درج عليه الكتّاب،فيذكر في «الصناعتين» عن الابتداء بالحمد : وانما افتتح الكلام بالحمد لأن النفوس تتشوق للثناء على الله تعالى والافتتاح بما تتشوق النفوس إليه مطلوب)(٦٣:١٥٦) . أما بعد عصر ابن شيث ، فإن سائر المكاتبات والولايات المفتتحة بغير الحمد ، فإنما حذف منها الحمد استصغاراً لشأنها ، إذ كان الابتداء بالحمد إنما يكون في أمر له بال ، وربما أتى الكاتب بالحمد بعد البعدية ، فكتبوا أما بعد حمد الله،أو أما بعد فالحمد لله . فأما الصيغة الأولى فالحمد مقدمٌ فيها معنىً ، وإن لم يذكر لفظاً لأن قوله أما بعد حمد الله ، يقتضي تقدم الحمد لة .

(أما الصيغة الثانية ، فإنها تقتضي تقدم شيء على الحمد ، ولا شك أن المقدم هو البسملة) (١١:٦/٢٥) . ومن خلال المقارنة ،يتبين لنا أن عصر نهاية الدولة الأيوبية خص التحميد في أوائل الكتب الواردة عن السلطان في حين بعد عصر ابن شيث ، أصبح التحميد أمراً معمماً على جميع المكاتبات كما يستفاد مما جاء في «صبح الأعشى» .

- ويذكر ابن شيث في العنوان أكثر من تسمية فيقال «عُلوان» من العلانية للإعلان به و «عُنوان» مأخوذ من العَن وهو الإعراض . (٧:٧١) .

أما في «صبح الأعشى» فيذكر أن في العنوان سبع لغات وهي : عُنوان ، وعُنيان ، وعِنيان، وعُلوان ، وعَلوان وعِلوان ، وعِليان . قال واختلفوا في اشتقاقه،فمن قال «عنوان» جعله مأخوذاً من العنوان بمعنى الأثر ، لأن عنوان الكتاب أثر بيان ممن هو ، وإلى من هو ، وزعم بعضهم أن العنوان مأخوذ من قول العرب : عنتْ الأرض تعنوا ، إذا أخرجت نباتها ، وأعناها المطر إذا أظهر نباتها ، وقيل هو مأخوذ من عَنَّ إذا عرض وبدا ، ومن قال «عُلوان» أبدل النون لاماً كما في صيدلانيّ ، وصيدناني ، فيكون الاشتقاق واحداً ، وهو من العلانية لأنه خط ظاهر على الكتاب، ومن قال عُنيان ، وعِنيان جعله من عنيت فلاناً بكذا إذا قصدته (١١:٦/٣٤٨-٣٤٩) . ولا يعّرف ابن شيث ما قصده بالعنوان ، مما يدل على أنه ربما بقي على اصطلاحه السابق ، وإلا لذكره شأن باقي الإصطلاحات التي تغيرت . وإذا نظرنا فيمن عرّف العنوان سابقاً نجد في «مواد البيان» والعنوان كالعلامة وهو دال على مرتبة المكتوب إليه من المكتوب عنه ، والأصل فيه الإخبار عن اسمهما حتى لا يكون الكتاب مجهولاً ، والمراد أنه يكتب فيه «من فلان إلى فلان» أو «لفلان من فلان» (٥٦:٤٩٦) . وينبه ابن شيث على أنه لا تجوز(عنونة الكتاب قبل أن يكتب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السلطان عليه ترجمته أو علامته.(٧:٦٩-٧٠) . ومن خلال العبارة الأخيرة يتبين لنا أن الترجمة والعلامة عند ابن شيث بمعنى واحد ، بخلاف ما ذكره صاحب «مواد البيان» من أن العلامة كالعنوان .

ـ هذا ويذكر ابن شيث أنه لم يعرف الناس ترك الكتب مفتوحة بأيدي متنجزيها ، إلا أن يكون بإطلاق مال ، لأن كرم الكتاب ختمه ، ولا أكرم من كتب السلطان . (٧:٧٠) .

ويذكر في «مواد البيان عن الختم أن كتب العرب لم تزل منشورة غير معنونة ، ولا مختومة حتى كتب عمرو بن هند للمتلمس إلى عامله كتاباً يأمره فيه بقتله ، فقرأه ولم يوصله فختمت العرب بعد ذلك كتبها .(٥٦:٤٩٩)ويذكر القلقشندي في ختم الكتاب : فالختم مصدر خَتَمَ ، يقال خَتَمَ الكتاب يختمه ختماً، ومعناه الطبع ومنه قوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ والمراد شدّ رأس الكتاب والطبع عليه بالخاتم حتى لا يطلّع أحد على ما في باطنه حتى يفضه المكتوب إليه ... ويقال:إن في ختم الكتاب تعظيماً للمكتوب إليه ... وقد قيل إن أول مَنْ ختم الكتاب سليمان عليه السلام (١١:٦/٥٣٢-٣٥٣) . أما طريقة الختم في عصر الدولة الأيوبية ، فلم يذكرها ابن شيث ، ولكن نبه عليها القلقشندي،فذكر أنه قبل عصره كانت الكتب السلطانية تختم بسحاءة* ويُطبع عليها بطين أحمر يؤتى به من سيراف ، وتختم بخاتم كما تختم المغاربة الآن ، أما الآن فقد استقر الحال على أن الكتب تلصق بالنشا أو ما في معناه من الكثيراء ونحوها . (١١:٨/٢٤) .

ـ ويوسع بين السطور في الكتب من السلطان حتى يكون بين السطرين مقدار ثلاث أصابع أو أربع . أما فيما يكتب إلى السلطان ، فلا يكون ما بين السطور أكثر من مقدار إصبعين (٧:٦٤).

أما ما استقر عليه الحال بعد عصر ابن شيث ، فيذكر القلقشندي أن يكون سعة ما بين السطور بمقدار نصف بيت العلامة ، وأما بيت العلامة فيكون مقدار نحو شبر في كتب السلطان أما في غيره ، فيكون نحو ثلاثة أصابع أو أربع (١١:٦/٣١٤) .

ـ وتطول طُرّة الكتاب إذا كانت من الأعلى إلى الأدنى ، وتكون متوسطة من الأتباع (٧:٧٠) . وفيما بعد عصر ابن شيث اصطلح على أنه في المكاتبات الصادرة عن السلطان ، تكون الطرة فيها ما بين ثلاثة أوصال إلى وصلين ، ومن النوّاب وصلاً واحداً ، ويقصد بالطرة كما

* السحاءة : ما انقشر من الشيء كسحاءة النواة وسحاءة القرطاس ، والمسحاة المجرفة (٣٢: مادة سحا) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذكر القلقشندي «الهامش»،ويحدد القياس الذي يضبط به سعته بأن(يكون مقدار سعة الهامش كما ذكر بعض فضلاء الكتاب ثلث عرض الدّرج المكتوب فيه)(١١:٦/٣١٤) .

ـ ويذكر ابن شيث(أنه لا يُفرّق بين السجع في كتاب الأدنى إلى الأعلى،وذلك أليق بما يكتب عن السلطان ، ولا سيما في المناشير وما شاكلها ويعتبر أن من يسقط له السجع ، يكون أدنى مرتبة)(٧:٧٢) . ويفصّل القلقشندي في هذا الميدان ويحدد ، فيرى أن الكتب الصادرة عن الأبواب السلطانية ، إن كانت إلى أحد من عظماء الملوك لبلاد الشرق أو ملوك الغرب ونحوه ، ممن يتعانى البلاغة في الكتب الصادرة عنه ، كُتبت مسجوعة كلها ، وإن كانت إلى صغار الملوك والحكام كُتبت غير مسجوعة ، وإن كانت إلى أحدٍ من أهل المملكة ، فإن كان في أمر يحمد وقوعه كالكتابة بالبشارة بفتح أو غيره ، كُتبت مسجوعة والإ كُتبت مرسلة غير مسجوعة . إلا أنه يذكر أن بعض المتأخرين ذكر أن الكتابة بالسجع نقص في حق المكتوب إليه ، وأنه لا يكتب به إلا من الأعلى للأدنى ، إلا أن الذي جرى عليه مصطلح كتّاب الزمان تخصيصه ببعض الكتب دون بعض من الجانبين .)(١١:٦/٣٠٧) .

– أما شكل الخط ،(فالخط الغليظ والحروف الكبار لا يكتب بها الأدنى إلى الأعلى ، فإنها مظنة التفخيم في حق الكاتب ، وهو من أشراط كتابة الأعلى للأدنى ، ولا سيما من أصحاب الدواوين إلى اتباعهم والمتصرفين عن أمرهم)(٧:٧١).ويذهب القلقشندي إلى الشيء نفسه إذ يرى أن الخط كلما غلظ واتسعت السطور ، كان انقص في رتبة المكتوب إليه .)(١١:٦/٣١٤) .

– وفي(طي الكتاب يذكر ابن شيث أنه إذا كان عن السلطان ، يكون عريضاً عرض أربع أصابع ، وكذلك من العلية إلى من دونهم ، أما من الأدنى إلى الأعلى ، فلا يتجاوز الكتاب عرض إصبعين)(٧:٧٠) . ولا يذكر ابن شيث طريقة الطي في حين يوردها القلقشندي وهو أن يُلفّ بعضه على بعض لفاً خاصاً ، والطي في اللغة النشر ، ويقال طوى الكتاب يطويه طيّاً ، ومنه قوله تعالى ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ﴾ والترتيب في ذلك ، أن تكون الكتابة إلى داخل الكتاب ، لأن المقصود صون الكتاب فيه .

(وللناس في صورة طيّه طريقتان : الأولى ، أن يكون لفه مدوراً كأنبوبة الرمح ، وهي طريقة كتّاب الشرق من قديم الزمان إلى الآن . والثانية ، أن يكون طيّه مبسوطاً في قدر عرض أربع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصابع مطبوقة ، وعلى ذلك كان الحال جارياً في الدولة الأيوبية بالديار المصرية ، وقد ذكر عبد الرحيم بن شيث من كتّاب دولتهم ذلك ، وهذا يُظهر أن الطي يكون عريضاً لا مدوراً ، وهي طريقة أهل المغرب والروم والفرنج) (١١:٦/٣٥٢) .

ـ وينبه ابن شيث على أن الشكل والنقط لا يليق أن يكون في الكتب التي تكتب عن السلطان لمن دونه ، فأما ما يكتب إلى السلطان فلا بأس بإيضاحه له بكل وجه خطاً وشكلاً في الأمكنة التي تُبهم ، لا في كل مكان وفي موضع آخر ، يرى أن الأصل غير منخرم في أن الشكل والنقط من وظائف الأدنى للأعلى فيما لا يهجم على الخاطر العلم به سواء أكان للسلطان أم من دونه من أعيان كتابه وأماثل دولته)(٧:٦٩) .وبعد عصر ابن شيث ينحو الشكل والنقط منحيين ، فبعضهم يذهب إلى الترغيب فيه لما فيه من التحديد والضبط ، وبعضهم يذهب إلى كراهته) (١١:٣/١٤٩ـ١٥٧) . أما ابن شيث ، فقد كان وسطاً ، إذ جعله يجوز في موضع معين ، ولا يجوز في آخر ، وهو بهذا يعطي صورة لما كان معهوداً في عصره . ويبين ابن شيث أنه لا يجب أن يكثر الشكل والنقط على الألفاظ المشهورة ، إلاّ أن تكون في كتابة سجل أو منشور ، فإن ذلك يجوز في مثله . أما الكتّاب فكانوا يستقبحون ذلك فيما بينهم ، ويراه من يُستعمل معه تنقصاً له وغضّاً من معرفته ووضعاً من قدره) (٧:٦٨) .

ـ وفي تأريخ الكتب يذكر ابن شيث أن الكتب تؤرخ بالليالي في وضع معين ، وبالأيام في موضع آخر ، أما الأول : فكتب السلطان كلّها وكتب الأعيان تؤرخ بالليالي ، فيقال بعد «إن شاء الله تعالى» وكتب لأربع خلون ، أو لاثنتي عشرة ليلة خلتْ ، ولثلاث عشرة ليلة . والثاني إذا كان من الأدنى إلى الأعلى فيؤرخ باليوم ويقول : «أصدرها المملوك في الثالث أو الرابع ، و «صدرت خدمته» . (٧:٧٦) .

وإذا نظرنا إلى ما قبل الدولة الأيوبية ، نجد أن مؤلف «مواد البيان» يذكر(أن التواريخ العربية على الليالي لأن سني العرب قمرية ، والقمر أول ما يظهر للأبصار هلالاً في الليل ، فتكون الليالي بهذا الاعتبار سابقةً للأيام ، إذ اليوم عندهم عبارة عن النهار ، وهو إما من طلوع الفجر على ما ورد للشروع في الصوم ونحوه ، وإما من طلوع الشمس على رأي المنجمين . ويذكر تعليلاً للتأريخ بالليالي : وإنما حمل على الليالي دون الأيام ، لأن أول الشهر ليله ، فلو حمل على

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأيام سقطت منه ليلة)(٥٦:٥٠٥) .ويعقب القلقشندي على ما ذكره ابن شيث في تأريخ الكتب بقوله :(ولم أعلم من أين أخذ ذلك ، ولا ما مستنده فيه . ويؤكد على أنه لا بد من كتابة السنة في حالة التأريخ)(١١:٦/٢٤٣، ٢٦١) . أما موضع كتابة التاريخ ، فعلى حين جاء في «مواد البيان» أن(الرسم في الكتب الصادرة عن السلطان أن تؤرخ في أعجازها وأواخرها ، إلاّ أن يكون الكتاب في أمر يحسن الابتداء بذكره ، فيؤرخ في صدره كالحوادث العظام ، والفتوحات والمواسم الدينية ، أما كتب الأتباع إلى الرؤساء ، فإن الرسم أن تؤرخ في صدورها) (٥٦:٥٠٥). يذكر ابن شيث(أن التأريخ بعد المشيئة)(٧:٧٦) ويفصّل ذلك القلقشندي فيقول : والذي(استقر عليه حال كتّاب الزمان ، كتابة التاريخ في آخر الكتاب بكل حال ، وأما صورة وضع التاريخ في الكتابة ، فقد اصطلح الكتّاب على أن يجعلوا التاريخ بعد كتابة «إن شاء الله» في سطرين ، ثم يكتبون «سنة كذا» في سطر تحته ، وفي الكتب عن قضاة القضاة يجعل كتابهم جميع التاريخ في سطر واحد)(١١:٦/٢٦١-٢٦٢)

ـ ويذكر ابن شيث أنهم قد اصطلحوا على أن يقال في آخر الكتاب : «وللرأي العالي فضل السمو والفكرة إن شاء الله» . أما الأحوال التي تخرج من الديوان فتختم جميعها بأن يقال : «وللرأي السامي فضله في ذلك إن شاء الله» ، ودون ذلك «وللرأي السامي حكمة إن شاء الله تعالى»،(٧: ٤ ٦٦،٧ ٧)يذكرالقلقشندي فضل كتابة المشيئة يقول : اعلم أنه يُستحب للكاتب عند انتهاء ما يكتبه من مكاتبة أو ولاية أو غيرهما أن يكتب «إن شاء الله تعالى» تبركاً ورغبة في نجاح مقصد الكتاب . فقد ورد الحثّ على التعليق بمشيئة الله تعالى والنسب إليه، قال تعالى : ﴿ ولا تقولن لشيءٍ إني فاعل ذلك غداً إلاّ أن يشاء الله ﴾» ، (١١:٦/٢٣٢) . أما محل كتابتها ، فيذكر ابن شيث «وحيثما وقعت إن شاء الله تعالى من السطر في آخر الكتاب ، لم يُضف إليها شيء بل تكون الحمد لة مفردة ، ولا يكون بين السطور في السعة تخالف ولا سمتها ، وهو إلى العلو جيد ، ولا يخرج عن السطر الأول وقد يدخل عنه.» (٧:٧٥) . أما فيما بعد عصر ابن شيث ، فيذكر القلقشندي في محل كتابتها : «ولا نزاع أنها أول فاتحة تكتب من خواتم المكتوب فمحلها من الدرْج أسفل المكتوب في وسط الوصل مكتنفة ببياض عن يمينها ، وعن شمالها ، وبينها وبين السطر الآخر من المكتوب ، كما بين سطرين أو دونه» (١١:٦/٢٣٣) .

ـ الحمد لة تلي المشيئة ، ولا يكون بينها وبين المشيئة تخالف في سعة السطور ، وعلى حين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يحتمل في المشيئة الخروج عن السطر الأول ، ففي(الحمدلة يحتمل ذلك)كما يذكر ابن شيث. (٧٥:٧).

ويذكر القلقشندي فيما بعد أنه قد(أصطلح على أن جعلوها بعد كتابة المستند عن يَمْنة الدّرج على بعد قدر ما بين «إن شاء الله تعالى» ، والسطر الآخر من المكتوب . ويورد في فضلها أن الله سبحانه كما جعل الحمد مفتاحاً للأمور تيمناً بالافتتاح به ، جعله ختاماً لها تيمناً به قال تعالى ﴿ وقُضي بينهم بالحق * وقيل الحمدُ لله رب العالمين ﴾ . ولما كان الأمر كذلك ، اصطلح الكتّاب على اختتام الكتب بالحمد تبركاً .)(٢٦٦/٦:١١، ٢٦٥-٢٦٦).هذا ويستثنى ابن شيث من الختم بالحمدلة(مواقع المظالم ، وربماختم بها في تواقيع الإطلاقات التي تكون على ظهور الرقاع) (٧٤:٧-٧٥)

- وتأتي الحسبلة بعد الحمدلة ، ولها صيغ منها : «حسبنا الله هو الوكيل» بغير واو ، وقد يتأدب الأدنى مع الأعلى فيأتي بالآية على نصها : ﴿ وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ ، فراراً من نون الجمع التي هي لعظمة الكاتب أو المكتوب عنه ، وقد يقال مكانها «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» ، هذا في حال الأدنى للأعلى ، أما في حال الأعلى إذا كتب إلى الأدنى ، فلا يخرج عن «حسبنا الله ونعم الوكيل» (٧٥:٧) . ويضيف القلقشندي صيغاً أخرى ، إذ كان بعض الكتّاب يستحبُ أن يكتب (حسبي الله) بلفظ الوحدة فراراً من اللبس في لفظ الجمع بين التعظيم ، والجمع الحقيقي . (٢٧٠/٦:١١) .

أما موضعها ، فيذكر ابن شيث أنه(ثلثُ السطر من الجانب الأيمن حيث تنتهي الكتابة بها) (٧٥:٧).أما القلقشندي فيذكر في موضعها أنهم قد(اصطلحوا على أن يكتبوها سطراً واحداً بعد سطر الحمدلة والتصلية ، ويكون بينهما في البعد قدر ما بين «إن شاء الله تعالى» ، وبين السطر الآخر من البياض . ويذكر أن الكتّاب قد اصطلحوا على أن يكتبوا تحت الحسبلة صورة حاء لطيفة منكبة على هذه الصورة «حى» ولا معنى لها ، إذ هي في الأصل إشارة الى الحسبلة نفسها، وكأن بعض الكتّاب كان يكتفي بها في الحسبلة ، ثم التبس ذلك على بعض الكتّاب ، فأثبتها مع الحسبلة على ظنّ أن فيها قدراً زائداً عليها ، ويحتمل أنها إنما وضعت في الأصل لسدّ البياض كما يُكتب بعض الدوائر لسد البياض أو الفصل بين الكلامين وغير ذلك.) (٢٧١/٦:١١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا ونلحظ على باب طبقات التراجم وأوائل الكتب بروز عناوين ، إلا أنها لا تسير وفق ترتيب معين وإنما تتداخل الموضوعات أحياناً ، ويتميز هذا الباب بالمصطلحات الدقيقة التي كانت في عصر ابن شيث ، وقد نبه على الالتزام بها وعدم الحياد عنها ، ولقد أشار ابن شيث الى عدم استقرار المصطلح فيما قبل عصره ، وأنه يحاول التقنين والتحديد لضبط المصطلحات الكتابية كما سيّنا .

ولقد أعطانا ابن شيث صورة عن بعض المكاتبات الديوانية في عصره من مثل(كتب الأحوال)(٧: ٧٦)(ومواقع المظالم)(٧: ٧٤)(وتواقيع الإطلاقات)(٧: ٧٥) .

ويعتبر هذا الباب من أهم أبواب الكتاب ، لأنه يتعلق بالكتابة الإنشائية التي فسد أمرها في نهاية الدولة الأيوبية ، وجهد ابن شيث في ضبطها لتكون مستقرة ، وأعطانا فيضاً واسعاً من المصطلحات التي تتدرج بحسب رتبة من تُكتب له ، وتتلاءم مع الموضوع الذي يعالجه . وهو في هذا يعتبر مجدداً ، لأن كلّ ما أورده كان صورة صادقة لما ارتضاه لعصره ، وخاصة بعد أن قارنا بين ما كُتب قبله وكُتب بعده في هذا المجال ، إذ كان ما ذكره اجتهاداً من عنده بما يتوافق مع حال عصره .

ـ وفي الحديث عن وضع الخط وحروفه وبري القلم ، يذكر ابن شيث أن سلامة الخط ونقاوته تعتمد على قوة اليد وكثرة إدمانها ولين أعصابها وجودة الأقلام والمداد فإذا كَمُل حسن التصوير وسلامة اليد من الضعف والصلابة وجودة القلم ورونق المداد جاء الخط على ما يحتاج) (٧٧:٧)

ويورد ابن شيث رأيه في حسن الخط فيرى أنه لا على الإنسان بعد إتقان الأصول أن لا يكون الخط على غاية التحرير ، فإنه قلما اجتمع التحرير والبلاغة) (٨٧:٧) ، أي أن الاهتمام الزائد بحسن الخط يفقد الكتابة الجانب البلاغي ، لأن الذهن ينصرف إلى التركيز على جودة الخط دونما الاهتمام بكيفية المحتوى ، ويشير إلى عكس هذا في «أدب الكتّاب »، فيرى أن قبح الخط يصرف عن الفائدة ، وإن كان الكلام بليغاً (ومن فضل حسن الخط أن يدعو الناظر إليه إلى أن يقرأه وإن اشتمل على لفظ مرذول ، ومعنى مجهول ، وربما اشتمل الخط القبيح على بلاغة وبيان ، فيّرغب الناظر عن الفائدة التي هو محتاج إليها لوحشة الخط وقبحه) . (٤٢:٥٨)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما مقياس حسن الخط عنده ، فهو أنّ (خير الخط ما قُرِيء بمفاجأة اللمح) (٨٧:٧) ، أي أن هناك دعامتين أساسيتين للخط عند ابن شيث ، هما مراعاة الأصول المتعلقة بالخط ، والوضوح والإبانة فيه . وعلى حين نرى أن هذا هو المقياس الذي يورده ابن شيث للخط ، نجد الدراسات السابقة تركز على حسن الخط من حيث شكله ، وتعتبره أهم شيء فيما يتعلق بموضوع الخط ، فيذهب في «البرهان في وجوه البيان» إلى أن (الأصل في الخط أن تكون حروفه بيّنه قائمة ، ومن الإشكال بعيدة سالمة ، ثم إن كان مع صحته وبيانه حلواً حسناً ، كان ذلك أزيد في وصفه .... ومما يزيد الخط حسناً ، ويمكّن له في القلب موضعاً ، شدة سواد المداد وجودة ليقة الدواة ، فإنه يجري من الخط مجرى القطن من الثوب ، فمتى كان القطن رديء الجوهر ، لم ينفع النساج حذقه) . (١٠٧: ٢١٦-٢١٧)

وجاء في «مواد البيان» الطريق إلى تحسين الخط (فالطريق إلى تحسين الخط يكون بثلاثة أشياء : أولها تصحيح أشكال الحروف ، والثاني ترتيبها ، والثالث تصحيح الهجاء . فأما تشكيل الحروف ، فهو الأصل في أدب الخط ، وإنما يسمى جيداً إذا حسنت أشكال الحروف ، ورديئاً إذا قبحت) (٥٦:٤٨٣) .

وإذ نجد ابن شيث يركز على أصول الخط ، وأوضاعه الصحيحة وقوانينه ، نجد بعض من سبقه يركز على ما قيل في حسن شكل الخط من شعر ، وما قيل في قبحه ، ومن ذلك :

ما قيل في حسن الخط :

لقد جلىّ كتابك كل بث جوٍ وأصاب شاكلة الرميّ

ومما قيل في قبح الخط :

أشكو إلى الله خطاً لا يبلغني خط البليغ ولا حظ المرجينا (٥٨:٥٢)

وفيما يتعلق بصور حروف الخط ، نجد ابن شيث قد خلط بين تعريف الاتمام والإكمال ، وجعلهما شيئاً واحداً ، في حين أنه جاء في رسالة الخط والقلم أن(الاتمام أن يُعطى كل حرف قسمته من الأقدار التي يكون عليها من طول أو قصر ، أو دقة أو غلظ . أما الإكمال ، فهو أن يؤتى كل خط حظه من الهيئات التي ينبغي أن يكون عليها من انتصاب وتسطيح وانكباب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستلقاءوتقوس) (٥٩:١١٩)

ويخالف ابن شيث ما جاء في رسالة الخط والقلم في أشكال بعض الحروف منها :

القاف: فهو في رسالة الخط والقلم(شكل مركب من ثلاثة خطوط : منكب ومستلق ومقوس)(٥٩:١٢١). وهو عند ابن شيث(شكل مركب من ثلاثة خطوط مُنكب ومستلق ومسطح) (٧:٨١) .

والواو : يشير ابن شيث(أنها مثل القاف)(٧:٨٢) ، إلاّ أن(ابن مقلة لم يذكرها) (٥٩:١٢١)

والياء : يرى ابن شيث أنها(شكل مركب من ثلاثة خطوط : مستلق ومنكب ومقوس) (٥٩:١٢١) ، في حين يرى ابن شيث أنه(مثل القاف)(٦:٨٢) .

والكاف : يرى ابن مقلة أنها(شكل مركب من أربعة خطوط : منتصب ومقوس ومسطح ومستلق)(٧:٨٢) .

ولقد خلط ابن شيث في اعتبار النون ، فذكر(أنها تصير نصف دائرة)(٦:٨٢) . بينما جاء في رسالة الخط والقلم ، أنها(تصير دائرة كاملة)(٥٩:١٢٢)

ويورد ابن شيث في بري القلم أن له شروطاً حتى يكون الخط جيداً (فيجب أن يكون الجانب الأيمن من القلم أوفر لأن الاعتماد عليه في الخط ، وبعض الناس يرى أن يكون الشق في الوسط ، ويكون الشق بحسب صلابة القلم ورخاوته ، فإذا أفرط الشق ، نزل المداد منه إلى إصبع الكاتب ، وإذا طالت الجلفة ، اضطرب بها الخط ، وكلما قصرت تمكن بها الكاتب من الكتابة والسرعة) (٧:٧٨) ويخالف ابن شيث في ذكره الجلفة والتركيز على قصرها ما ورد عند صاحب الكتّاب وصفة الدواة والقلم ، إذ يرى أنها لا بد أن تكون طويلة فيورد (ما قاله عبد الحميد بن يحيى لرغبان الحمصي ، وقد رأى خطه رديئاً : أتحب أن يجود خطك ؟ قال : نعم ، قال : أطلْ جلفة قلمك وغلّظها ، وحرّف قطته وأيمنها قال : يُفعل ، فجاد خطه) . (١٠٦:٦٨)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتطرق ابن شيث للبلاغة وأقسامها فيذكر أنها مجموعة في قسمين ، ويعرفها بدون ذكر اسماء لهما ، إلا اننا نعرف أنهما الإيجاز المساواة ثم يذكر قسماً ثالثاً . وابن شيث في تعريفه للإيجاز ، يتفق مع بعض سابقيه ، ويختلف مع بعضهم فجاء في «الصناعتين» عن بعض البلاغيين أن الإيجاز (قصور البلاغة على الحقيقة ، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر والخطل ، وهما من أعظم أدواء الكلام) . (١٧٣:٦٣)

وهذا لا يتفق مع ما ورد عند ابن شيث ، اذ ينص التعريف على اعتبار مقدار الحاجة هي الحكم . ومما يتفق مع ابن شيث ، ما جاء في «العمدة» من أن الإيجاز (العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف) . (٢٥٠/١:٥١) وما جاء في «المثل السائر» فهو (حذف زيادات الألفاظ) . (٢٦٥/٢:٤٨) وبقي الإيجاز عند المتأخرين يحمل نفس المدلول الذي جاء عند ابن شيث ، فيعرّف الإيجاز في «الإيضاح في علوم البلاغة» بأنه (تأدية أصل المراد بلفظ ناقص عنه واف) . (١٧٣/٣:٦٥) ونجد أن هؤلاء البلاغيين يكتفون بذكر الأمثلة دونما شرح وقد اكتفوا بالتقسيمات التي تخص الإيجاز وأنواعه ، في حين نجد ابن شيث يهتم بالجانب التطبيقي ، فيشرح الشواهد التي اعتبر أن أعظمها ما كان من آيات الكتاب الحكيم ، فهو يعتبر أن البلاغة هي القرآن الكريم ، ويؤيد ذلك ما ورد في مقدمة «معالم الكتابة» (والله اسأل أن يجعلني ممن تعرّض فيه لطاعته ، ولا يجعلني ممن إذا وقف للحساب لا يجد شيئاً من بلاغته) (٢٥:٧) وما جاء في عرض كتابه من أن(القرآن في أقصى درجات البلاغة ، والإيجاز والإعجاز) (٢٢٣:٧) فالقرآن له منزلة عظيمة عنده ، وهو يربط البلاغة به ، ويفسر آياته في ضوئها .

فالبلاغة عنده ليست قوانين نظرية منفردة ، وانما يربطها بالمثال القرآني ربطاً منطقياً ، ويدلل على ما يريد بالإشارة إلى آيات أخرى تدعم ما يريد إثباته ، وهو بهذا متأثر بما جاء في «دلائل الإعجاز» ، إذ يرى أنه (ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق ، بل أن تناسقت دلالتها ، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل) . (٣٥:٧٣) ويوافق ابن شيث مَنْ سبقه في تعريف المساواة مع اختلاف في صورة التعبير ، فقدامة يعرّف المساواة كالتالي (أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه) . (١٧١:٦٤)وجاء في «الصناعتين» عن المساواة : (أن تكون المعاني بقدر الألفاظ ، والألفاظ بقدر المعاني ، لا يزيد بعضها على بعض ، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب ، وإليه أشار القائل عندما قال : كأن ألفاظه قوالبٌ لمعانيه ، أي لا يزيد بعضها على بعض) . (١٧٩:٦٣) وجاءت في «المثل السائر» مخالفة من حيث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التقسيم ، إذ يعتبر المساواة قسيم إيجاز القصر ، وسمّاها الإيجاز بالتقدير ، وعرّفها بأنها (الإيجاز الذي يمكن التعبير عن معناه بمثل ألفاظه ، وفي عدتها ، أو هو ما ساوى لفظه معناه) (٤٨:٢/٢٦٥-٣٥٤) فهنا مخالفة من حيث التقسيم والاصطلاح ، إلا أنه يورد تعريف المساواة نفسه عند البلاغيين . وبقي مصطلح المساواة كما ورد عند ابن شيث وغيره من البلاغيين فيما بعد، فنجد «الإيضاح في علوم البلاغة» على سبيل المثال يعرّف المساواة: (بأن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصاً عنه بحذف أو غيره ، ولا زائداً عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض) (٦٥:٣/١٧٣).

ويمكننا القول أن ابن شيث يتميز في اهتمامه بالناحية التطبيقية أكثر من التعريف والتقسيم، فنجده يكثر من سوق الشواهد وشرحها شرحاً واضحاً مثبتاً للأساس الذي يتناوله بالدراسة ، فنجده يسوق شاهداً على المساواة قوله تعالى إخباراً عن كتاب سليمان عليه السلام إلى بلقيس ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين ﴾ . (٧:٩١)

ويشرح الشاهد ، ومن خلال الشرح ، يوضح لنا مساواة اللفظ للمعاني دونما زيادة أو نقص ، وهو لا يبتعد في التوضيح عن منهج المفسّر إذ يذيل كلامه بقوله : (وقيل إن المعنية بالخطاب بلقيس ، وإنما خاطبها مخاطبة الجمع رعايةً لمرتبة الملك) . (٧:٩١) .

– أما القسم الثالث عند ابن شيث ، فهو الإطناب ، وهو يجعل له شروطاً ، وهي أن تكون الألفاظ المزيدة مضاهية لسابقتها في الحسن والرونق ، أي لا يؤدي الإطناب إلى(الوقوع في التكلف) (٧:٩٣) . ويذهب في «المثل السائر» إلى أن الإطناب : (هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة) (٤٨:٢/٣٥٧) ويحمل الإطناب نفس المدلول كما جاء في «الإيضاح في علوم البلاغة» ، فيعرفه بأنه (تأدية أصل المراد بلفظ زائد عليه لفائدة) (٦٥:٣/١٩٦-٢٢٤) فلا نكاد نلمح من خلال تعرض كل منهما للإطناب إلى تحديد شرط اتساق الألفاظ من حيث الحسن والرونق وعدم التكلف .وإذ يعتبر ابن شيث الإطناب قسماً اضطر إليه الكتّاب ، يرى بعض البلاغيين أن هناك مقاماً يلزم فيه الإطناب ويكون مستحسناً . فقد جاء في «الصناعتين» : (والقول القصد ، أن الإيجاز والإطناب يُحتاج اليهما في جميع الكلام وكل نوع منه ، ولكل واحد منهما موضع ، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه ، كالحاجة إلى الإطناب في مكانه ، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز ، واستعمل الإيجاز في موضع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإطناب ، أخطأ). (٦٣:١٩٠) .ويذهب في «الصناعتين» أبعد من ذلك إذ يرى أن (الإطناب بلاغة ، والتطويل عيّ ، لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلاً بما يَقْرب ، والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه ، يحتوي على زيادة فائدة) . (٦٣:١٩١) .

ويعرض ابن شيث للسجع ، ونجده يضع ثلاثة شروط ، ليكون السجع جيداً : أ – توازن الألفاظ . ب – رصف الكلمة التي يوقف عليها في الكلمة الأخرى التي تطابقها في السجع . جـ – الوقوف على الفواصل ، وهذا التحديد يدل على الدقة والعمق في الدراسة ، والبند الأول والثالث واضحان ، أما رصف الكلمة فلا ندري ما قصد بها ، فربما قصد التطابق في الشكل من حيث عدد الحروف ونوعها . هذا ولا نجد مثل هذا التحديد في الدراسات السابقة ففي «المثل السائر» يركز فقط على تواؤم الفواصل ، ويذكر له مصطلحاً آخر(هو المسجع) (٤٨:١/٢١٠) أما في «الصناعتين» ، فقد أشار المؤلف إلى موازنة الألفاظ (فربما غيرّ الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ واتباع الكلمة أخواتها) . (٦٣:٢٦٧).وأجد من خلال تتبع السجع عند دارسيه من مثل ما جاء في «الصناعتين» ، و«أسرار البلاغة» و «سر الفصاحة» و «المثل السائر» ، عدم اشارتهم إلى الوقوف على الفواصل مما يدعوني إلى القول بأن ابن شيث ربما كان الأول في هذه الإشارة ، ويبرر ابن شيث إشارته إلى الوقف ، بأنّه إذا لم يوقف على الفواصل وجب إجراء الإعراب ، فيفسد السجع .ولقد فصّل القزويني في «الإيضاح» ، ما اكتفى ابن شيث بالإشارة إليه في كلمة الوقف وما تحمله من معنى (واعلم أن فواصل الأسجاع موضوعةٌ على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفاً عليها ، لأن الغرض أن يزاوج بينهما ، ولا يتم ذلك في كل صورة إلاّ بالوقف . ألا ترى أنك لو وصلت قولهم : ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هو آتٍ ، لم يكن بدّ من إجراء الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الإعراب ، فيفوت الغرض من السجع) (٦٥:٦/١٠٦).ويجعل ابن شيث مقياساً للجودة في هذا النوع وهو (بمقدار ما تتوازن اللفظتان ، ويلزم فيهما من تكرار الحروف يكون التبريز في ذلك) . (٧:٩٧) وربما هذا الذي قصده بكلمة الرصف السابقة الذكر .

ويعالج ابن شيث قضية مهمة ، هي(التكلف في السجع) (٧:٩٧) ، حيث تلوى أعناق الألفاظ لتتلاءم السجعات ، وهو مسبوق في هذا ، فلقد أشار اليها العسكري في «الصناعتين» وبين المؤلف أن السجع مفضّل (ما لم يكن فيه استكراه وتعقيد وتنافر ، وكثيراً ما يقع ذلك في السجع ، وقلّ ما يسلم إذا طال من استكراه وتنافر . والسجع الذي فيه تكلف وتعسف مذموم ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثل قول بعض الكهان : «والسماء والأرض والقرض والفرض ، والغمر والبرض» ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل قال له : «أَنَدِي من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل ، فمثل ذلك يُطل» ، «أسجعاً كسجع الكهان» ؟ لأن التكلف في سجعهم فاش) . (٦٣:١٥٩) ويشير ابن شيث إلى ذلك فيقول : «إذا كان السجع مطيلاً للكلام فينبغي أن يتحاماه» (٧:٣٢-٣٣)

ويتناول ابن شيث الترصيع بطريقة متميزة يبين فيها أنواعه ويعرّفه ويمثّل له ، ويظهر لنا ذلك بوضوح إذا حاولنا أن نتتبع هذا المصطلح عند سابقيه . ففي «نقد الشعر» يذكر أن (من نعوت الوزن ، الترصيع ، وهو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف ، ومنه قول امرئ القيس :

مخش مجش مقبل مدبر معاً كتيس ظباء الحُلّب العدوان (٦٤:٣٩)

وإليه يذهب في «الصناعتين» فيذكر «أن يكون حشو البيت مسجوعاً» . (٦٣:٣٧٥) وفي « العمدة » يذهب إلى(أن الترصيع من أنواع التقسيم)(٥١:٢/٢٠) .

أما في « مواد البيان » ، فيوافق ما جاء عند ابن شيث في ترصيع الحدو وترصيع اللغو ، إلاّ أنه يفصّل في ترصيع الموازنة تفصيلاً دقيقاً ، فيورد أنه وقف على كتاب لطيف لأبي منصور الثعالبي سمّاه « أجناس التجنيس » ، ذكر فيه أن منه ثلاثة ، وأورد من كلام البلغاء في كل قسم أمثلة من المنظوم والمنثور ، ويذكر في «مواد البيان» هذه(الأنواع الثلاثة)ويمثل لها (٥٦:٢٦٩-٢٧٠) . وجاء في كتاب « البديع في نقد الشعر » عن الترصيع (أن يكون البيت مسجوعاً) . (٦٦: ١٧١) ونلاحظ أن كلا منهم قد اعتبر الترصيع خاصاً بالشعر ، وفي تعريفهم له يقترب من التقسيم . أما في « المثل السائر » ، فيرى أن الترصيع يعم النثر والشعر ، إلاّ أنه يجعله في الشعر أرفع مكانة ، بدليل أنهيسوق تعريفه له على اعتبار وقوعه في الشعر فيقول :« وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول ، مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية » (٤٨: ١/٢٧٧)،وبعد ابن شيث يأتي القزويني ، فيعدّ الترصيع من أنواع السجع ويعرّفه بأنه (إذا كان في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها ، مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية كقول الحريري :« فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه ») (٦٥: ٦/١٠٧)،ونلاحظ مماسبق اختلافاً بين البلاغيين في معنى الترصيع ، ومكان وقوعه ، وإلى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أي قسم ينتمي ، وهذا يدعونا إلى الاستغراب ، لأن المصطلحات البلاغية حتى هذه الفترة قد شهدت استقراراً ووضِعَت فيها مصنفات مستقلة .

ويتناول ابن شيث الإلمام بطريقة متميزة، إذ يعرّفه ويمثل له مخالفاً ما ورد عند البلاغين ففي « العمدة » يتناول الإلمام على(أنه من أنواع السرقات) (٥١ : ٢/٢٨٧)،وفي « مواد البيان » يعرفّه (أن يؤتى بكلمة في الفصل الأول ، ثم يؤتى بها في الفصل الثاني وقد قلبت حروفها مثل فَرَقَ وقَرَفَ ....) (٥٦ : ٣٣٤) وهذا التعريف يختلف عما جاء عند ابن شيث.

ويذهب ابن شيث في تعريف(التوشيع مذهباً يمكننا أن نعدّه من أنواع الإطناب)، وقد سبق ذكره صفحة ٧٥ من هذا البحث (٧: ١٠٠).ولقد سار صاحب« الإيضاح »على الطريق نفسه إذا عرّفه بقوله : « التوشيع من أنواع الإطناب ، وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين، أحدهما معطوف على الآخر ، كما جاء في الخبر « يشيب ابن آدم ، ويشبّ فيه خصلتان الحرص وطول الأمل .» (٦٥ : ٣/١٩٩) وهو وإن عدّ التوشيع من أنواع الأطناب إلا أنّه يخالف ما جاء عند ابن شيث في التعريف . هذا ويخالف ابن شيث من تطرق لهذا المصطلح سواءً من معاصريه أو اللاحقين . ففي « مواد البيان» يختلف المعنى اللغوي للتوشيع فيرى أن (التوشيع مأخوذ من الوشيعة ، وهي الزهر المختلف الألوان ، من البرد الوشيع) . (٥٦ : ٣٤٥) ، أما المعنى الاصطلاحي ، فهو (أن تأتي بكلمة تجعلها أصلاً ، ثم تفرعها إلى معنيين ، كقولك : فلان رغب في ودادك ، ورغب عن بعادك . ..... وقال عبدالله بن المعتز ، إن الجاحظ سمى هذا النوع المذهب الكلامي ، وأنه فحص عنه في كتاب الله تعالى ، فلم يقع على شيء منه ، وذلك لأن فيه تكلفاً لا يحسن أن يكون إلاّ من البشر)(٥٦ : ٣٤٦) وهذا المعنى مخالف تماماً لما ورد عند ابن شيث.ولما جاء عند البلاغيين فيما بعد،ففي « حسن التوسل إلى صناعة الترسل » للشهاب الحلبي (ت : ٧٢٥هـ) يرى المؤلف أن التوشيع (أن يأتي الشاعر أو الناثر باسم مثنى ، ثم يأتي باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى ، ويكون الآخر منهما قافية بيته أو سجعة لكلامه كأنها تفسير لما ثناه .) . (١١٠ : ٧٤)

هذا وانفرد ابن شيث(بتعريف خاص للتتميم)سبق ذكره صفحة ٧٦ من هذا البحث . (٧: ١٠١) ومن خلاله ، يتبين لنا أن هذا المصطلح يخصّه ابن شيث بالنثر ، وهو في تعريفه له يخالف ما ذهب إليه البلاغيون . ففي « نقد الشعر » يُعرّف التتميم هكذا : (وهو أن يذكر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر المعنى ، فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته ، وتكمل معها جودته شيئاً إلاّ أتى به) . (١٥٧:٦٤)وجاء هذا التعريف للتتميم في معرض الحديث عن(أنواع نعوت المعاني) التي يعدّ التتميم نوعاً منها . (١٥٧:٦٤) وإلى هذا المعنى ذهب صاحب « الصناعتين» ، ومثل له بقوله تعالى : ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ ، ويضيف إلي ما ورد في « نقد الشعر » بأن الأحوال التي تتم بها الصحة تتمثل(بالمعنى واللفظ)(٣٨٩:٦٣) ويذهب في « العمدة » إلى التعريف نفسه ، إلاّ أنه يجعل المبرر للتتميم (إما مبالغةً ،وإما إحتياطاً واحتراساً من التقصير.)(٥٠/٢:٥١) وفي « البديع في نقد الشعر» يعتبر أن بالتتميم (يتكامل للشاعر الحسن والإحسان) (٦٦: ٨٧)،وفيما بعد ابن شيث نجد مصطلح التتميم يتخذ معنى مخالفاً لما عند ابن شيث ، ولما سبقه من البلاغيين وهو (أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله تفيد لكنة ، كالمبالغة في قوله تعالى : ﴿ ويُطعمون الطعام على حبه ﴾) (٢١٢/٣:٦٥-٢١٣) وإذا تأملنا مصطلح التتميم ، نجد أن هناك إتفاقاً من قبل البلاغيين المتقدمين بالنسبة لتعريفه ، إلا أنهم لم يفصلوا فيه كثيراً ، في حين نجد ابن شيث والقزويني يخالفان ، وإذ نجد في تعريف ابن شيث الوضوح ، وخاصة أنه يمثل له ويشرحه ، نجد في تعريف القزويني الغموض والإنبهام .وإذا حاولنا أن نبرر مخالفة ابن شيث في تعريف المصطلح ،نقول : ربما قصد قصره على ميدان النثر ، كمحاولة لتخصيص هذا الفن بمصطلحات لا تتعداه لغيره .

ويتطرق ابن شيث إلى تعريف الجناس تعريفاً جزئياً غير وافٍ، ويستخدم مصطلح(التجنيس) ليدلل عليه (١٠٢:٧) ولقد حمل هذا المصطلح مسميات مختلفة عند البلاغيين، وهناك تراوح في التعريف له بين التحديد والتفصيل . فنجد في « البديع »أن المؤلف يذكر (أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ، ومجانستها أن تشبهها في تأليف حروفها) . (٦٩: ٢٥). ونجد التعريف نفسه في كل من « نقد الشعر » (٦٤: ١٨٥) « والصناعيتين» (٦٣: ٣٢١) «والإيضاح في علوم البلاغة» . (٦٥: ٦:٩٠) . ويذكر في « سر الفصاحة » أكثر من نوع للجناس في تعريفه (وهو أن يكون بعض الألفاظ مشتقاً من بعض إذا كان معناهما واحداً : أو بمنزلة المشتق ، إن كان معناها مختلفاً ، أو تتوافق صيغتا اللفظين مع إختلاف المعنى) (٢٢٦:٦٨-٢٢٧)،فهنا يشير إلى الجناس التام ، والجناس الاشتقاقي ، ويتميز تعريفه بالدقة. وفي «أسرار البلاغة» ،يتناول الجناس من حيث توافقه مع العقل ، ويرجع إليه مقياس استحسانه

يقول : « فإنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جميلاً ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما بعيداً » (٧١: ٦-٧).ونلاحظ أن هذا المصطلح قد اختلفت تسميته بين البلاغيين ففي « البديع » ، و« العمدة » و « أسرار البلاغة » و« البديع في نقد الشعر » ،و « معالم الكتابة » ، يستخدمون مصطلح « التجنيس» ، في حين جاء في « سر الفصاحة » مصطلح « المجانس» ، أما في « المثل السائر » ، فيستخدم المؤلف مصطلحي(التجنيس والمجانس) (٤٨: ١/٢٦٢) ، وأما في « نقد الشعر فيخالف المؤلف كل البلاغيين ويستخدم مصطلح المطابق » .

هذا ولم يخرج ابن شيث في مفهوم المطابقة عمن سبقه أو لحقه ، وإن جاء عنده التعريف بصيغة مختلفة . فقد تميز تعريفه(بالبساطة وعدم التشعب)(١٠٢:٧) .فإذا نظرنا لهذا المصطلح»في « مفتاح العلوم » ، في القسم الثالث منه نجده ، يميل به نحو التشعب إذ يعتبر «المطابقة» جزءاً من المقابلة (المقابلة أن يجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر ،وبين ضديهما ، ثم إذا شرطت هنا شرطاً ، شرطت هناك ضده) . (٧٠: ٢٠٠-٢٠١) . وفي « منهاج البلغاء وسراج الأدباء » لحازم القرطاجني (ت: ٦٨٤هـ) ،يهتم المؤلف بتقسيم المطابقة فيقول : « المطابقة تنقسم إلى محضة ، وغير محضة، فالمحضة مفاجأة اللفظ بما يضاده من جهة المعنى ، وغير المحضة ، تنقسم إلى مقابلة الشيء بما يتنزل منزلة الضد ، وإلى مقابلة الشيء بما يخالفه » (١١١:٤٨-٥١)، ونجد بعد ابن شيث ، من يميل بمصطلح المطابقة نحوالتوسع ،وخير دراسة في ذلك ما جاء في « الإيضاح في علوم البلاغة » يقول مؤلفه في المطابقة « هي الجمع بين المتضادين » أي المعنيين المتقابلين ، ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد كاسمين ، وإما بلفظين من نوعين ، والطباق ينقسم إلى طباق الإيجاب ، وطباق السلب ، ويُلحق بالطباق ما يُسمى إيهام التضاد » . (٦٥: ٦/٦-١٢)،وإذا تأملنا تسمية المصطلح ، نجد المطابقة عند كل البلاغيين ما عدا « أسرار البلاغة» يطلق عليها« التطبيق» (٧١: ٢٠) ، وفي « الايضاح » يطلق عليها ثلاث تسميات هي : المطابقة ، والطباق ، والتضاد .

ويعرض ابن شيث للحلّ والنظم بطريقة تختلف عن سابقيه إذ لا يفصّل في الموضوع ، ويكتفي بمجرد التعريف ، ويركز على ما يخص الكتابة، وهو الاستشهاد بالشعر على ما يلائم الكلام المنثور .فإذا نظرنا فيمن سبقه نجد المؤلف في « الصناعين» يتناول الحل والنظم من حيث مقارنتها بالابتداء من حيث السهولة والصعوبة ، فيرى أنّ (حلّ المنظوم ، ونظم المحلول ، أسهل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ابتدائهما ، لأن المعاني إذا حللت منظوماً أو نظمت منثوراً حاضره بين يديك ، تزيد فيها شيئاً فيحل ، أو تنقص منها شيئاً فينتظم ، وإذا اردت ابتداء الكلام وجدت المعاني غائبة عنك ، فتحتاج إلي فكر يحضركها) . (٦٣: ٢١٦) وفي « العمدة » يتناول الحل والنظم على اعتبار أنهما من أجلّ السرقات ، فيذكر في باب السرقات ، أن الحل والنظم من الأساليب التي يتبعها الشعراء والكتّاب في السرقة . (وأجل السرقات نظم النثر ، وحل الشعر ، وهذه لمحة منه، قال نادب الإسكندر :« حرّكنا الملك بسكونه» ، فتناوله أبو العتاهية فقال :

قد لعمري كُلِيتُ في غصص المو   تِ وحركتني لها وسكنتا   (٥١: ٢/ ٢٩٣)

أما في « البديع في نقد الشعر » فيذهب إلى ما يقارب ما ورد عندابن شيث (٦٦:٣٦٣) وجاء في «المثل السائر » تفصيل لهذا الموضوع إذ يشير إلى أن معرفة الحل والنظم، وحفظ دواوين العرب من الأشياء المهمة للكاتب حتى ينثرها في أثناء كتاباته . يقول : « من أحب أن يكون كاتباً، أو كان عنده طبع مجيب ، فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ، ولا يقنع بالقليل من ذلك ثم يأخذ في نثر الشعر من محفوظاته) ، ويجعل حلّ الأبيات الشعرية في ثلاثة أقسام متدرجة من حيث الرداءة والجودة ، وهي متدرجة من الأدنى للأعلى ويذكر :

١- أن(يأخذ الناثر بيتاً من الشعر فينثرهُ بلفظه من غير زيادة وهذا عيب فاحش .

٢- أن ينثر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه ويعرب عن البعض بألفاظ أخر .

٣- أن يؤخذ المعنى ، فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه ، ثم يتبين حذق الصائغ في صياغته ، ويعلم مقدار تصرفه في صناعته ، فإن استطاع الزيادة على المعنى ، فتلك الدرجة العالية ، وإنّ أحسن التصرف وأتقن التأليف ،ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول)(٤٨ :١٠٨/١ ، ٨٠٥).أما في « الوشي المرقوم في حلّ المنظوم » ، فقد أفرد ثلاثة أقسام من كتابه لحل الشعر :(قسم في حلّ الشعر بما لا يجوز تغيير لفظه)وهو عشرة أنواع (١١٢:٥٤-١٧٤)، والفصل الثاني(حلّ الشعر لبعض لفظه) ويورد صوراً متعددة للحل (١١٢: ١٠٢-١٥٢) والقسم الثالث في(حلّ الشعر بغير لفظه)ويورد أمثلة أيضاً . (١١٢: ١٥٢-١٧٣) .

وإذ يذكر ابن شيث(ثلاثة وجوه للتكرير)(٧:١٠٦) ، نجده ينفرد بالوجه الأول منها ، أما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني والثالث فقد تطرق إليه البلاغيون ، إلا أن تعريف ابن شيث تميز بالوضوح والبساطة ، فقد أشار في « مواد البيان » إلى تكرار اللفظ ووسعه ليشمل حروف الصلات والرباطات ويمثل لكل منها يقول : « فأما إعادة حروف الصلات والرباطات ،فإن أهونها إذا كان فيها حرفان فقط مثل: له ، وعليه » . (٥٦:٣٧٣)وفي « المثل السائر » يوسع المؤلف التكرير ليشمل اللفظ والمعنى فيقول : « وحدّه هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً ... وهو ينقسم قسمين ، أحدهما في اللفظ والمعنى ،والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ ، فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى كقولك لمن تستدعيه : أسرع ، أسرع ... وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ كقولك أطعني ولا تعصني ، فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية » (٤٨ : ٣/٣-٤) ، ونجد في «العمدة » مخالفةً لما ورد عند البلاغيين في هذا المصطلح ، فيسميه التكرار، ويعقب عليه بالقول : « ورد التكرار عند ابن المعتز كما نقله عن الجاحظ ، باسم المذهب الكلامي» . (٥١ : ٢/٧٣-٧٤) . فلا ندري ماذا قصد بالتكرار ، وعلى أي وجه ، فقد ربط بينه وبين المذهب الكلامي ، وعلى ما يبدو فان التكرار الذي قصده ابن المعتز يختلف عن التكرار الذي عالجناه سابقا.

ويتناول ابن شيث مصطلح(التفسير بصورة تختلف بعض الشيء عما ورد عند المتقدمين) (٧:١١١) فهو يركز على أن يفسر اللاحق الجملة السابقة في حين نجد في « الصناعتين » تحديداً له بأن (يورد معاني فيحتاج إلى شرح أحوالها ، فإذا شرحت ، تأتي في الشرح بتلك المعاني من غير عدول عنها أو زيادة فيها .) (٦٣:٣٤٥) . وإلى المعنى نفسه يذهب في «سر الفصاحة » ، أما في « البديع في نقد الشعر » ، فيعرّف التفسير تعريفاً غريباً إذ يقول : « أعلم أن التفسير هو أن تذكر جملة فلا تزيد فيها ولا تنقص منها ولا تخالف بينها» . (٦٦: ١١٣)

ويجعل ابن شيث الاستطراد يرتبط بالفائدة ، وإلا كان الخروج عبثاً ، بينما نجد في « الصناعتين » ربطا للاستطراد بما سبقه من كلام ، عن طريق كونه مسبباً عما سبق) (٦٣: ٣٤٥) وفي « العمدة » لا يعتبر الاستطراد مصطلحا مستقلاً بذاته ، وإنما يدخله ضمن(باب المبدأ والخروج والنهاية)(٥١ : ١/٣٣٦) إلا أنه يعرّفه بنفس ما ذهب إليه ابن شيث . ويذهب في « البديع في نقد الشعر » ، إلى تعريف الإستطراد بشكل مختلف عما ورد عند البلاغيين فهو (أن تمدح شيئاً أو تذمه ، ثم تأتي في آخر الكلام بشيء هو غرضك في أوله) (٦٦: ١١٦) و نجد الإيضاح في علوم البلاغة »فيما بعد ينفي وجود علاقة مسببة بين المعنى الأول والمعنى الذي ينتقل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليه ، فيرى أن الاستطراد هو (الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصّل به ، لم يُقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني ، فقد يكون المعنى الثاني هو المقصود.) (٦٥: ٦/٣).

هذا وقد اعتبر ابن شيث التقسيم مصطلحاً مستقلاً بذاته ، في حين نجد في « العمدة » أنه يعتبره من(أنواع الترصيع)(٥١: ٢/٢٥- ٢٧)

ويذكر ابن شيث العكس من جهة المعنى ، ويؤكد على التقاء المعنى وعكسه ، وجاء في «الصناعتين » تركيز على عكس الموضع أوالعكس المكاني ، فيقول في العكس « أن تعكس الكلام ، فتجعل في الجزء الأخير ما جعلته في الجزء الأول ، وبعضهم يسميه التبديل» ، وقد أورد أيضاً وجهاً آخر للعكس ، وهو أن تذكر المعنى ثم تعكسه كقول الصاحب : « وتسمى شمس المعالي وهو كسوفها » (٦٣: ٣٧٢) والوجه الأول الذي يذكره ، هو الذي يؤيده ، على اعتبار أنه أول ما أورده ثم شرحه ومثل له بأمثلة كثيرة ، في حين أن الوجه الآخر يسوقه ذيلاً في نهاية الفصل بإيراد شاهد واحد دونما شرح . ونلاحظ أن مصطلح التبديل ، أقرب من مصطلح العكس الذي جاء في الوجه الأول ، لأن التبديل يشمل المكان ، بينما العكس يشمل المعنى . وقد أشار في « مواد البيان » إلى التبديل وهو موافق لما جاء في « الصناعتين»(متضمناً الوجه الأول) (٦٦: ٣٣٨)

وإذ نجد الترديد عند البلاغيين ومنهم ابن شيث يتراوح مابين ردّ اخر الكلام على أوله إلى أن توافق آخر كلمة بعض مما فيه ، نجد في « مواد البيان » تعريفاً آخر للترديد ، وهو(أن تعلق اللفظة في البيت بمعنى ، ثم تردها متعلقة بمعنى آخر، وهو مذهب المحدثين ... والترديد عند أبي عليّ الفارسيّ ليس من هذا النوع في شيء ، وإنما هو أن يؤتي بكلمتين ، حروف إحداهما بعض حروف الأخرى مثل كتاب ، وتاب ... ، ويعقب على ذلك بالقول . وهذا قد دخل في أقسام الترصيع التي تقدم ذكرها ، وردّ أعجاز الكلام على صدوره يقع في فصول المنثور كما يقع في أبيات المنظوم .)(٥٦: ٣٥٠-٣٥١).هذا ونجد في « الإيضاح في علوم البلاغة » فصلاً يبين تعريف(الترديد حين يقع في النظم ، وحين يقع في النثر .)(٦٥: ٦/٣٣-٣٤)

ـ ويتناول ابن شيث الترادف بطريقة منفردة في العرض ، فنجده يسرد الألفاظ دونما عنونة ، ولا يخرج فيما ينتقي من مترادفات عما ورد في كتب السابقين إلا في عدد من الأبواب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكرناها سابقاً ، فإذا قارنا بين ما جاء عنده وبعض الدراسات السابقة ، نجد مثلاً في باب اقتران الإحسان بمن يستحقه : الإحسان يقع منه موقعه ويصادف منه موضعه ، والضغينة تغرس منه حيث تثمر ، والفضل يبذر فيه حيث يتضاعف وتدلّ الصنيعة على توفيق المصطنع ، ويشهد الإحسان إليه بسعادة المحسن ، ويبدو على الرأي فيما يسند إليه دلائل الصواب . وجاء في « الألفاظ الكتابية» جزء من هذه المترادفات تحت(العنوان نفسه الذي ذكرته.)(٨٠: ٣٥٦)

وفي باب التفرد وانقطاع القرين : منقطعُ القرين عزيزُ النظير ، عديمُ الشّبيه ، قليلُ المِثل ، نسيجُ وَحْدِه ، وقريعُ زمانه، واحدُ عصره ، فريدُ أيامه ، لا يُدافع في رأي،ولا يُلحق شأوه ، لا يُجارى إلى غايته ، ولا يُبارى في كلامه، ولا يُنازع في فضيلة ، ولا يُغالط في أمر ، ولا يُدرك غباره ، ولا يُمارى في قول . وجاء في « جواهر الألفاظ » ، في(باب نسيج وحده)تشابه في بعض المفردات التي جاءت عند ابن شيث (٧٩: ٣٩٥–٣٩٦)،وتتشابه بعض مفردات(باب التفرد)في « الألفاظ الكتابية » مع ما جاء عند ابن شيث في هذا المجال أيضاً . (٨٠: ٨٦) .

وفي باب المساواة والمماثلة : هوله مساوٍ ، ومجارٍ ، ومشاكل ، ومماثل،ومشابه، ومضاه ، وعديل ، ونظير . يتشابه هذا الباب مع ألفاظ بابين جاءا في « الجواهر » هما(المشابهة والمحاكاة) (٧٩:١٢)(وباب الصديق)(٧٩: ٢٥٦)،ففي باب الصديق يورد :شكله ، ونظيره ، ومثله ، وكفأُه، وعديله . أما في « الألفاظ المترادفة » فتأتي بعض هذه الألفاظ في بابين هما(باب النظير) (٨:٧٥–٧٦) ،(وباب المشاكلة)(٧٩، ٨٧)،ويذهب في «الفروق في اللغة» إلى التمييز بين المثل والشبه ، والعديل والنظير ، والمساواة والشكل ، فيرى أن (الفرق بين المثل والشكل:أن الشكل هو الذي يشبه الشيء في اكثر صفاته ، حتى يشكل الفرق بينهما، والفرق بين المثل والنظير : أن المثلين ما تكافآفي الذات، والنظير ما قابل نظيره في جنس أفعاله ، وهو ممكن فيها . والفرق بين المثل والعديل : أن العديل ما عادل في أحكامه غيره ، وإن لم يكن مثلاً له والفرق بين الشبه والمثل : أن الشبه يستعمل فيما يشاهد ، والفرق بين المساواة والمماثلة أن المساواة في المقدارين اللذين لا يزيد أحدهما على الآخر ، ولا ينقص عنه ، والتساوي التكافؤ في المقدار. والمماثلة هي أن يسدّ الشيئين مسد الآخر) (٨٢: ١٤٨–١٤٩)

وفي باب معاني الغبار : ثار الغبار ، والعُجاج ، والعَثِيْر والقَتَام والنّقْع ، والهُبْوة والسّافياء والهباء . وجاء في « جواهر الألفاظ » باب الغبار وإثارته وسكونه مثل ما جاء عند ابن شيث ، عدا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السافياء والهبوة (٧٩: ١٨٧).ويورد في « الألفاظ المترادفة » كل ما جاء عند ابن شيث في فصل « الغبار والرهج » ما عدا الهباء (٨: ٧٠:٧١) وفي « فقه اللغة وسر العربية » للثعالبي ت: ٤٢٩هـ) يورد المؤلف فصلاً في بيان أسماء الغبار وأوصافه ، إلا أنه يحدد كل صفة على أي شيء تطلق ، فيرى أن (النقع والعكوب ، الغبار الذي يثور من حوافر الخيل ، والعجاجة الغبار (الذي تثيره الريح ، والرهج والقسْطل غبار الحرب ، والعثير غبار الأقدام .) . (١١٣: ٣٠٧ -٣٠٨)

وفي باب معاني الجماعة : هم حزب ، وفئة وفرقة وعصبة ورهط قيّام ، ملأ ، وكردوس وزمرة ، وكتيبة وفيلق ونفر وشرذمة وجيش ومقنب وزرافات ، وجماعات . وجاء في « جواهر الألفاظ» بابان ، ورد فيهما بعض ما جاء عند ابن شيث ، هما باب جماعات الفرسان ، وأورد المؤلف فيه أربعة ألفاظ جاءت عند ابن شيث ، وباب(أسماء الجماعات)، ويورد فيه خمسة ألفاظ مما جاء عند ابن شيث (٧٩ : ١٩٢ ،٣٥٩) وفي « الألفاظ الكتابية » بابان يضمان بعض ما جاء عند ابن شيث ، هما(باب الطليعة والجيش)، وباب(الجماعة من الناس)(٨٠: ٢٧٥: ٢٧٦: ٢٧٤). وجاء في « الألفاظ المترادفة » في فصل(الجماعة والفرقة)طائفة مما ورد عن ابن شيث (٨: ٧١). ويميز في « الفروق في اللغة » بين بعض هذه المترادفات ، (فالفرق بين الجماعة والفئة ، أن الفئة هي الجماعة المتفرقة من غيرهـا ، والفرق بين الجماعة والملأ ، أن الملأ الأشراف الذين يملأون العيون جمالاً والقلوب هيبة ، والفرق بين النفر والرهط ، أن النفرالجماعة نحو العشرة من الرجال خاصة ينفرون لقتال وما أشبه، والرهط الجماعة نحوالعشرة يرجعون إلى أب واحد ، والفرق بين الجماعة والشرذمة ، أن الشرذمة البقية من البقية . والفرق بين الجماعة والزمرة والحزب ، أن الزمرة جماعة لها صوت لا يفهم والحزب جماعة تتحزب على الأخر ، أي تتعاون)(٨٢: ٢٧٣-٢٧٤).ويحصي في « كنز الحفاظ » الأعداد التي يشتمل عليها كل نوع من أنواع الجماعات ، فيرى أن (النفر والرهط ما دون العشرة من الرجال ، والعصبة من العشرة إلى الأربعين ، والعُدفة ما بين العشرة الى الخمسين.) (٨١: ٣٠-٣١).وإذ نجد هذا التحديد عند من سبق ابن شيث ، نجده هو يتوسع في الألفاظ دونما تحديد لها في إطار معين .

وفي باب أسماء الجنس : - جنس ، ونوع وصنف وفن وضرب ونحو.نجد في « الألفاظ الكتابية » باب(الأصناف)وقد أورد فيه معظم ما جاء عند ابن شيث . (٨٠ :٢٢٢) وفي « الألفاظ المترادفة » ، جاء في فصل(صنف ونوع)، ألفاظ مما وردت عند ابن شيث (٧:٦٨)و يميز في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفروق في اللغة » بين بعض هذه المترادفات ، فيرى أن الفرق بين الجنس والنوع، أن الجنس أعمّ من النوع ، لأن الجنس هو الجملة المتفقة ، سواء أكان مما يعقل أو من غير ما يعقل ، والنوع الجملة المتفقة من جنس ما لا يعقل ، والفرق بين الجنس والصنف ، أن الصنف ما يتميز من الأجناس بصفة، فيقولون : السوداوات . والفرق بين الضرب والجنس ، أن الضرب اسم يقع على الجنس والصنف ، والجنس قولك : الحمر ضرب من الحيوان ، والصنف قولك التفاح الحلو صنف ، والحامض صنف .) (١٥٧:٨٢)

وفي باب البكاء : وَكَفَتْ دموعه ، وهَمَلتْ ، وذَرَفَتْ ، وسكبتْ ، وردّتْ ، وهَطَلَتْ ، وارفضتْ ، انهلتْ ، وانصبّتْ ، وانحدرتْ ، وفاضتْ وهتنت وسالت.وقد جاء في « الألفاظ الكتابية » في باب البكاء ، تشابه بلفظين مع ما جاء عند ابن شيث في هذا المجال هما (انسكبت وهطلت .)(٦٩:٨٠)،وجاء في الألفاظ المترادفة تشابه في ثلاثة ألفاظ ، وذلك في فصل(سالت ووكفت)(٨: ٦٨–٦٩).ويميز في « الفروق في اللغة » بين هذه المترادفات ، فيرى أن (السكب هو الصب المتتابع ، والصبّ يكون دفعة واحدة، والهمول يفيد أن الهامل يذهب كل مذهب من غير مانع ، والهطل دوام السيلان في سكون) . (٨٢: ٣٠٨–٣٠٩)

وفي باب الافتقار والعوز : افتقر وأعوز وأملق واعدم ، وأحوج ، وأقلّ ، وعال وأضاف وأصوم ، وأدقع ، وترب ، وأقوى وأندي وأخف ، وأصفرّ وأرحل ، وأنفر .وجاء في « جواهر الألفاظ » في(باب الفقر والحاجة)، خمسة ألفاظ مما ورد عند ابن شيث ، ماعدا أعدم وأفاق (٣٩:٨٠–٤٠).ويفرّق في كنز الحفاظ » بين بعض المترادفات من حيث تدرجها في الدلالة على الفقر فيقول : « إذا ضر به الدهر بالفقر والفاقة ، قيل أصرم وألفج ، فإذا لم يبق له شيء قيل أعدم وأملق ، فإذا ذلّ في فقره قيل أدقع ، فإذا ما تناهى سوء حاله في الفقر ، قيل أفقع » (٨١: ٧٧)، وجاء في « الألفاظ المترادفة » ثمانية مترادفات مما جاء عند ابن شيث (٥٧:٨).ويميز في « الفروق في اللغة » بين عدد من المترادفات : فيرى أن (المعدم الذي لا يجد شيئاً ، والفرق بين الفقير والمملق : أن المملق مشتق من الملق ، وهو الخضوع والتضرع فلما كان الفقير أكثر الحال خاضعاً متضرعاً ، سمي مملقاً ، ولا يكون إلابعد غنى،والفرق بين الخلة والفقر ، أن الخلّة الحاجة ، وسميت الحاجة خلة لاختلال الحال بها ، فالفقر أبلغ من الخلّة ، لأن الفقر ذهاب المال ، والخلّة الخلل في المال ، والفرق بين الفقر والحاجة ، أن الحاجة هي النقصان ، والفقر خلاف الغنى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٨٢: ١٧١– ١٧٢) .

وفي باب التعب والعناء : أخذ منه الإعياء والتعب والنصب ، واللغوب والكلال والكد ولقد جاء في « جواهر الألفاظ » في(باب التعب والإعياء)كل ما أورده ابن شيث من مترادفات في هذا المجال (٨٠: ٢٢٣–٢٢٤) ، وأورد في « الألفاظ المترادفة » في(فصل التعب والنصب) خمسة ألفاظ مما جاء عند ابن شيث (٨: ٧٥) ،وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على تأثر ابن شيث بما كتبه السابقون ، ونقل عنهم بعض مما جاء عندهم.

وفي باب ما ارتفع من الأرض : هو على نجوة من الأرض ، وعلى نشز ، وعلي هضبة ، وعلي مراصد وعلى ربوة ، وعلى أطمة، وعلى أكمة ، وعلى رابية وعلى يفاع ،وعلى ذروة ، وعلي ثنيّة .وجاء في « جواهر الألفاظ » في(باب الارتفاع والاستشراف)أربع كلمات مما جاء عند ابن شيث في هذا المجال (٧٩: ١٦٦–١٦٨).وجاء في « الألفاظ الكتابية » ستة ألفاظ مما جاء عند ابن شيث . (٨٠: ٤١) وأورد في « فقه اللغة وسر العربية » فصلاً في ترتيب ما ارتفع من الأرض من حيث العلو يقول : « أصغر ما ارتفع من الأرض النبكة ،ثم الرابيةأعلى منها ، ثم الأكمة ثم الزبيّة ثم النجوة ، ثم القف ، ثم الهضبة ، ثم القرن ، ثم الدك ثم الطود ، ثم الباذخ ، والشامخ ، ثم الشاهق ثم الأيهم » . (١١٣:٣٠٦)

باب الذلة والحقارة :هو في خمول وغموض وخساسة وضعة وسفال ودناءة وانحطاط وذلة وصغار ، وجاء في « جواهر الألفاظ » في باب الذلة والصغار لفظان مما جاء عند ابن شيث هما(الذلّة والصغار .)(٧٩:٢٦٦).وأورد في « الألفاظ المترادفة » في(فصل ذلّ وخضع)لفظان مما جاء عند ابن شيث (٨:٦٠) ويميز في « الفروق في اللغة » بين بعض المصطلحات الواردة في هذا الباب فيرى أن (الفرق بين الذل والصغار أن الصغار هو الاعتراف بالذل والاقرار به ، ويفرق بين الذلّ والضعة في أن الضعة لا تكون إلا بفعل الانسان ويكون بفعل غيره ذليلاً (٨٢: ٢٤٤) .

وفي باب الحزن والامتعاض : حزنتُ له ووجمتُ له ، وارتمضتُ له، وتوجدتُ له، وأسيتُ واكتأبتُ له ، وجزعتُ له وهلعتُ له . وجاء في « الألفاظ الكتابية » كل ما ذكره ابن شيث ما عدا توجدت له ، وآسيت . (٨٠: ١٤٩ – ١٥١)ويميز في « الفروق في اللغة » بين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحزن والكآبة ، فيرى أن (الكآبة أثر الحزن البادي على الوجه ، أما الحزن فلا يرى) . (٨٢: ٢٦٢) ويذكر الثعالبي في « فقه اللغة وسر العربية » تفصيلاً في أوصاف الحزن : الأسى ، واللهف حزن علي الشيء يفوت ، والكآبة ، سوء الحال والانكسار مع الحزن » (١١٣: ١٩٥)

وفي باب أجناس السرور: سرنيّ الأمر ، وأجد لني ، وأنسني وأبهجني ، ورفع ناظري ، وسرّ ى همّي ، وأسلى غمي وأجلى كربي ، وسررت به، وجذلت به وبهجت به، وابتهجت به، واستبشرت له ، واغتبطت به، وارتحت له.ويورد في « الألفاظ الكتابية » كلّ الألفاظ ما عدا أسلى غمي وأجلى كربي (٨٠: ١٥١ -١٥٢).وفي الألفاظ المترادفة جاء في(فصل السرور والجذل)خمسة ألفاظ مفردة مما جاء عند ابن شيث (٨:٥٧).ويميّز في « الفروق في اللغة » بين بعض هذه المترادفات فيرى أن « الفرق بين السرور والاستبشار ، أن الاستبشار هو السرور بالبشارة ، ويفرّق بين السرور والجذل ، فيرى أن الجذل هو السرور الثابت ، مأخوذ من قولك : جاذل)(٨٢:٢٦).ويورد في «فقه اللغة وسرّ العربية » مراتب السرور (أول مراتبه الجذل والابتهاج ثم الاستبشار ثم الارتياح ، ثم الفرح ثم المرح .) (٨٢:٢٦٠) وفي باب خلاصة الشيء : اعتان الشيء إذا اخذ عينة وانتخبه ، وانتقاه ، واعتامه ، واختاره . ولقد أورد في « جواهر الألفاظ » في باب اختار الشيء كل ما جاء عند ابن شيث ما عدا اعتان (٧٩:٢٨٩).أما في « الألفاظ الكتابية » فيورد كل ما جاء عند ابن شيث من مترادفات (٨٠: ١٥٧-١٥٨)،ويورد في « الألفاظ المترادفة» في(فصل اخترته وانتخبته)ثلاثة ألفاظ مما جاء عند ابن شيث (٨: ٨٠).

وفي باب العزم على الشيء:أجمعت المسير ، وعزمت عليه، واعتزمت ، ونويته ، وانتويته ، وارتأيته وأورد في « جواهر الألفاظ » تحت عنوان(العزم على الأمر وصرّ الهمة إليه)، كلّ ما أورده ابن شيث ما عدا ارتأيت . (٧٩: ٢٩٥ - ٢٩٦)،وجاء في « الألفاظ الكتابية » تحت العنوان نفسه كل المترادفات ما عدا ارتأيته (٨٠:١٦٤)

- وفي باب المأثم : - يقول فيه : لا وزر عليه ، ولا حرج ، ولا إثم،ولا خوف ، ولا جزع ، ولا كف ، وهو يتحوب من ذلك ، ويتحرج منه ، ويتألم منه ، ويتورع عنه ويتجنب . وجاء في « الألفاظ الكتابية » العنوان نفسه مع إيراد أربعة ألفاظ مما جاء عند ابن شيث هي(وِزْر ، وإثم وحرج)(٨٠: ١٠٧-١٠٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– وفي باب احتمال الأذى : أغضى على القذى ، وكظمَ الغيظ ، وأساغَ الشجا ، وتجرّع الغصة ، وردّد أنفاس الصعداء ، وتجرّع كأسَ الضيم ، وأقام على الذّل وأقرّ الحيف والخسف ، واعترف بالذلة ، وأطرق على المضض ، وغص بالجرعة وشرق بالريق . وجاء في الألفاظ الكتابية في (باب احتمال الضيم) المترادفات نفسها التي عند ابن شيث (٨٠:٢٧٢) .

– وفي باب الأمراض والعلل : هو سقيم ، وعليل ، ومريض ، ومعتلّ ، ووجع ، وموعوك ،ومحموم ، ومورود ، ووصب ، ومشفٍ ومدْنِف . وجاء في « جواهر الألفاظ » ، باب المرض والعلّة كل المترادفات التي جاءت عند ابن شيث في هذا الباب ماعدا مورود، ومشف . (٧٩: ٣٠٠–٣٠٢) ،وأورد صاحب « الألفاظ الكتابية » تحت العنوان نفسه كل ما أورده ابن شيث ما عدا مشفٍ (٨٠:١٧٢–١٧٣) ، وجاء في « الألفاظ المترادفة » في فصل « مريض وسقيم » خمسة ألفاظ مما جاء عند ابن شيث هي (عليل ،وسقيم ووجع ، ووصب ،ودَنِف)(٨:٧٥)،ويرتب في « فقه اللغة وسرّ العربية » هذه المترادفات حسب الشدّة في فصل بعنوان ترتيب أحوال العليل ، فيورد (عليل ثم سقيم ثم مريض ثم وقيذ ثم دَنِف ثم حَرِض ، وهو الذي لا حي فيرجى ، ولا ميت فينسى) (١١٣: ١٤١)

من خلال استعراض هذه الأبواب يتبين لنا تأثر ابن شيث بمن سبقه في هذا المجال ، إلاّ أن ذلك لم يطغَ على شخصيته،إذ كانت له طريقته الخاصة في العرض والانتقاء ، ففي حين كان هدف الدراسات السابقة التحديد ، وبيان الفرق الدقيق بين المترادفات ، نجد هدف ابن شيث مدّ الكاتب باكبر كمّ من المترادفات المفردة والمركبة . ويظهر أكثر تأثر لابن شيث بما جاء في الألفاظ الكتابية وخاصة أنّه يسوق عدة أبواب مرتبة حسب ما جاء في الألفاظ الكتابية ويورد فيها نفس المترادفات وهي : باب التعب والعناء ، با ب الحزن وباب أجناس السرور ، وباب معنى خلاصة الشيء ، وباب العزم على الشيء ،وبا ب المأثم ، وباب في احتمال الأذى . وعلى الرغم من هذا التأثر في هذا القدر الضئيل من الأبواب ، إلا أن هناك أبواباً ظهرت فيها ثروته اللفظية الخاصة ، إذ أورد مترادفات تتشارك مع السابقين في المعنى إلا أنه عبّر بألفاظ مستقلة منفردة من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنده منها :

- في باب القيام بالأمر بكل طاقة ممكنة : قام بالأمر ، ونهض فيه ،وأضطلع به ، واستنفذ فيه وسعة ، وأفني طاقته ، وبذل جهده ، وأبلى فيه جدّته ، وبلغ غايته ، وانتهى إلى مداه ، ولم يأل فيه جهداً ، ولا أدخر فيه وسعاً ، ولا أبقى فيه ممكنا ، ولا ترك دونه قدرة . وجاء في جواهر الألفاظ في(باب النهوض بالأمر) (وباب الاضطلاع بالأمر والقيام به)(٧٩:٢٥٨-٢٦٧-٢٦٨) ، معنى ما جاء عند ابن شيث ، ولكن الألفاظ مختلفة .

- وفي باب صدق المحبة وخلوصها : صادق المودة ، وخالص المحبة ، وسليم المقة ، وصافي السريرة ، ومحض الإخاء ، وكريم الخلة . ويورد في جواهر الألفاظ(باب الخلوص من الشوائب). معنى الخلوص مثل محض، وصاف ، إلا أنه لا يتعرض لألفاظ المحبة (٧٩: ٣٩٢).

- وفي باب سوء العاقبة والمنقلب : هو أنكد عاقبة ، وأوخم مرعى ، وأعمق مهوى ، وأضرّ لدين ، وأفسد لعرض ، وأدعى لمقت ، وأوشك لسخط .يتشابه هذ الباب مع ما جاء في جواهر الألفاظ بعنوان «الإيذاء والمضرّة» ، وباب« الفساد» (٧٩: ١٤٥، ١٤٤ - ١٤٨) في المعنى دون الألفاظ .

- باب إعاثة الفساد : آثار الكامن ، وحرّك الساكن ،وضرم الغيظ ، وأوجب الحقد ، وزرع الضغن ، وكدّر الصفو ، وكره المودة، وأساء الظن وغير الثقة ، وشكك اليقين ، ودنّس الرحض، ومذق المحض ، وحلّ العقد ، وأوجب اليقظة ، وبتّ الوصلة . وجاء في « الجواهر » في(باب الفساد) قرب من المعنى في هذا الباب الذي ورد عند ابن شيث . (٧٩: ٩) .

- باب الصلة : بينهما رحمٌ ماسة ، وقرابةٌ قريبة ، ونسبٌ دانٍ،وحرمةٌ سالفة ومعرفة سابقة، وحقوق واجبة ، وأسبابٌ متصلة ، وآصرةٌ واشجة ، وأخوةٌ صادقة ، وصلة متأكدة ، وفروض لازمة ، وصحبة قديمة ، وحرمات واضحة، وعشرة مرعيّة ومؤانسة ظاهرة .وقد جاء هذا المعنى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في جواهر الألفاظ (باب القرابة والاتصال)(٨٠: ٣٤) ، إلا أنه يتشابه في المعنى فقط .

– باب في الجود : يقول فيه : هو منجمُ الجود ومنبعُ الفضل ، ومغرس الخير ، وملاذ الخائف ومأوى الطريد ، ومقرّ الشريد ، ومقصد الرجاء ، ومُؤمّل الآمال ، ومبرك المطي، ومنزل الضيف ، ومحطّ المحاويج ، وثمال الأرامل ، ومورد العطاش ، ومراد الطالب ، وبغية السائل ، ومستروح الركاب ، وملجأ الخائف . وجاء في جواهر الألفاظ (باب كريم جواد) ما يتفق مع ما جاء عند ابن شيث في المعنى فقط دون الألفاظ (٧٩: ٢١٣– ٢١٤) وأورد صاحب « الألفاظ الكتابية » في(باب السخاء)أيضاً ،ما يتشابه مع ما جاء عند ابن شيث في المعنى (٨٠ :٩٤–٩٥) .

–وفي باب الإخلاق : أخلقت مودته ، وخُلقتْ ، رثتْ ، وبليتْ صحبته ، ورق حبله ، واستحال رأيه ، وانتفض سببه وخبثتْ نيته ، وتغيرتْ طويته ، وتنكر معروفه ، وتجعد منبسطه ، وأزوى بِشْرَه ، وأزورّ بِشْره . وجاء في « جواهر الألفاظ » (باب البلى والدثور) ما يتشابه في المعنى دون الألفاظ مع ما جاء عند ابن شيث (٧٩ : ٣٣٢) ،وجاء في « الألفاظ الكتابية » (باب الإخلاق) ما يدور حول معنى البلاء والعدم ، بينما جاء عند ابن شيث بمعنى التغير (٨٠: ٢٢٠ –٢٢١) .

– باب الغليل وإخماده : نُقع الصدى ، وبُرد الغلة ، وثُلج الصدر ، وبَسط النفس ، وأقرّ العين ، وجدد الأنس ، ونفث الروح ، وأبشر الجوارح وأراح الجوانح . وجاء في « جواهر الألفاظ » ، في(باب البغضاء والحقد) تشابه في المعنى (٧٩:٣٨–٣٩) وأورد في « الألفاظ الكتابية » ، في(باب إسكان الغيظ) ما يتشابه في المعنى مع هذا الباب ، ولكن دون اللفظ (٨٠: ١٩–٢٠)

وعلى الرغم من أن المعاني التي تناولها ابن شيث في هذه الأبواب مطروقة ، الا أنه يبقى له الفضل في التجديد ، عن طريق الألفاظ التي انفرد بايرادها ،ولم ترد عند غيره .

–وثمة أمور لغوية يخالف فيها ابن شيث من سبقه ، من ذلك اعتباره المقوي(أصله من قولهم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرض القواء وهي التي لا شيء فيها)(٧:١٨٧) وجاء في اللسان ، (والخالية من الأرض القيّ بالكسر والتشديد) . (٣٢: قوي) ، ومن ذلك ما يعلل به ابن شيث الجون : إذ يعتبر(الجون الأسود ، والأبيض ، لأن الشمس إذا أقبلت ابيض المشرق وأسودّ المغرب ، فصارت الجون سواءً وسميت الشمس جونة لذلك)(٧: ١٨٧) في حين يذهب في « الأضداد » إلى أنه(تسمى الشمس جونة لبياضها ويغلب سمة السواد على البياض)(٩٠:٩١-٩٢) وإذ يعتبر ابن شيث المقوي الذي له زاد ، والذي لا زاد له، يذهب في « الأضداد » إلى أن المقوى الضعيف .)(٩٠: ٩٣) أما في « ذيل في الأضداد » فيرى أن المقوى هو الكثير المال والذي لامال معه(٩٢: ٢٤٣)

وإذ يذكر ابن شيث أن(لفظ السكين مما يذكّر فقط (٧ : ١٩٤) جاء في « أدب الكاتب » أنها(مما يذكر ويؤنث)(٥٥ : ٢٨٨).وقد أورد في « تثقيف اللسان » أن السكين مذكر فقط ، وأيّدذلك بقوله : « قال أبو حاتم السجستاني : زعم من لا يوثق به أنه سمع فيه التأنيث ، وليس ذلك بشيء ، قال : وسألت أبا زيد والأصمعي وغيرهما ممن أدركنا ، فكلهم يذكر السكين ، وينكر التأنيث » (٩٥ : ١٧٤) ومن هنا يتأكد صحة ما يذكره ابن شيث .

وحين اعتبر ابن شيث « عقاب ، وأفعى وعقرب ، وفرس » مما يؤنث فقط ، ذهب في « أدب الكاتب إلى أنها(تكون للمذكر والمونث على السواء)(٥٥ : ٢٩٠ - ٢٩١) .

وقد اعتبر ابن شيث الحروف مما يؤنث فقط ، بينما جاء في « تثقيف اللسان » أنها(مما يذكر ويؤنث وتذكيرها جائز ومستعمل ، يقال هذه باء ، وهذا باء .... وكذلك سائر الحروف)(٩٥ : ١٨٠) وإذ يعتبر ابن شيث الكف مؤنثاً ، جاء في « المذكر والمؤنث » لابن الأنباري (ت:٣٢٨) أن(هناك من ذهب الى تذكيرها)(١١٤ : ٢٧٩) .

وإذا قارنا بين ما جاء عند ابن شيث في المذكر والمؤ نث ، وما أورده كتاب « المذكر والمؤنث » ، نجد مثلاً أنه في كتاب « المذكر والمؤنث » في باب ما يؤنث من الإنسان ولا يذكر ، يتشعب في الموضوع مما يصعب على الإنسان الوصول الى نتيجة حاسمة ، ففي ذكره للفظة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكف يعرض لمن ذكرها ، ويذكر الآراء ، فيستغرق فيها سبع صفحات (١١٤ : ٢٧٨ – ٢٨٤)، بينما يتميز عرض ابن شيث بالسهولة والاحاطة مع الإيجاز .وفي باب ما يذكر من الإنسان ، ويؤنث ، يذكر لفظة عنق ، ويعرض الآراء في تذكيرها وتأنيثها . أما ابن شيث ، فيجمل ولا يفصل ، إلا أنه وفى بالغرض .ونجد أن ما يذكره ابن شيث في صفحتين ، قد امتد في كتاب « المذكر والمونث » في ستة أبواب هي :

-(باب ما يُذكر من الإنسان ولا يؤنث – باب ما يؤنث من الانسان ولا يذكر – باب ما يذكر من الإنسان ويؤنث – باب ما يذكر ويؤنث من سائر الاشياء – باب ما يذكر من سائر الاشياء ولا يؤنث – باب ما يؤنث من سائر الاشياء ولا يذكر .)(١١٤ : ٢٦١ – ٤٠٤)

ويذكر ابن شيث أن(إسكاف يقولونها لصانع النعال خاصة ، بينما يقال لكل صانع عند العرب إسكاف وأسكوف أيضاً .)(٧ : ٢٢٦) وهذا يخالف ما جاء في « تقويم اللسان » من أن (الإسكاف عامية ، وأن الأسكف تصحيح لما تسميه العامة الإسكاف)(٩٦ : ٧٧)الإ أن رأي ابن شيث يتفق مع ما جاء في لسان العرب من أن لفظة الإسكاف تقال لكل صانع عامة ، دون تخصيص بحرفة معينة ، أما إذا أرادوا التخصيص بصناعة النعال ، قالوا « أُسكف » (٣٢ : سَكَفَ) .

ويتناول ابن شيث قضية التأنيث الحقيقي والمجازي بصورة متميزة،فيذكر ما يقال للمرأة من صفات تؤنث وتذكر ، والتي لا تؤنث منها . في حين نجد في « أدب الكاتب » أن المؤلف يتناول هذه القضية من حيث(إلحاق تاء التأنيث بالأسماء وتميزها)(٥٥ : ٢٨٧ – ٢٩٠).أما في كتاب الفصيح »لثعلب (ت: ٢٩١هـ) فنجده يهتم(بالمؤنثات السماعية التي وردت أسماؤها خالية من أي علامة للتأنيث)(١١٥ : ٢٨٩ – ٢٩٣).

ويعتبر ابن شيث القياس في تعريف العدد ، دخول أل التعريف على الجزء الأول من العدد وعلى التمييز إذا كان العدد مفرداً ، ويؤيد رأيه بأن ذلك قد صوبه أبو العباس وغيره من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البصريين، ولكنّنا نجد إذا رجعنا للمقتضب للمبرد (ت:٢٨٥هـ)، أنه يذكر غير ما ورد عند ابن شيث يقول : « اعلم أن قوماً يقولون أخذت الثلاثة الدراهم ، وأخذت الخمسة عشر الدرهم ، وأخذت الخمسة العشر الدرهم ، وهذا كله خطأ فاحش ... فإن أردت التعريف : قلت هذه ثلاثة الأثواب ، لأن المضاف إنما يعرفه ما يضاف اليه ، فيستحيل هذه الثلاثة الأثواب .أما قولهم الخمسة العشر ، فيستحيل لأن خمس عشر بمنزلة حضر موت وما أشبه ذلك من الاسمين اللذين يجعلان اسماً واحداً .

فإذا كان شيء من ذلك نكرة ، فإن تعريفه أن تجعل الألف واللام في أوله لأن الثاني قد صار في درج الكلام الأول. (١١٦ : ١٧٥).وإلى هذا الأمر يذهب سيبويه فيقول : « وتُدخِل في المضاف اليه الألف واللام ، لأنه يكون الأول به معرفة ... وإذا أدخلت الألف واللام قلت : خمسة الأثواب ، وستة الأجمال . » (٧٦ : ١٠٥)

وفي أدب الكاتب يذهب إلى ما ورد في « المقتضب » والكتاب » فيرى (أن دخول التعريف على التمييز دون العدد . تقول : عشرة الدراهم ، لأن المضاف إنما يعرف بما يضاف إليه، وكذلك العدد المضاف كله ، أما إذا كان العدد مركبا ، مثل ثلاث عشرة فيدخل على الأول دون الثاني ، ودخوله على الثاني ردىء ، ويرى في العشرة وما دونها إدخال الألف واللام على الأول خطأ في القياس ، ويجوز التسعة الدراهم على اعتبار الدرهم وصفاً للتسعة وأذهبت الإضافة) . (٥٥ : ٢٧٣).وإذ يرى ابن شيث أن صباحَ مساءَ لا ينون،لأنه أجرى مجرى خمسة عشرة فجعل حرفاً واحداً ، جاء في تقويم اللسان » حالات لا تبنى فيها صباح مساء ، يقول : « فلان يأتينا صباحَ مساءٍ على الإضافة ، يريد أنه يأتي في الصباح وحده على تقدير في صباحٍ مساءٍ ، وتقول يأتينا صباحَ مساءُ على فتح الاسمين تريد أنه يأتينا صباحاً ومساءً. » (٩٦ : ١٥٠)

– هذا ويعقب المحقق على أن حذف الهمزة إذا سكن ما قبلها مخالف ، لما يذهب إليه اللغويون ، ويخص ما جاء في « أدب الكاتب » ، إذ يذكر المحقق بأنه يفضل في أدب الكاتب كتابة يسأل ، ومسألة بألف ، إلا أنني بالرجوع الى أدب الكاتب في باب الهمزة ،وجدته يورد «

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا قلت من ذلك يفعل ، حذفت فكتبت يسئل ... وكذلك تكتب مسئلة)(٥٥ : ٢٢٦) .

وإذا نظرنا في الدراسات السابقة لموضوع الهجاء ، نجد ابن شيث يلخّصها بصورة يسيرة وغير معقدة ، ويقصرها على الأسماء . فإذا نظرنا مثلاً إلى « أدب الكاتب » ، نجد تشعباً وعدم تنسيق في العرض) (٥٥ : ٢٦٦ – ٢٦٨)، وكذلك ما جاء في تثقيف اللسان في باب الهجاء (٩٥ : ٣٠٥ – ٣٠٧) .

ونجد ابن شيث لا يتفرّد بتعرضه لما يكتب بالألف والياء ، فقد جاء في « أدب الكاتب » باب(فيما يكتب بالياء والألف من الأفعال)(٥٥ : ٢٥٥) ، إلا أن الشرح كان نثراً وليس منظومة .أو.رد فيه قواعد الكتابة بالألف والياء في الأفعال ، إلا أن عرض ابن شيث تميز بالبساطة والوضوح واليسر ، وشمل كلاً من الأفعال والأسماء .ولقد تعرض لهذا المجال في « أدب الكتاب » ، فعقد باباً لما يُكتَب بالألف والياء من الأفعال ، وباباً للأسماء خص فيها(المقصور والممدود) بالذكر (٥٨ : ٢٥٣ – ٢٥٥)،إلا أنه تمثل بقواعد نظرية ، ولم يورد منظومة ، ولم يراع انسجاماً في ترتيب القواعد مما جعل ابن شيث متميزاً في طريقة العرض دائماً ، وهذا يضفى عليه نجاحاً من الناحية التعليمية .

ـ ولقد تناول ابن شيث الأمثال على اعتبار أنها من الأمور التي تخص الكتابة ولا يستغنى عنها الكاتب ، يقول : « فالتمثل بالمثل السائر في موضعه من أحسن أنواع الكتابة ، وأعظم فنونها ، ونحن نورد في هذا الباب ما لا يستغنى عنه الكاتب ، ولا بد فيه من التوسع لمسيس الحاجة إليه» (٧ : ١٣٨) ، ولذا نعتبر ابن شيث متميزاً في هذا المجال ، ولا سيما إذا قارنا بينه وبين ما كتب سابقوه من حيث المنهج والمحتوى ، إذ نجد الذين اعتنوا بالأمثال فيما مضى قد اتبعوا مناهج متقاربة من حيث إدراج المثل وايراد قصته ، وأول من قاله ، وتدعيم هذا المثل بأبيات شعرية قيلت في مناسبته . وممن تبع هذا الترتيب ، أبو فيد مؤرج السدوسي (ت ١٩٨ هـ) في كتابه « الأمثال » ويتشابه ابن شيث معه في أحد عشر مثلاً ، ونجد أبا فيد لا يتبع ترتيباً هجائياً في ذكر الأمثال (١١٧ : ٢٠ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣) وفي كتاب « الأمثال » لأبي عكرمة الضبّي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ت:٢٤٤هـ)، يرتب الأمثال على حروف الهجاء ويوجد عند ابن شيث مثلان مما ساقه في كتابه . (١٨ : ١١٠ ، ١١٢) وفي « جمهرة الأمثال » للعسكري يورد المثل والحادثة التي وراءه ويتشابه ابن شيث معه في واحد وتسعين مثلاً : (١٠٠ : ١ / ١٠٥ ، ٦٥ ، ٥٤ ، ٢٥ ، ٤٩٤ ، ١٢٩ ، ٣٠٣ ، ٧٩ ، ٢٦٦ ، ٥٨ ، ٢١٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣١٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٢ ، ٣٥٩ ، ٢٩٩ ,٣٥٥، ٤١٥، ٤٢٤ ، ٤٦٤ ، ٤٦١ ، ٤٩١ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٤٩٤ ، ٤٧٥ ، ٥٠٥ ، ٥١٢ ، ٥٢٥ ، ٥٤٧ ، ٥٧٥ ، ٣٢٤ ، ٤٤٤ ، ١٨٣ ، ٥١١ ، ٣٧٧ ، ٢٢٠ ، ١٠٧/٢ ، ٢٨٢ ، ٤٤ ، ٤٢ ، ٥٦ ، ٨١ ، ٩٢ ، ٩١ ، ١٢٢ ، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٤٢ ، ٣٩٨ ، ٣٩٤ ، ٢٨٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢١٣ ، ٢٧٢ ، ٢٤٣ ، ٣٥٥ ، ٣٤٠ ،٢٤٣، ٤٢٤ ، ٣٥٥ ، ٣٣٨ ، ٢٢٠ ، ٤٦

وفي « الفاخر » لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (ت ٢٩١ هـ)، يورد المثل وقصته وما جاء فيه من شعر ، ويتشابه معه ابن شيث في واحد وثلاثين مثلاً ، ولا يتّبع ترتيباً هجائياً في إيراد الأمثال . (١١٩ : ١٦ ، ١٩ ، ٢١ ، ٣٢ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٩ ، ٩٧، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٦ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٣١٤ .)

وفي كتاب « فصل المقال في شرح الأمثال » لأبي عبيد البكرى(ت:٤٨٧هـ)، نجد المؤلف يورد عشرين باباً كبيراً يتضمن كلٌّ منها فروعاً تندرج تحتها ، ويتشابه ابن شيث معه في سبعة وأربعين مثلاً . (١٢٠ : ٤٨٩ ، ٢٦٤ ، ٣٩١ ، ٢٣٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٢٨٦ ، ٤١٩ ، ٣٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ٢١٥ ، ١٨٥ ، ٢٨٩ ، ١٢٧ ، ٤٢٠ ، ٣١٧ ، ٤٣٥ ، ٤٣ ، ٢٨٧ ، ٣٣٥ ، ٣٥٤ ، ٩٢ ، ١٢٧ ، ٣٢٧ ، ١٢٥ ، ٣٥٧ ، ٢٩٥ ، ٤٠٥ ، ١٩٠ ، ٣٢٥ ، ٤٧٢ ، ٣٧٦ ، ٣٧ ، ٣٢٩ ، ٢٠٣ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٣٥٩ ، ١٩٩ ، ٣٠٦ ، ٢١٧ ، ٣٠٧ ، ٤٦ ، ٢٦٢ ، ٣٩٥ ، ٤٥٨)

– وكتاب الأمثال المسمى « بالفرائد والقلائد » لأبى منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) ، يرتب ثمانية أبواب لها عناوين ، ويسوق كل مثل تحت العنوان الذي يتناسب معه ، ولا يتشابه معه ابن شيث في أي مثل (١٢١ : ٤ ، ٨ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ٧٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- وفي « الوسيط في الأمثال » للواحدى (ت ٤٦٨ هـ) يرتب المؤلف كتابه في سبعة وعشرين باباً على حروف المعجم ، ويورد المثل وأول من قاله ، ويتشابه ابن شيث معه في أربعة وعشرين مثلاً (١٢٢ : ٨ ، ١٠ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٤ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٧٨)

- وفي كتاب الأمثال للميداني ، يرتب المؤلف الأمثال ترتيباً هجائياً ، ويتشابه معه ابن شيث في واحد وخمسين مثلاً . (١٠١ : ١ / ٥٤ ، ٦٢ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ١٥٨ ، ٢١٥ ، ٢٢٧ ، ٢٩٠ ، ٢ / ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٠ ، ٣٦ ، ٢٣ ، ٨٥ ، ٩٧ ، ١٠٦ ، ١١٥,١٥٥ ، ٣١٩ ، ٤١٦ ، ٤٤٠ ، ٤٣٤ ، ٤٧٨ ، ٣ / ١٩ ، ١٤ ، ٢٠ ، ١١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٢٦ ، ١١٧ ، ٢٩٤ ، ٢٨١ ، ٢٦٧ ، ٢٤٣ ، ٣٤١ ، ٣٢٣ ، ٣١٨ ، ٣٠٧ ، ٤٤١ ، ٤٣٣ ، ٤٧٩ ، ٤٩٠ ، ٥١٩)

وإذا نظرنا في الأمثال عند ابن شيث ، نجده يتّبع ترتيباً آخر ، وهو إيراد المثل دونما مراعاة الترتيب الهجائى ، وانما يورده منظوماً . ولقد جرى الشعراء منذ القدم على نظم الأمثال ، بل نجد منهم من خصص قصائد للأمثال ، كما في أرجوزة أبى العتاهية التي أورد فيها أربعة آلاف مثل ويقول في أولها :

حسبكَ فيـــــما تبتغيهِ القوت ما أكثر القـــوت لمن يموت

الفـــــقر فيما جاوز الكفافا من اتقى الله رجـا وخافـــا (١٢٣ : ٤٩٣ - ٤٩٦)

هذا ويورد ابن شيث صورة واحدة للمثل ، في حين نجد في الكتب السابقة إيراداً لأكثر من صورة من مثل أسمن كلبك يأكلك . (١٠٠ : ١ / ٥٢٥) ، (١٠١ : ١ / ٣٣٣ - ٣٣٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

كان لهذا البحث نتائج مهمة منها ما تعلّق بشخصية ابن شيث ، ومنها ما تعلق بكتابه وهي كما يلي :

أولاً : ففيما يتعلق بشخصية المؤلف، تبيّن أنه رجلٌ ذو مكانة رفيعة مؤثرة في عصره ، إذ إنه نعت بالأمير ، والوزير ، والقاضي الأجل ، وأنه أمتاز بكرم الأرومة ، إذ ينتهي نسبه إلى قريش ، وله شعر جيد في أغراض متعددة اكثرها في المديح ، وقد بلغ مجموع أبيات شعره المعروف ثمانين بيتاً ، إضافةً إلى منظومة فيما يكتب بالظاء بلغت تسعة وثلاثين بيتاً ، وأخرى فيما يكتب بالألف والياء بلغت ستة عشر بيتاً ، فضلاً عن أبيات الأمثال المفردة التي بلغت مائةً واثنين وستين بيتاً . وله نثر جيد، وقد عثرت على رسالة واحدة من إنشائه .

ثانياً : أما دراسة كتابه ، فقد أفادتنا بإشارات كانت مجهولةً لنا :

– منها ما يتعلق بأحد المنزلتين المفقودتين الأوليين من كتاب « الخراج وصناعة الكتابة » ، إذ تناول في إحداهما الكتابة وخصّ منها الشكل والنقط ، ونقله عنه ابن شيث كما بيّنا في صفحات هذه الدراسة . ولقد خصصنا المنزلتين الأوليين لأن باقي المنازل المفقودة معروفة ، فقد أشار إليها قدامة في طيات كتابه ، أما المنزلتان الأوليان فلم يتمكن المحقق من معرفة محتواهما . أما تخصيصنا كتاب « الخراج » بالذات من كتب قدامة فلأنه حسب معرفتي ، الوحيد الذي تعرض لهذه الناحية « فجواهر الألفاظ » في اللغة ،« ونقد الشعر » في الأدب ، والبلاغة و« نقد النثر» المنسوب إليه لم يتعرض مطلقاً للنقط، والشكل أو الكتابة بصورة عامة . وكتاب الخراج هو الوحيد الذي يشتمل على نقص ، ويشتمل عنوانه على ما يؤكد تعلّقه بالكتابة .

–ومنها ما يتعلق بالجزء المفقود من كتاب « معالم الكتابة » نفسه وهو الباب السابع ، إذ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وردت إشارة في صبح الأعشى عن ابن شيث لم يتضمنها الكتاب الذي بين أيدينا ، مما يدلّ على أنها في الجزء الذي فُقد .

-ومنها ما يتعلق بالجزء المفقود من كتاب « المغرب في حلى المغرب » لابن سعيد ، إذ ذكر الأدفوي في « الطالع السعيد » قسماً منه بعنوان « الحظ الأسنا في حلى إسنا» يتناول فيه علماء إسنا ، ومن بينهم ابن شيث ، وهذه الإشارة تدلّنا على اهتمام أهل المغرب بالمشارقة ، كما يقابلها إشارة من ابن شيث تدل على اهتمامه بالمغاربة وأنماط الكتابة عندهم، إذ يورد ما استقر عليه الحال في الكتابة عندهم ويقارنها مع كتابات المشارقة في موضعين .

- ومنها معرفة كتاب بعنوان « البداية » لابن أبي المنصور ، وهو يختلف عن « البداية والنهاية» لابن كثير ، إذ يتضمن الحديث عن علماء إسنا،وقد نقل عنه ابن سعيد في « المغرب » كما أشار الأدفوي في الطالع السعيد ، وهو لم يصلنا .

- ومنها كتاب « الأرج الشائق إلى كرم الخلائق » لابن شمس الخلافة ، وهو يجمع كلّ من مدح جعفر بن حسان الإسنائي ، ومن بينهمابن شيث ، وهو لم يصلنا ، ولم يرد ذكره إلاّ في الطالع السعيد ، وقد أغفله من ترجم لابن شمس الخلافة كما في«وفيات الأعيان» لابن خلكان .

-ومنها الإشارة إلى وجود كتاب في الخط لابن مقلة اسمه « جمل الخط » ذكره في مقدمة رسالته « في الخط والقلم » وهو مما لم يصلنا ، إلاّ أن ابن شيث نقل منه في الباب الثالث من كتابه .

- وتوجد إشارة لابن شيث أفادت أن المناطقة ، في عصره لم يكن لهم شأن يذكر ، ولا يعتد بأقوالهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– ومن خلال تحليل كتاب « معالم الكتابة » تبيّن أنه ريادي بالنسبة إلى مصطلح الكتابة الإنشائية وقوانينها في نهاية الدولة الأيوبية ، كما امتازبتلازم جانبين أضفيا أهمية على الكتاب: جانب نظري تقنيني ، وجانب تطبيقي فيما يتعلق بكل أبواب الكتاب . كما اشتمل على أمور مهمة في علوم العربية ، وآدابها ونقدها . وتفرّد بأسلوب جديد في عرض معجم للعربية خصّه بالتراكيب ، ولم يقصره على الكلمات المفردة . ولقدتضمن الكتاب إشارات أعانت على توضيح جانبٍ من شخصية مؤلفه ، وهي ثقافته الواسعة، ولقد كانت أهميته الكبرى في احتفاظه بآثار مؤلّفه من شعر ونثر ومنظومات .

–ويعتبر هذا الكتاب صورة واقعية لما كان سائداً في الديار المصرية وبلاد الشام في عصره من حيث المصطلحات ، والألقاب والأنظمة الكتابية ، ولا سيما أن ابن شيث قد ولى ديوان الإنشاء في غير ما مكان ، منها قوص ، ومصر ، والقدس ، ودمشق فهو لم يكتب إلاّ من واقعٍ ممارس . وعلى الرغم من أن هذا الكتاب ليس أول مُؤَلَف في الكتابة في زمن الأيوبيين ، إلا أن هذه الكتب كانت في مجموعها تُعنى بجمع المكاتبات ، بالإضافة إلى العناية بديوان الإنشاء دون الالتفات إلى العناية بأصول الكتابة الإنشائية ، مما جعل كتاب « معالم الكتابة » متميزاً في محتواه. وتتبين لنا قيمة الكتاب ، حين نجد القلقشندي يعتبره المصدر الوحيد الذي يوضح حال الكتابة الإنشائية زمن الأيوبيين ، وينقل جزءاً كبيراً من الباب الثاني في موسوعة « صبح الأعشى » . وقد تجاهل القلقشندي الكتب الأخرى المتعلقة بالكتابة التي كانت في زمن مؤلف ابن شيث من مثل :« المثل السائر » لضياء الدين بن الأثير ، « وقوانين الدواوين » لابن مماتي . وقد خلص الكتاب من التفصيل الممل ، كما ابتعد عن الاختصار المخل ، وتميّز بجانب تعليمي جعله أكثر مرونة وسهولة من غيره . وقد أحتلّ الاهتمام باللفظ النصيب الأوفر من مادته ، سواء أكان في فصل مستقل أم في ثنايا الفصول ، ودعّم هذا الاهتمام مجيء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رسالة المؤلف عن اللفظ في طيّاته .

وقد ضمّ هذا الكتاب بين دفتيه ما يلزم الكاتب من حيث متطلبات الكتابة الإنشائية وأدواتها، فنجد أن ابن شيث قد خصّ الكتابة الإنشائية في باب مستقل ، وأفرد مطلباً لكتّاب الدواوين على اختلافها ، ثم خصّ باقي الأبواب للعلوم اللازم توافرها في الكاتب ومنها الخط ، واللغة والبلاغة والأمثال ، والتفسير ، والنقد ، والنحو والصرف .

وأخيراً نقول : إن هذا المؤلف قد غمط حقه ، فلقد عدمنا مصدراً وقف على تجلية سيرة حياته ومؤلفاته بصورة متكاملة ، وربما كان السبب في ذلك فقدان تلك المصادر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

١- ابن شيث القرشيّ :

عبد الرحيم بن عليّ بن شيث القرشيّ ت ٦٢٥هـ :-

«معالم الكتابة ومغانم الإصابة » تحقيق قسطنطين الباشا المخلصي ، الطبعة الأولى، المطبعة الأدبية ، بيروت - لبنان ، ١٩١٣م. ص٣، ٤

٢- الحرّ العاملي :

الشيخ محمد بن الحسن ت ١١٠٤هـ:-

« أمل الآمل » تحقيق السيد أحمد الحسيني ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأندلس، بغداد ، ١٣٨٥ هـ ، الجزء الأول .

٣- ابن شرف الدين الموسوي :

« محمد بن مكي ، الشهيد الثاني » ، مجلة العرفان ، المجلد الأول ، العدد العاشر ، ١٩٠٩ م . ص٥١٠- ٥١٣

٤- عيسى اسكندر المعلوف :

« ابن شيث القرشي ، مؤلف كتاب معالم الكتابة ومغانم الإصابة »، مجلة العرفان ، المجلد السادس العدد الخامس السادس ، نيسان ١٩٢١ م .ص٢٥٨

٥- كوركيس عواد :

« مؤلف معالم الكتابة ومغانم الإصابة » ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع ، كانون الثاني ، وشباط ، ١٩٤٣م .ص٣٧٨

٦- حسن الباشا :

« الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق ، الآثار » ، الطبعةالأولى ، مكتبة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٧ م .ص٣٨-٤٤ ,٣٨ ,٤٣-٤٤

٧- عبد الرحيم بن عليّ بن شيث القرشيّ :

« معالم الكتابة ومغانم الإصابة » تحقيق محمد حسين شمس الدين ، الطبعة الثانية،دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨ .ص١٥-١٦ ,١٠١ ,١٠٣ ٢٧،٩٤-٤٢ ,٢٤ ,٤٦ ,٢٣ ,٩٠-٩١ ,١٠٢ ,٩٦ ,١٧ ,٧٧ ,٧٩-٨٠

٨-الرّماني :

ابو الحسن عليّ بن عيسى بن عبد الله (ت:٣٨٤هـ)

: « الألفاظ المترادفة المتقاربة المعاني » تحقيق فتحي المصري ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، ١٩٨٨ م . ص٧٠

٩- زهير بن أبي سلمى :

« ديوان زهير بن أبي سلمى » ، جمع وتقديم كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٠- عبد الجليل عبد المهدي :

« الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأقصى عمان ١٩٨٠ م .ص١٦٤-١٦٦

١١- القلقشندي :

أبو العباس أحمد بن عليّ ت ٨٢١هـ «

صبح الأعشى في صناعة الإنشا» نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، ١٩٦٣م . الجزء الأول ، والجزء الثاني ، والجزء الثالث والجزء الخامس ، والجزء السادس ، والجزء السابع ، والجزء الثامن . ٦/٣٠٧ ,٢/٢٨٠ ,٥/٧٨ ،٧/٨٩ ،٨/٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢- الأدفوي :

أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب ت ٧٤٨ هـ

« الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد» تحقيق سعد محمد حسن ،الطبعة الأولى ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م.ص١٧٩, ٦٤٦, ٣٠٥

١٣- ابن خلكان :

أبو العباس ، شمس الدين ، أحمد بن محمد بن خلكان ت ٦٨١ هـ

« وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان » ، تحقيق د. احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٦٨ م ، الجزء الأول ، والجزء الثالث . ١/٣٦٢-٣٦٣

١٤- عبد اللطيف حمزة :

« الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول » ، دار الفكر ، مصر ، ١٩٤٧ م .

١٥- محمد زغلول سلام :

« الأدب في العصر الأيوبي » ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ م .

١٦- ابن شداد :

أبو المحاسن ، بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم الأسدي ت ٦٣٢ هـ

سيرة صلاح الدين « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » تحقيق جمال الشيال ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ١٩٦٢ م

١٧- بكري شيخ أمين :

« مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني » ، الطبعة الثانية ، دار الآفاق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.

١٨- المقريزي:

تقي الدين أحمد بن عليّ المقريزي ت ٨٤٥هـ

« الخطط » مطبعة المليجي ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ ، الجزء الرابع ، والجزء الثاني.

١٩- ابن الجوزي:

أبو المظفر يوسف بن قزأ وغلى التركي ، الشهير بسبط ابن الجوزي ت ٦٥٤هـ.

« مرآة الزمان في تاريخ الأعيان » الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد ، الدكن ، الهند ، ١٩٥١م، القسم الأول الجزد الثامن ، القسم الثاني الجزء الثامن. ١/٨ :٤٧٣. ٢/٨:٦٥٢-٦٥٣

٢٠- محمد كرد عليّ:

خطط الشام بدون تاريخ .الجزء السادس .

٢١- ياقوت الحموي:

أبو عبد الله شهاب الدين . ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ت ٦٢٦هـ،

معجم البلدان « طهران ١٩٦٥ م الجزء الأول ، الجزء الرابع

٢٢- ابن الشعار الموصلي:

المبارك من أحمد بن حمدان بن علوان الموصلي ت ٦٥٤هـ

« قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان » ، حققه نوري حمودي القيسي، ومحمد نايف الدليمي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب للطباعةوالنشر ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جامعة الموصل ، ١٩٩٢ م . الجزء الثالث .ص٣٢٥

٢٣- الصفدي :

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤هـ «

الوافي بالوفيات » باعتناء أيمن فؤاد سيد ،دار نشر فرانز شتايز فيسبادن بشتوتغارت ، ١٩٨٨م الجزء١٨ .ص٣٧٩, ٣٤٥

٢٤- ابن شاكر الكتبي :

صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي الدمشقي ت ٧٦٤هـ

« فوات الوفيات » تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٣ الجزء الثاني ، والجزء الثالث .٢/٢٣٧, ٣, ٤٧

٢٥- المنذري :

عبد العظيم بن عبد القوي بن عبدالله ت ٦٥٦هـ

«التكملة لوفيات النقلة» تحقيق وتعليق بشار عواد معروف، الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١م، المجلد الثالث، الجزء الخامس والثلاثون .ص٢١٧

٢٦- ابن الفوطي :

أبو الفضل كمال الدين عبد الرزاق البغدادي ت ٧٢٣هـ

« تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب » ، تحقيق مصطفى جواد ،مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٦٢م، ١٩٦٣م ،الجزء الرابع ، القسم الأول .ص ٢٠١

٢٧- الذهبي :

أبو عبد الله شمس الدين ، محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨ هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

« تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام » تحقيق بشار عواد معروف ، وشعيب الأرناؤوط ، وصالح مهدي عباس ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٩٨٨ م ، الطبعة الثالثة والستون . ص٢١٢-٢١٣

٢٨- الذهبي :

« سير أعلام النبلاء » تحقيق بشار عواد معروف ، ومحي هلال السرحان ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥ م ،الجزء الثاني والعشرون، ص٣٠١-٣٠٢

٢٩- ابن تغري بردى :

أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى ت ٨٧٤ هـ

« النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ، الطبعة الأولى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٦م ، الجزء السادس.ص٢٧١، ١٣٠، ١٧٠، ١٨٥

٣٠- ابن العماد الحنبلي :

أبو الفلاح عبد الحيّ بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ

« شذرات الذهب في أخبار من ذهب » ، مكتبة القدس القاهرة ، ١٣٥٠هـ، الجزء الخامس .ص١١٧، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٥

٣١- على مبارك :

«الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة »طبعة مصورة عن الطبعة الثانية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مركز تحقيق التراث،القاهرة،١٩٦٩،الجزء الثامن ص٦١

٣٢-ابن منظور :

أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ت ٧١١هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

« لسان العرب » دار صادر بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٨ م.

٣٣- ابن تغري بردى :

« المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي » تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤ م الجزء الأول .

٣٤- الزركلي :

«الأعلام » قاموس تراجم رجال ونساء ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٧٩ م ، الجزء الثالث.

٣٥- ابن كثير :

أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشيّ ت ٧٧٤ هـ

« البداية والنهاية » الطبعة الرابعة ، مكتبة المعارف بيروت ، ١٩٨٢ م، الجزء الثالث عشر .

٣٦- كارل بروكلمان :

« تاريخ الأدب العربي » الطبعةالثانية ، نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر ، راجع الترجمة رمضان عبد التواب ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ ، الجزء الخامس .

٣٧- ابن الأثير :

أبو الحسن عز الدين عليّ بن محمد بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠ هـ

« الكامل في التاريخ » ، الطبعة السادسة ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، الجزء التاسع ، والثالث عشر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٨- ابن طولون :

شمس الدين محمد بن على بن محمد بن طولون الصالحي ت ٩٥٣ هـ :

«القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية» تحقيق محمد أحمد دهمان ، دمشق ، ١٩٤٩م.

٣٩- أسعد محمد حسن

« المهدية في الإسلام » ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣م .

٤٠- الصفدي :

« أمراء دمشق في الإسلام » تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٩٥٥ م .

٤١- اليونيني :

قطب الدين موسى بن محمد ت ٧٢٦هـ

« ذيل مرآة الزمان » الطبعة الأولى ، حيدر آباد ، الدكن ، الهند ، ١٩٥٤ م ، الجزء الأول .

٤٢- ابن الفرات :

ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ، ت ٨٠٧هـ :

« تاريخ ابن الفرات » تحقيق حسن الشماع ، دار الطباعة الحديثة، العراق ، ١٩٦٩م ، المجلد الرابع ، الجزء الثاني .

٤٣- ياقوت الحموي :

« معجم الأدباء » أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، الطبعة الأخيرة ، مطبعة المأمون ، القاهرة ، ١٩٣٦، الجزء السادس عشر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٤- عبد الحكيم بلبع :

النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ، الطبعة الثالثة ، مكتبة وهبة ،القاهرة ، ١٩٧٥ .

٤٥- شوقي ضيف :

« في النقد الأدبي » الطبعة الثانية ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٢ م .

٤٦-اليزابيث درو :

الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، ترجمة محمد الشوشي بيروت ، ١٩٦١ م .

٤٧- ابن الرومي

« ديوان ابن الرومي » تحقيق حسين نصار، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٤م،الجزء الثاني .

٤٨- ابن الأثير :

أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٧هـ :

« المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » تحقيق أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة، الطبعةالأولى ، مكتبة نهضة مصر ،القاهرة، ١٩٥٩ م ، الجزء الثاني،والجزء الأول،ص٣ .

٤٩- الجرجاني :

أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز الجرجاني ت ٣٩٢ هـ :

« الوساطة بين المتنبي وخصومه » تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٠- ابراهيم أنيس :

« موسيقى الشعر العربي » ، الطبعة الثالثة ، دار الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

٥١- ابن رشيق القيرواني :

أبو عليّ الحسن بن رشيق القيراوني ت ٤٥٦هـ .

« العمدة في محاسن الشعر وآدابه » حققه وعلّق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، مطبعة السعادة ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٤م، الجزء الثاني ، ١٩٦٤م ، والجزء الأول ١٩٦٣ م .

٥٢- ابن قتيبة الدينوري :

عبد الله أبو محمد بن مسلم ت ٢٧٦هـ :

« الشعر والشعراء » الطبعة الأولى ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٤.

٥٣-ابن طباطبا العلوي :

محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي

« عيار الشعر » تحقيق وتعليق طه الحاجري، ومحمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية ، القاهرة ١٩٥٦م .

٥٤- محمد رضا الكحالة :

« معجم المؤلفين » تراجم مصنفي الكتب العربية ، دمشق ، المكتبة العربية ١٩٥٧ - ١٩٦١ ،الجزء الخامس.

٥٥- ابن قتيبة :

« أدب الكاتب » تحقيق محمد الدالي ، الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيروت، ١٩٨٢م.

٥٦–علي بن خلف الكاتب :

« مواد البيان » تحقيق حسين عبد اللطيف ، الطبعة الثانية، منشورات جامعة الفاتح ، طرابلس ، ١٩٨٢ م .

٥٧–ابن فضل الله العمري :

أبو العباس شهاب الدين ، أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ :

« التعريف بالمصطلح الشريف » مطبعة العاصمة، مصر ، ١٣١٢ هـ ، ١٨٩٤م .

٥٨– الصولي :

أبو بكر محمد بن يحيى ت ٣٣٥ هـ :

« أدب الكتّاب » تصحيح محمد بهجة الأثرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت، بدون تاريخ .

٥٩– ابن مقلة :

محمد بن على بن الحسين ت ٣٢٨ هـ :

رسالة في الخط والقلم :« ابن مقلة خطاطاً وأديباً مع تحقيق رسالته في الخط والقلم» تحقيق هلال ناجي ، الطبعة الأولى ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩١ م .

٦٠– الجاحظ :

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ت ٢٥٥ هـ :

« البيان والتبين » تحقيق وشرح عبد السلام هارون،الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي مصر ، مكتبة المثنى بغداد ، ١٩٦٠ ، الجزء الأول .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦١- النويري :

شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ :

نهاية الأرب في فنون الأدب »نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بدون تاريخ ،الجزء السابع

٦٢- ابن السيد البطليوسي :

أبو محمد عبدالله بن محمد ت ٥٢١ هـ:

« الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب » بيروت ، ١٩٧٣ م القسم الأول .

٦٣- أبو هلال العسكري :

الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران العسكري ت ٣٩٥ هـ :

« كتاب الصناعتين الكتابة والشعر » تحقيق على محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٢م .

٦٤-قدامة بن جعفر :

قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي ت ٣٣٧هـ:« نقد الشعر » تحقيق كمال مصطفى ،مكتبة ، الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ، ١٩٦٣ م .

٦٥- القزويني :

أبو المعالي جلال الدين محمد عبد الرحمن بن عمر القزويني ت ٧٣٩ هـ :

« الايضاح في علوم البلاغة »، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي ، الطبعة الثانية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، بدون تاريخ ،الجزء الثالث ، والجزء السادس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٦- أسامة بن منقذ :

أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكناني الشيرازي ٥٨٤هـ:« البديع في نقد الشعر» ، تحقيق علي مهنا ، دار الكتب العملية ، بيروت ، ١٩٨٧م .

٦٧- ابن المدبر

أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ، ت ٢٧٩هـ :

« الرسالة العذراء » ، تحقيق زكي مبارك ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣١م.

٦٨- ابن سنان الخفاجي :

أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد ، الخفاجي الحلبي ت ٤٦٦هـ :

« سر الفصاحة » صححه وعلق عليه عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة محمد علي صبيح ، القاهرة، ١٩٥٢ م .

٦٩- ابن المعتز :

عبد الله بن محمد بن المعتز بالله ابن المتوكل ٢٩٦ هـ :

« البديع »عنى بنشره اغناطيوس كراتشقوفسكي الطبعة الثالثة ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

٧٠- السكّاكي :

يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكّاكي الخوارزمي الحنفي ت ٦٢٦هـ :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

« مفتاح العلوم » الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى البابي ، مصر، ١٩٣٧ م ، القسم الثالث .

٧١-الجرجاني :

عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني ت ٤٧٣ هـ :

« أسرار البلاغة » تحقيق هـ - ريتر ، الطبعة الثانية ، مكتبة المثنى بغداد ، ١٩٧٩م .

٧٢- الصفدي :

« فض الختام عن التورية والاستخدام» تحقيق المحمدي عبد العزيز الحناوي ، الطبعة الأولى ، دارالطباعة المحمدية ، ١٩٧٩ م .

٧٣- عبد القاهر الجرجاني :

« دلائل الإعجاز » وقف على طبعه وتصحيحه ، وتعليق حواشيه محمد رشيد رضا ، الطبعة الأولي ، مكتبة القاهرة ، مصر ، ١٩٦١ م .

٧٤- الجاحظ :

« الحيوان» تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٩٦٩م ،الجزء الثالث .

٧٥- ابن جني :

أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ت ٣٩٢ هـ :

«الخصائص» تحقيق محمد على النجار ، دار الرائد ، ١٩٥٦ م الجزء الثالث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٦- سيبويه :

أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، ت ١٨٠ هـ .

« الكتاب » تحقيق عبد السلام هارون ،القاهرة، ١٩٦٩ م ،الجزء الأول .

٧٧-ابن فارس :

أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، ت :٣٩٥هـ .

«الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها » ، حققه وقدم له مصطفى الشويمي ،بيروت ١٩٦٣ م .

٧٨- ابن سيده :

أبو الحسن علىّ بن اسماعيل النحوي ت ١٠٦٦ م:« المخصص » المكتب التجاري ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ ، الجزء الثالث عشر .

٧٩- قدامة بن جعفر :

« جواهر الألفاظ » تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥ م .

٨٠- الهمذاني :

عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني ت ٣٢٠هـ :

« الألفاظ الكتابية » دار الكتب العلمية ، بيروت بدون تاريخ .

٨١- ابن السكيت :

أبو يوسف يعقوب بن السكيت ، ت ٢٤٤هـ:

« كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ » هذبه التبريزي ، ووقف على طبعه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وضبطه لويس شيخو، بيروت ، ١٨٩٥ م .

٨٢: أبو هلال العسكري :

« الفروق في اللغة » الطبعة الرابعة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٨٣- جورج مونان :

علم اللغة في القرن العشرين ، ترجمة نجيب غزاوي الطبعة الأولى ، وزارة التعليم العالي بسوريا ، دمشق ١٩٨٢ م .

٨٤- ابن جني :

« سر صناعة الإعراب » ، تحقيق مصطفى السقا ، مصر ١٩٥٤م، الجزء الأول.

٨٥- ابن الأنباري :

أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ت ٥٥٧هـ :

« زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء »، تحقيق رمضان عبد التواب ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٧ م .

٨٦- ابن السيد البطليوسي :

« ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة»، تحقيق حمزة النشرتي ، دار المريخ للنشر، القاهرة بدون تاريخ .

٨٧- ابن مالك :

جمال الدين بن مالك ت ٦٧٢هـ

« الاعتماد في نظائر الظاء والضاد ، تحقيق حاتم الضامن ، الطبعة الثانية ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٩٨٤م.

٨٨- المقرئ :

أبو العباسي المقرئ ت ٤٤٠ هـ

« كتاب ظاءات القرآن الكريم ، شرح أبي الطاهر اسماعيل التجيبي البرقي ، تحقق محمد سعيد المولوي ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٩٩١ م .

٨٩-أبو العباس أحمد الشريشي :

« شرح مقامات الحريري » تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر ، القاهرة ، الجزء الخامس .

٩٠- السجستاني :

أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي ت ٢٤٨ هـ :

« الأضداد » نشر أو غنت هفنر ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٦م

٩١- الأصمعي :

أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن أصمع الباهلي ، ت ٢١٦ هـ :

« الأضداد » نشر أو غنت هفنز ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

٩٢-الصغاني :

رضي الدين بن الحسن بن محمد ،ت: ٦٥٠هـ :

« الذيل في الأضداد» نشر أو غنت هفنر،دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

٩٣- ابن السكيت :

« الأضداد » ، نشرأ وغنت هفنز ، دارالمشرق ، بيروت ، ١٩٨٦ م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٤-ابن السكيت :

« إصلاح المنطق » تحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

٩٥-ابن مكي :

عمر بن خلف بن مكي ت ٥٠١ هـ :

« تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » ، تحقيق عبد العزيز مطر ، المجلس الأعلى للشؤون الثقافية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

٩٦-ابن الجوزي :

أبو الفرج عليّ بن عبد الرحمن ت ٥٩٧هـ :

« تقويم اللسان » تحقيق عبد العزيز مطر ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٦م .

٩٧- أبو منصور الجواليقي :

« المعرّب من الكلام الأعجمي » تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الكتب ، ١٩٤٢م .

٩٨- الجوهري :

أبو نصر اسماعيل بن حماد ت ٣٩٣ هـ :

« الصحاح» تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٥٦م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٩- السيوطي :

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١ هـ :

« المزهر في علوم اللغة وأنواعها » تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٥٨ م ، الجزء الأول .

١٠٠- أبو هلال العسكري:

« جمهرة الأمثال» تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، عبد المجيد قطامش ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية الحديثة ، ١٩٦٤ ، الجزء الأول ، الجزء الثاني .

١٠١ - الميداني :

أبو الفضل أحمد بن محمد ت ٥١٨هـ

« مجمع الأمثال » تحقيق محمد أبو الفضل ابرهيم ، الطبعة الثانية ، دار الجيل، بيروت ، ١٩٨٧ م،الجزء الأول ، والجزء الثاني ، والجزء الثالث .

١٠٢- الطبري :

محمد بن جرير الطبري ، أبو جعفر ت ٣١٠هـ :

« جامع البيان في تفسير القرآن » ، الطبعة الرابعة ، دار المعرفة، بيروت ، ١٩٨٠ ، الجزء الرابع والعشرون والجزء الخامس عشر .

١٠٣ - القرطبي :

أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد ت ٦٧١هـ :

« الجامع لأحكام القرآن» ، دار مناهل العرفان ، بيروت ، الجزء الخامس عشر ، والجزء التاسع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠٤- ابن جزي الكلبي :

محمد بن أحمد الكلبي ت ٧٤٩هـ :

«كتاب التسهيل لعلوم التنزيل» الطبعة الرابعة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، الجزء الثاني .

١٠٥- قدامة بن جعفر :

« كتاب الخراج وصناعة الكتابة » تحقيق محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٨١ م .

١٠٦- البغدادي :

أبو القاسم عبد الله البغدادي من القرن الثالث الهجري :

« الكتّاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها » تحقيق هلال ناجي ، مجلة المورد ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣ ، بغداد .

١٠٧- ابن وهب :

أبو الحسين اسحق بن وهب من القرن الرابع الهجري

« البرهان في وجوه البيان » تحقيق أحمد مطلوب ، وخديجة الحديثي ، الطبعة الأولى ، دار المأمون ، بغداد ، ١٩٦٧م

١٠٨- ابن مماتي :

أبو المكارم أسعد بن مهذب بن مماتي ت ٦٠٦ هـ :

« قوانين الدواوين » ، تحقيق عزيز سوريال عطية، الجمعية الزراعية الملكية،القاهرة ، ١٩٤٣م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠٩- الماوردي :

ابو الحسين عليّ محمد بن حبيب ت ٤٥٠هـ :

« الأحكام السلطانية والولايات الدينية » الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى البابي، مصر ، ١٩٦٠م .

١١٠- الشهاب الحلبي :

محمود بن سلمان بن مهذب بن محمود الحنبلي الحلبي ت ٧٢٥هـ :

« حسن التوسل إلى صناعة الترسل» تحقيق أكرم عثمان يوسف ، دار الحرية للطباعة ، العراق ، ١٩٨٠م.

١١١- حازم القرطاجني :

أبوالحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم القرطاجني ،ت٦٨٤هـ :

« منهاج البلغاء وسراج الأدباء » تحقيق محمد حبيب الخوجة ،الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامي بدون تاريخ .

١١٢- ضياء الدين بن الأثير :

« الوشي المرقوم في حلّ المنظوم » تحقيق ، جميل سعيد ، المجمع العلمي العراقي، بغداد ، ١٩٨٩ م .

١١٣- الثعالبي :

أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ، ت ٤٢٩ هـ :

« فقه اللغة وسر العربية » ، المكتبة التجارية ، الكبرى ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١٤- ابن الأنباري :

أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ت ٣٢٨هـ :

« المذكر والمؤنث » تحقيق طارق الجنابي ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٩٧٨ م :

١١٥- ثعلب :

أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ت ٢٩١ هـ :

« الفصيح » تحقيق عاطف مذكور ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٨٣ م .

١١٦- المبرّد :

أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ :

« المقتضب » تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٦٣ م ، الجزء الثاني .

١١٧- السدوسي :

أبو فيد مؤرج السدوسي ت ١٩٨هـ :

« كتاب الأمثال » الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٩٧٠ م .

١١٨- الضبي :

أبو عكرمة الضبي ت ٢٤٤هـ :

« كتاب الأمثال » تحقيق رمضان عبد التواب ، مجمع اللغة العربية ، دمشق .بدون تاريخ .

١١٩- ابن عاصم :

أبو طالب ، المفضل بن عاصم ت ٢٩١هـ :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«الفاخر» تحقيق عبد العليم الطحاوي ،الطبعة الأولى ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٠.

١٢٠ – أبو عبيد البكري :

أبو عبيد ، عبدالله بن عبد العزيز البكري ت ٤٨٧ هـ

« فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلاّم »، حققه وقدم له د. احسان عباس ، وعبد المجيد عابدين الطبعة الثالثة،بيروت ، ١٩٨٣م

١٢١ – الثعالبي :

« كتاب الأمثال » المسمى بالفرائد والقلائد ، دار الكتب العربية الكبرى .

١٢٢ – الواحدي :

أبو الحسن على الواحدي ت ٤٦٨ هـ

« الوسيط في الأمثال » تحقيق عفيف محمد عبد الرحمن ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت ، ١٩٧٥م

١٢٣ – أبو العتاهية :

ديوان أبي العتاهية ، دار صادر بيروت ، ١٩٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص باللغة الإنجليزية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

Ibn Shith al-Qurashi and his book entitled "Ma'alim al- Kita'ba and Maghanim al-Is'aba"

By

NHLA ABED AL- KAREM AL-HARTANI

SUPRVISOR

Dr. MAHMOUD EBRAHEM

This study dealt with the writer Ibn Shith al - Qurashi and his book entitled " Ma'alim al- Kita'ba and magha'nim al - Isa'ba " . The writer lived in the last days of the Ayyoubid era .

In the preface, I wrote about culture under the Ayyoubids , stressing the role of the chancellery (Diwa'n al Insha') and its development.

٤٢٢٤٢٣

And in the first chapter , I revealed the curriculum vitae of the writer Ibn Shith : his full name , his lineage , children , date of his birth , his travels , faith , demeanure , education , the names of his teachers and pupils , the narrators of his poetry , his links with the scholars, of his time , his writing and the date of his death .

In the second chapter , I analyzed his book , and in the analysis, I

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

studied his writings about syntax ., the character of the royal scribes and the men of importance in the state , the introductions of letters and the methods of writing in accordance with the calsses of the addressor and the address . I also expounded the shape of the calligraphy , the characters and the way of sharpening the pen and holding it . Furtherwore , I discussed questions related to rhetorc , criticism , language , proverbs and exegesis . Then I revealed the sources of the book and the writer's style and methodology .

In the third chapter I studied the book in relation to other preceding and succeeding books, in order to show its importance .

In this my study, I consulted 123 books, and concluded that Ibn Shith was a prominent man of letters , in addition to his occupation of such important posts as minister (Vizier) , Judge (qa'di) and leader of prayers (Imam) . I also collected his poetry and prose and got acquainted with parts of unavailable books , such as " AL Kharaj" and the lost part of " Ma'alim al- Kitaba " and " Al-Haz al - Asna' fi Hula Asna " . The study also made it possible for me to be acquainted with the contents of other books , such as " Al Araj al Sha'iq Ila' Karam at khala'iq " by Ibn Shams al- Khilafa and " Jumal al- Khatt " by Ibn Muqla and " Al- Bidaya " by Ibn Abi al- Mansur .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تصويب الاخطاء

الصفحة	الخطأ	الصواب
ن	القريشي	القرشي
٢	نسبُه	نسبِه
٢	بن أبي الحسن	ابن ابي الحسن
٣	بينهما	بينما
٩	يتنافى التشيع	يتنافى استمرار التشيع
١٥	ترجمتُه	ترجمتِه
٧٤	بديعيه	بديعية
٧٥	قسّمه	قسّمه
٧٥	يؤتي	يؤتى
٧٥	كلمه	كلمة
٧٦	يؤتي	يؤتى
٧٦	السابقه	السابقة
٧٧	كان	كانت
٧٧	الثانيه	الثانية
٧٧	لا تعني المماثلة	لا تعني المماثلة عند ابن شيث
٧٨	يفصّلها	يفصّلها
٧٩	بنفس بيت الشعر	ببيت الشعر نفسه
٨٠	البلاغين	البلاغيين
٨٣	لها	له
٨٣	نفسَه	نفسُه
٨٥	حجه	حجة
٨٥	كلّ	كلّاً
٨٩	جزلة رقيقة	جزلة ورقيقة
٩١	عند	عن
٩١	بينهما	بينها
٩٣	يتعارفها	يتعارفه
٩٤	تأثيره	تأثره
٩٨	متشابه	متشابها
١٠٢	نفس الوقت	الوقت نفسه
١٠٣	أظلع	اظلع

الصفحة	الصواب	الخطأ
١٠٩	تغيير	تغير
١١٠	الشغة	الشفه
١١٤	الصيغة	الصيغه
١١٤	العامة	العامه
١١٦	المرأة	المراه
١١٧	اسما	إسما
١١٨	للمصاحبة	للمصاحبه
١١٩	كتابه	كتابة
١٢٢	عظم	عظم
١٢٤	السلامة	السلامه
١٢٤	كرامةً	كرامةً
١٢٧	ايراده	ايرادة
١٢٧	يُرتهن	يُمتحن
١٣٠	بن	ابن
١٣١	الولايات	الولايان
١٣٣	السطور	الصدور
١٣٣	أيوب	آيوب
١٣٦	الجُناب	الجِناب
١٣٧	أحدهم	أحدكم
١٣٩	امتناع	جواز
١٤١	للمماثل	للمائل
١٤٢	الحمدلة	الحمدله
١٤٣	٧ : ٦٤	٧ : ٧٠
١٤٦	في سمتها	سمتها
١٤٧	لطيفة	لطيفه
١٤٩	يؤتى	يؤتي
١٥١	المدلول نفسه	نفس المدلول
١٥٤	امرىء	امري
١٥٥	يقع على شيء منه	يقع منه على شيء منه
١٥٨	فيصاغ	فيصاع
١٥٨	القسم الثاني	الفصل الثاني
١٥٨	ثلاثة وجوه	ثلاثة وجوها
١٦٠	امثلة	امثله
١٦٢	عند	عن
١٧٠	حرفة	حرفه
١٧٦	نسبه	نسبة
١٧٦	تعرض	تعرص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit